كلمة الفنون

الفن مقاومة، والمقاومة فن الحياة.

ولأن «الفنون» جريدة تهتم بالفنون، ولأن المقاومة هي الشعار الأنصع الذي نحياه الآن، ويتجلى في أبهى صوره هناك في أرضنا المحتلة، كان لا بد من أن يكون عنوانا لعدد خاص يتأمل الحدث، ويطرح السؤال حول دور الفن والفنان إزاء ما لا يمكن الاكتفاء بوصفه بكلمات أو تأطيره داخل لوحة.

هناك من قال: عندما يتقدم الدم المشهد، فلا نملك إلا الانحناء النبيل أمام أرواح الشهداء. والبعض حذرنا من الوقوع في شرك التنظير الذي يمكن أن يتحول إلى منشور سياسي، باعتبار أن الحديث عن دور الفن ليس هو الفن ذاته، بل طرح رؤية كل كاتب لما يمكن أن يكون عليه الفن في المرحلة المقبلة، وفي كل حديث نظري يمكن أن تتكرر الأفكار والرؤى، خصوصا إذا كانت القضية ليست خلافية، وهناك إجماع عام عليها، وهل يختلف أحد على عروبته وقوميته وأرضه وأبناء شعبه؟!

توجهنا بالسؤال إلى نخبة من فناني الوطن، وتلقينا دراسات ومتابعات وشهادات من الداخل والخارج، وسعدنا بأن الفن العالمي شاركنا الهمّ وخرجت أنواعه (سينما - تشكيل - مسرح...) تؤكد نبل المقولة ومصداقيتها، فها هو السينمائي البارز «كوستا جافراس» يعيد علينا ذكرى مقاومته لضغوط صهيونية كادت تنجح في منعه من الإدلاء بشهادته في قضية إنسانية رأى أن السكوت عنها خيانة، فخرج على العالم بفيلمه الوثيقة «هنا.ك» واحتمل في جَلد عواقب اختياره النبيل.

وها هو المسرحي الشهير «جان جينيه» يسجل ما شاهده من مذابح، ما كان يصدقها لولا أن رآها بنفسه في شاتيلا عام ١٩٨٢، ليخرج على العالم بصرخة إدانة لحضارة ادعت أنها للإنسان، بينما حقيقتها تظهر ببشاعة على الطرف الآخر من العالم، فكانت «أربع ساعات في شاتيلا» مسرحية شاهدة على واحدة من أبشع مجازر التاريخ، كتبها جينيه منذ سنوات، ويعاد عرضها الآن في بعض مدن العالم.

وللتشكيل أيضا دوره، فها هو كتاب الناقدة «فاطمة علي» يجمع بين دفتيه لوحات عالمية رسمت في عصور مختلفة، تسجل جميعها المذبحة الأولى التي قام بها اليهود ومليكهم هيروت ضد أطفال بيت لحم، ظنين أن ذلك سيمنع قبس المسيح من الخروج على العالم!

الفنون كثيرة والمقاومة عنصر أصيل في الإنسان، وما كان للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ولجريدة «الفنون» أن يمرّا مرور الكرام على الحدث العربي اللحظي الأهم، دون المشاركة فيه، ودون تسجيل شهادات فناني الوطن والعالم تجاه ما يحدث على الأرض المقدسة، وأمام أعين العالم «المتحضر»!

محمد الرميحي

هانّا.ك

عشرون عاما أخرى من البحث عن هوية

الكويت - الفاروق عبدالعزيز

هذا هو واقع الحال، بعد مضي عشرين عاما على إنتاج فيلم كوستا جافراس «هانّا.ك» ما زال الرضيع دافيد عمر موءودا... وما زالت أمه هانّا... البولندية الأمريكية الفرنسية الإسرائيلية تذرع شوارع الشانزليزيه والجادة الخامسة، ثم تجوب شوارع القدس العتيقة... وفي الوقت الذي استوحش فيه جوشوا هيرتزوج وتمادى... ظل سليم بكري يتسلل إلى بيته المغتصب كل صباح... بينما أهله يقاومون في الظهيرة بالحجارة... وبالأجساد تحت الشمس!

منذ عشرين عاما... بينما كان كوستا جافراس يجهز فيلمه «هانّا.ك» للعرض في خريف ١٩٨٢، كان آرييل شارون، الذي استوحش وتمادى، يمتطي في النهار دبابة يطوف بها مدينة بيروت المحاصرة... وفي الليل يحكم حصاره على مخيمي صبرا وشاتيلا، ليفتح الأبواب لضباع الميليشيات اليمينية... لتنسل تحت جنح الظلام، لتغتصب وتذبح...

بعد عشرين عاما، من عرض الفيلم، قفز جو شوا، فتى جيل الصابرا، برفقة آرييل شارون فوق كل المدن الفلسطينية المحاصرة... وقتل!

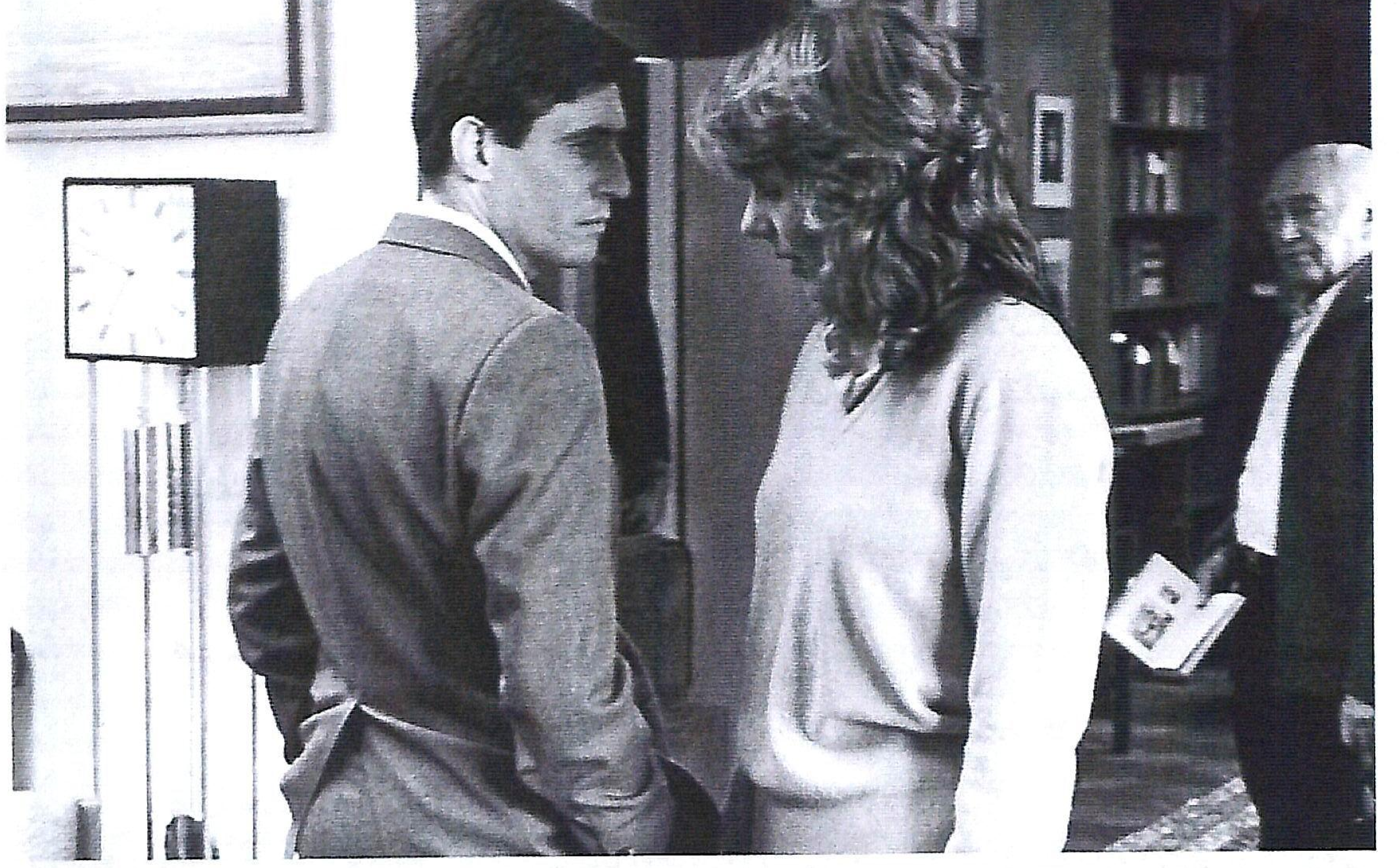

صرخ أستاذ القانون ليغنتال (من جيل المهاجرين) في تلميذته هنا، بينما كان جوشوا المدعي العام الساخر... (من جيل الصابرا) يتطلع إليها...

«إذا وافقت على عودته فمعنى ذلك أن ثلاثة ملايين فلسطيني سيدقون الأبواب علينا!... اسمعي يا هنا!! لقد عشنا ألفي عام مشردين ومنبوذين ومذبوحين... الآن عندنا دولة وهوية يجب الدفاع عنهما!!».

قفز النمر وقتل
ولكنه سيموت حتما
سيموت حتما!

تمثل هذه الأبيات للشاعر الكوبي خوزيه مارتي، التي اتخذها فنان السينما الوثائقية الكوبي سنتياغو الفاريز عنوانا لموضوع فيلمه الأم في عام ١٩٦٣، أفضل تعبير أدبي ممكن عن خاتمة فيلم كوستا جافراس «هانّا.ك» في عام ١٩٨٢. فقد قفز «النمر» - المدعي العام الشاب جوشوا هيرتزوج - إلى داخل منزل هانّا، التي كان بحثها عن هويتها قد وصل إلى منتهاه، فيما يبدو، لكي «يقتل» العربي الفلسطيني سليم بكري، بعد أن أثبت القضاء شفاهة (!) أحقيته في ملكية بيته الكبير... بيت عائلته التي شردها الاحتلال، وحوله المحتلون إلى متحف... قفز النمر ليقتل... النمر الذي جرحته «الحقيقة» يسحب مسدسه ويستدعي قوات خاصة للقبض على «الإرهابي»... التهمة الجاهزة لصاحب الحق الذي يسأله فيكتور زوج هانّا، بعد الإعلان عن عملية (فدائية - إرهابية... ولكل إعلام أن يبحث عن مصطلحه!).

فيكتور

هل للرأي علاقة بالعملية؟

سليم (بهدوء)

ما الذي أستطيع قوله!... لقد صدر الحكم!

ذكريات من وقائع الاغتيال!

بعد عشرين عاما من عرض الفيلم، عدت لأشاهده من جديد، مرة تلو مرة في تلك الأيام التي قفز فيها النمر وقتل... وأمعن في القتل!

شاهدته لأعيد قراءته وتأمله...

عدت لأكتشف الكيفية التي قدم بها هذا الفيلم الهادئ الإيقاع أفكاره الصارخة بالحقيقة التي «جرحت» أكثر من نمر صغير وكبير قبل عشرين عاما.

بل إنني عدت لأحس، وقد وضعت نفسي في موضع زعماء «عصبة الدفاع عن السمعة» الصهيونية في أكتوبر عام ١٩٨٣ حين عرض الفيلم في الولايات المتحدة... لأحس بالأدرينالين يندفع من قمة رأسي إلي أخمص قدميَ... إن «هانّا.ك» هو أكثر أفلام كوستا جافراس السياسية النضالية هدوءا... ولكنه أكثرها قتلا... ولهذا سارعت «العصبة» إلى إصدار مذكرة عممتها على جميع أعضائها في جميع وسائط الإعلام الأمريكية وحصلت على نسخة منها من منتجة الفيلم ميشيل راي - جافراس في مطلع عام ١٩٨٣، تحذر فيها من تأثير الفيلم ضمن خطة أشرفت عليها الجمعية الأم لاغتيال الفيلم في أمريكا الشمالية وأوروبا، حيث يخشى الصهاينة من الفاعلية القاتلة لهذا الفيلم الهادئ!

والجمعية الأم هي جمعية بناي بريث اليهودية الصهيونية الأمريكية التي يذكر الدكتور عبدالوهاب المسيري في «موسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية» أنها ساهمت، منذ تأسيس دولة إسرائيل قبل خمسين عاما، في تقديم العون لها في جميع صوره، بما في ذلك تسويق المستندات الحكومية الإسرائيلية خاصة داخل الولايات المتحدة... والدفاع عن الصهيونية في جميع الوسائط، باعتبارها الكلب الحارس والمراقب الشرس لتحركات المهاجمين، صراحة أو ضمنا... وفي هذا الإطار أنشأت الجمعية «عصبة الدفاع عن السمعة» كمنظمة خاصة تتولى شؤون الإعلام كأخطر مجالات التأثير... وتستند الجمعية التي يعني اسمها «أبناء العهد» إلى تراث عميق من التجارب خاصة في أمريكا الشمالية، يبدأ منذ تأسيسها في نيويورك في عام ١٨٤٣ ويمتد إلى يومنا هذا في فروع تستشري في أكثر من ثلاثين دولة بما في ذلك دولة إسرائيل بالطبع!

يجد القارئ صورة من المذكرة مع عرض لمرفقاتها في موضع آخر من هذا المقال.

بعد عشرين عاما وجدتني أتذكر ما روته لي ميشيل راي - جافراس عن الآليات التي يمكن بموجبها اغتيال فيلم في أوروبا على الخصوص، والغرب على العموم. فتعميمات جمعيات الرقابة الصهيونية (في حالة «هانّا.ك») أشد تأثيرا وأفعل تنكيلا من قرارات المنع الرقابي «الذي

تقول إنكم تعانون منه في بلدانكم»... والسيدة جافراس ليست مجرد زوجة ولا حتى جدة وحسب، بل إنها منظمة الفكر سياسيا وتنتمي إلى أكثر قطاعات اليسار الفرنسي حيوية وتأثيرا... وقد لعبت علاقتها بكوستا جافراس دورا محوريا في حياتها، إذ تحولت، كما أقرت هي، من هاوية على وشك الاحتراف في سباقات السيارات، ومن عارضة أزياء ذات شأن لدى شانيل، إلى امرأة مسيّسة قررت أن تبحث عن ذاتها في «الحياة الحقيقية»، على حد تعبيرها، في غابات فيتنام كصحافية مستنيرة... وانتهى بها الأمر هناك إلى الاعتقال في سجون الفيتكونج لفترة، إلى أن تدخلت الحكومة الفرنسية للإفراج عنها... بعدها ركزت نشاطها في الاهتمام بالسينما السياسية التي يشارك في كتابة أفلامها، ويقوم بإخراجها كوستا جافراس.

وكان «هانّا.ك» أكبر إنجازاتها في مجال الإنتاج السينمائي وقد وصفت حياتها الملأى تلك، الممثلة جيل كلايبورج (هانّا كاوفمان) بعبارة لا تخلو من بلاغة... «لقد عاشت ميشيل ألف حياة في حياة واحدة!».

وكان هذا كله، الحياة الصاخبة لميشيل والمسيّسة لزوجها، هو المعين الذي استمدا منه الطاقة على المقاومة... «مقاومة المد العالي والأسوار المرتفعة لحماية الصورة الأسطورية الثابتة في الوعي الغربي، بفعل التنظيم والسطوة الإعلامية لنحو مائة عام، للإسرائيلي دافيد ، الذي يواجه جولياث» وأكملت ميشيل «هذه حرب قد يمكننا اعتيادها... لكن أن يهجرك الأصدقاء وتجفوك المعارف ويتجنبك المحيطون بك، كما لو كنت مصابا بالجذام، فهذا ما لم يمكن تحمله!».

وذكرني حديثها بما حاق بالذين رفضوا الشهادة على زملائهم، أو مجرد المثول أمام لجنة النشاط غير الأمريكي في أمريكا نهاية الأربعينيات ومطلع الخمسينيات، في ذروة الإرهاب المكارثي - محاكم التفتيش الجديدة... لقد نفي هؤلاء من كل مكان يمكن أن يصادفهم فيه رفيق أو صديق... ولم يعمل أحد منهم باسمه في السينما الأمريكية إلا في نهاية الستينيات!

كان كوستا، لخبرته الواسعة بالعقلية الغربية، واعيا على نحو خاص بما قد يحدث لـ «هانّا.ك» من مضاعفات إعلامية... وفي نهاية السبعينيات بدأ العمل على توفير ميزانية لإنتاج الفيلم، خاصة أن خطبة قبول الأوسكار التي ألقتها، كالقنبلة الحارقة في القاعة الضخمة، الممثلة المناضلة فانيسا ردجريف عام ١٩٧٨، عن دورها في فيلم فريد زينمان «جوليا»، كانت لا تزال تردد أصداءها على أوسع نطاق دولي، وخاصة وصفها الجريء للذين هددوا أعضاء الأكاديمية الأمريكية للعلوم والفنون السينمائية المانحة للأوسكار، بأنهم «حفنة من البلطجية الصهاينة!».

كما كانت الحرب الأهلية اللبنانية التي اشتعلت قبل ذلك بثلاثة أعوام، في أبريل ١٩٧٥، لا تزال ملتهبة الأوار، والقضية الفلسطينية بوجه عام، والوجود الفلسطيني في لبنان بوجه خاص،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صرخ المدعي العام جوشوا هيرتسوج في قاعة المحكمة مشيرا إلى سليم «أن المتهم ليس مواطنا في هذا البلد! إنه ليس مواطنا في أي بلد!! إننا في الحقيقة لا نعرف حتى من يكون؟!!»
وردت هنا «ربما لا وجود له على الإطلاق»!!
وعندما اتجهت الأنظار بشكل عفوي في اتجاه سليم، أشعل حاجب المحكمة الضوء ليلقي المصباح هالة من الضوء على رأسه بإحساس جعل من وجوده أمرا لا شك فيه.

يفرضان نفسيهما في مقدمة المشهد العربي المتأجج... كان الوقت مناسبا أخيرا أمام كوستا لكي يقول كلمته... وهو الذي لم يخش يوما في أفكاره التقدمية لومة لائم، منذ بدأ عمله السينمائي في عام ١٩٦٥.

في عام ١٩٧٩ كان كوستا جافراس قد سلخ عشرة أعوام منذ نجاحه الأسطوري بفيلم الإثارة السياسية التاريخي «زد» (١٩٦٩)... وكان كوستا قد رسخ في «نرد» وفيما تلاه من أفلام، أوضح مبادئ السينما السياسية في صيغتها الجماهيرية. ورغم اتجاهات كوستا اليسارية الواضحة، إلا أن أفلامه اكتسبت شعبية فاقت بكثير غيرها من أفلام مخرجي جيله، بل اجتذبت اهتمام أكبر شركات الإنتاج والتوزيع (الرأسمالية!) بعد أن عكفت على مراقبته لعقد كامل.

ففي الوقت الذي عومل فيه «زد» بتقدير واحترام كبيرين، خاصة في الأوساط السينمائية الأمريكية المؤثرة، كجائزة الأكاديمية الأمريكية (الأوسكار) مثلا: أحسن فيلم أجنبي، وأحسن مونتاج وترشيحات رئيسية في السيناريو والإخراج، وأهمها أوسكار أحسن فيلم، علاوة على جوائز الجلوب ونقاد نيويورك، عوملت فيه أفلامه الأخرى باهتمام متزايد مع تقدير لقيمتها التحريضية والجماهيرية... في «الاعتراف» (١٩٧٠) تناول كوستا موضوع محاكمات التطهير السياسي في تشيكوسلوفاكيا في عام ١٩٥٢ من منظور نقدي للستالينية... وفي «حالة حصار» (١٩٧٣) اختبر كوستا مقولات جماعة التوب ماروسل الثورية في أوروجواي، من خلال حادثة اختطاف أحد العاملين الأمريكيين في الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية... وفي «قسم خاص» (١٩٧٥) عاد إلى فرنسا المحتلة من خلال محاكمات المتعاونين الفرنسيين مع الاحتلال النازي أثناء الحرب العالمية الثانية. وكان قد تناول بطولات المقاومة ضد هذا الاحتلال في فيلمه الثاني «رجل بألف» (١٩٦٧).

بعد عشرة أعوام من السينما التحريضية الجماهيرية وجدت هوليوود، في أذكى حالاتها، أن كوستا قد نجح كسينمائي «مثير» بسبب قدرته على الجمع بين الالتزام والوعي السياسي الأوروبي... وبين حركية وتدفق وحسن إيقاع أفلام الأكشن الهوليوودية... واستخلص مدير التسويق في شركة يونيفرسال الرئيسية العملاقة أن كوستا يبيع! وأن نقده للدكتاتورية وللسلطة المطلقة في الاتحاد السوفييتي، وتأييده لحركات التحرر... يبيع!

... فكان أن عرضت الشركة على كوستا صفقة - حلما لأي مخرج أوروبي: توقيع عقد لخمس سنوات تقوم الشركة بمقتضاه بتمويل جزئي أو كلي وتوزيع لثلاثة مشاريع سينمائية من اختيار كوستا!

كان سيناريو «هانا.ك» جاهزا بتوقيع فرانكو سوليناس... وفي الوقت نفسه كانت في يد كوستا النسخة النهائية من سيناريو فيلم «مفقود» عن كتاب توماس هاوزر (كتب كوستا السيناريو بالمشاركة مع رونالد ستيوارت)... وفكر كوستا في أي العملين يبدأ؟.

وكان قراره النهائي بالغ الذكاء لبراجماتيته الواضحة! ليبدأ بموضوع أمريكي، قد يثير الجدل أيضا، ولكنه سيضمن توزيعا واسعا داخل أمريكا الشمالية، قد يحقق نجاحا تجاريا يقوي من وجوده داخل هوليوود.

وقد كان أن أخرج كوستا «مفقود» في عام ١٩٨٢ ليفوز بجائزة السعفة الذهبية في مهرجان كان وبأوسكار أحسن سيناريو، علاوة على ترشيح أوسكار أحسن ممثل لجاك ليمون وممثلة لسيسي سبيسك وأحسن فيلم لعام ١٩٨٢. والأهم أنه أثار جدلا واسعا اضطر وزارة الخارجية الأمريكية إلى اتخاذ موقف دفاعي بالخروج عن صمتها الكلاسيكي إزاء هوليوود، اضطرها إلى إصدار بيان، في سابقة هي الأولى من نوعها ضد ما ذهب إليه الفيلم من تورط المخابرات والخارجية الأمريكية في انقلاب العسكر في تشيلي بقيادة الجنرال بينوشيه على الرئيس اليساري المنتخب ديموقراطيا سلفادور ألليندي...

وفي نظر شركة يونيفرسال الممولة لـ «مفقود»، فإن الجدل يبيع... وقد كان. غير أنه فيما يتعلق بـ «هانا.ك» مشروع كوستا التالي، فإن الشركة لم تعترض، طبقا لبنود العقد التي تسمح لكوستا بيد مطلقة في اختيار موضوعاته، على تناول القضية الفلسطينية... ولكن مشاركتها في التمويل كانت محدودة، والأهم أنها لم تقم بما هو متبع وبدهي في الصناعة السينمائية الأمريكية من أن الموزع، وهو هنا يونيفرسال، هو الذي يتحمل تكاليف طبع النسخ والإعلان عن الفيلم... وقد يمثل الإعلان، أحيانا ما يساوي ٢٠٪ من ميزانية الفيلم... فلم تنشر إعلانا واحدا عن الفيلم.

والسبب واضح: «الإرهاب» الذي نشره التعميم (المرفق بهذا المقال)، والذي ظهرت أولى موجاته في مجلة «هوليوود ريبورتر» النافذة في أوساط تجارة صناعة السينما الأمريكية، حين نشر كاتب مقالا يتهم فيه الفيلم بمعاداة السامية، التهمة الجاهزة دائما والتي تستدعي على الفور صور الهولوكوست النازي من لاوعي المشاهد والقارئ الغربي كرد فعل تلقائي كنتاج لإلحاح الصورة الضحية عبر فقر إعلامي منتظم خلال خمسين عاما على العقل الغربي، بحيث يتحول أي نقد لإسرائيل أو الحركة الصهيونية إلى معاداة للسامية على الفور، وحذَّر كاتب المقال من هجمات محتملة بسبب الفيلم على التجمعات البشرية اليهودية في أمريكا الشمالية محملا شركة يونيفرسال المسؤولية.

وفي تنسيق أوركسترالي مؤثر، بدأت تظهر في كبريات وصغريات الصحف والمطبوعات الأمريكية، حملة منظمة لم توفر سببا في التشهير بالفيلم وصانعيه، وإن كان تحت دعوى النقد إلى إيقاف تدفق القوة «العقلية» الهائلة التي يزخر بها الفيلم... صوب المشاهد الأمريكي والغربي المدجن بسهولة في ساحة معركة خالية، إلا من الأقلام والأفلام الصهيونية الجسم أو الروح، أو كليهما، وفي انسجام مع «روح» التعميم، حتى من قبل توزيعه على إعلاميي الجمعية، فقد نشرت صحيفة «النيويورك تايمز» السريعة الانتشار والتأثير مقالا في ٣٠ نوفمبر ١٩٨٣ بعنوان «فيلم في إسرائيل»(!)... «يحكي قصة حب بين محامية إسرائيلية ولاجئ فلسطيني»... ولنلاحظ التبسيط المخل الذي يسلب الفيلم حقيقته ويحوله إلى علاقة عاطفية يتصارع فيها «اللاجئ» مع المدعي العام حول امرأة!... ثم تبعث الصحيفة برسائل مباشرة لوعي القارئ... «ومن المتوقع أن يثير الفيلم جدلا وحساسية لدى إسرائيل إذا ما عُرض... فما يقدمه مضاد للسياسات التي تمارسها إسرائيل»... أي انتبهوا يا مؤيدي إسرائيل... فالعدو قادم!

ويطلق المقال حكما تحذيريا على المخرج كوستا جافراس... فهو «يوناني مقيم في باريس... ومن المعتقد أنه متعاطف مع القضية الفلسطينية!! وقد ذكر في مقابلة معه: لا تربطني صلة قرابة بالفلسطينيين... لكنني أناضل من أجل السلام».

أما مجلة «ڤاراييتي» وهي من أهم مجلات تجارة وصناعة السينما الأمريكية فقد نشرت مقالا يلفت النظر فيه تعليق على محمد بكري الممثل الفلسطيني الذي يلعب دورسليم... «كان بكري جذابا بالنسبة لفلسطيني، ربما جذابا أكثر من اللازم، كما لو كان كوستا جافراس ينأى بنفسه قدر المستطاع عن الكليشيهات العنصرية المتعلقة بالعرب!».

استكثر المقال أن يكون العربي جذابا فبحث عن تبرير لإظهار تلك الجاذبية! عندما عرض الفيلم في فرنسا، فوجئت المنتجة ميشيل راي - جافراس بردود الفعل! وفي العرض الخاص الذي حضره الصحافيون اعتبر البعض، كما صرحت لبسام منصور في مجلة «كل العرب» في سبتمبر ١٩٨٣، الفيلم قنبلة في وجه إسرائيل... «قدرت أمام الملاحظات التي سمعتها أن الفيلم سيكون محورا لنقاشات طويلة ومتضاربة مع الصحافة... وإذا بمعظم الصحف الفرنسية تنصب جدارا من الصمت حول الفيلم... وكأنه غير موجود، أو تتناول زواياه التقنية بالنقد والتهكم، قافزة فوق موضوعه والقصة التي يطرحها باستثناء مقال واحد في جريدة «لوموند» كتبه أريك رولو...».

وعلمت راي، عبر صديق مشترك، أن ناقدا سينمائيا في إحدى كبريات الأسبوعيات الفرنسية اليسارية هي مجلة «نوفيل أوبزيرفاتير» قال أثناء خروجه من العرض الخاص: «علينا أن ندمر هذا الفيلم». فبادرت إلى الاتصال برئيس تحرير المجلة المذكورة، ودعته إلى مشاهدة الفيلم في عرض خاص به، وكان جوابه أنه سمع «أن الفيلم سيئ» فأجبته، تقول راي، «كيف يمكن أن تأخذ برأي عن الفيلم دون مشاهدته؟!».... فقال «يبدو أن الفيلم قاسٍ على إسرائيل... علقت «بأن الأشخاص (في الفيلم) طبيعيون تماما وبعضهم ذو شخصية طريفة وملامحهم الإنسانية غير مشوهة، بمن فيها شخصية المدعي العام».. فاستدرك: «بالطبع... إنه يشبه النازي الجميل»... فتعجبت لتقديره هذا علما بأنه لم يشاهد الفيلم!

في الولايات المتحدة استشرت الشائعات الشفاهية في حرب غير شريفة، أدت بشركة يونفيرسال إلى إلغاء برامج العرض في مدن مهمة مثل نيويورك وبوسطن وواشنطن وشيكاغو وسان فرانسيسكو... إزاء ذلك اضطر كوستا إلى القيام بجولة في أنحاء الولايات المتحدة للدعاية للفيلم... وقالت راي: «تلقيت اتصالا من صديق منتج وموزع أمريكي، ينصحني بإبلاغ كوستا وقف حملاته الدعائية للفيلم في الولايات المتحدة... لأن هذا الأمر يسيء إلى مستقبله في السوق والأوساط الفنية الأمريكية».

ومع ذلك لم يوقف حملته... وكان الصحافيون الذين يلتقيهم، يبدأون بالقول «إنهم سمعوا أن الفيلم معاد لإسرائيل... الأمر الذي يعكس قوة حرب الشائعات، وطغيان الأفكار المسبقة في العقل الإعلامي الأمريكي.

وعندما وجدت شركة يونيفرسال أنه من غير المجدي الإعلان عن الفيلم، اضطرت ميشيل راي إلى أن تشتري مساحة إعلانية في صحيفة «النيويورك تايمز» بخمسين ألف دولار! ولكن ما جدوى ذلك أيضا وعدد الراغبين من أصحاب دور العرض في عرض الفيلم لم يزد على أربعمائة من بين أكثر من عشرة آلاف دار عرض اعتاد أصحابها تأجير أفلام الشركات السبعة الكبرى من دون نقاش باعتبارها إنتاجا أمريكيا مضمون الجمهور؟!

وفي ألمانيا، حيث تستشري عقدة الذنب في جسد الأمة الألمانية، صرح العميل التجاري لكوستا جافراس بأن الموزعين يتعاملون معه كما لو كان مصابا بالطاعون... فهم يتهربون منه طوال الوقت... حتى أن بعضهم أبلغه صراحة أنه يوزع الفيلم حتى ولو دفع له مالا مقابل توزيعه!

أما في إسرائيل فلم تمنع الحكومة عرض الفيلم، خشية انتشاره سرا، ولكن حظر عرضه في المدن ذات الكثافة السكانية العربية... غير أن شابة إسرائيلية أبلغت ميشيل راي جافراس، عقب مشاهدته أن «هانا.ك. درس في التاريخ» وهو انعكاس لرأي قسم من جيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نادى سليم
هنًا من داخل بيت محطم في قرية مهجورة «لقد عشنا هنا سنين طوال... جميعنا... عائلة من اثنى عشر شخصا. وعندما مات والدي اتسع المكان قليلا... لم لا تدخلين؟ أتخافين الجرذان؟».

شاب لم يعش صراعات الأيديولوجية الصهيونية في صورتها الأولى عقب الحرب العالمية الثانية... ولكن هذا كان منذ عشرين عاما.

ترى هل يمكن أن تتعلم اليوم المخالب الشابة للنمر الذي قفز وقتل، درس التاريخ هذا؟!

منذ عشرين عاما نشرت مقالا يبدأ بسؤال:

لمن صنع فيلم «هانًا.ك»؟

الإجابة: صنع... لكي يشاهده أساسا غير العرب... جمهور الغرب في الولايات المتحدة وأوروبا... يعني جمهورالدول والإمبراطوريات التي تسببت في كل الآلام التي حلت بنا، وفي مقدمتها الألم الفلسطيني، خلال هذا القرن.

ويكشف الفيلم بهدوء عن الفاشية المستترة خلف القناع الديموقراطي القضائي، وعن العنصرية.

إن الأسئلة التي أفزعت الإعلاميين الصهاينة هي أسئلة تتعلق بصميم وجود إسرائيل والفكرة الصهيونية ذاتها. فسؤال المدعي العام لسليم: لم أنت هنا؟ يقابله سؤال سليم: ماذا تفعلون هنا؟ ومن أين جئتم؟ وقد عوقب كوستا جافراس لمجرد طرحه «الهادئ» لتلك الأسئلة الجوهرية، بأن تلكأت شركة يونيفرسال، وهي التي وقعت معه عقدا ملزما بإنتاج ثلاثة أفلام من اختياره، في تنفيذ فيلمه التالي «تمت خيانته» لخمسة أعوام متوالية. ولم يعرض الفيلم إلا في نهاية عام ١٩٨٨.

وكانت هذه إشارة خفية إلى ضرورة تعديل المسار لكي تنفتح السوق الأمريكية «أمامك ياكوستا» مرة أخرا!

وقد كان!

غير أن كوستا جافراس كان متسقا وأمينا طوال الوقت مع ما يؤمن به... فلم يعدل من مسار اتجاهاته الرئيسية!... «فتمت خيانته» فيلم يتناول حقيقة أن نيران العنصرية لم تخمد جذوتها في الجنوب الأمريكي بشكل كامل اليوم رغم مضي أكثر من مائة وعشرين عاما على انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية، والتي أشعلها الجنوب العنصري لتدمير حركة تحرير «العبيد» ضمن أغراض أخرى.

بعد ستة أعوام من «هانًا» أخرج كوستا فيلما أمريكيا رئيسيا آخر هو «صندوق الموسيقى» الذي تناول فيه حكاية نازي سابق يعيش في الولايات المتحدة، ينفي علاقته بالنازي في وجه حملة صهيونية متنامية، وتدافع عنه ابنته المحامية بحماس واقتناع إلى أن تبرئه... ولكنها تكتشف في صندوق الموسيقى القديم لديها ما يثبت نازيته.

ولكن مواقف كوستا مع اليهود المستنيرين، التي تلتقي مع مواقف اليسار الفرنسي بوجه عام، لم تكن يوما «مشكلة» لديه وهو يخرج فيلمه «الفلسطيني» «هانًا ك» فمن بين ثمانية عشر فيلما، أخرجها كوستا منذ عام ١٩٦٥ وحتى عام ٢٠٠٢، لم يتناول كوستا الشأن اليهودي، إلا من منظور تاريخي - إنساني في عملين. كان أولهما هو «صندوق الموسيقى»، وثانيهما هو عمله الأخير «آمين» (٢٠٠٢) المأخوذ عن مسرحية رولف هوخهوت (١٩٦٢) عن العلاقة بين تصفية اليهود في الحرب العالمية الثانية وموقف الصمت المستمر الذي اتخذه الكرسي البابوي ازاء ذلك.

وقد يبدو هذان الفيلمان، للوهلة الأولى، كما لو كانا تكفيرا عن خطيئة «هانًا»، ولكن المتأمل لمشاركات كوستا في الأنشطة الفكرية والسياسية العامة، جنبا إلى جنب، مع ممثلين لقوى اليسار الفرنسي (الذي كان المثقفون اليهود الفرنسيون يشاركون فيه كمواطنين فرنسيين بطبيعة الحال) يرى أن كوستا كان يعيش حياته ومعتقداته الفكرية على نحو حر طليق تماما... وأن اختياراته لم تكن تمليها مصالح برجماتية في الدرجة الأولى.

ولكن اللافت للنظر أن تناقضات اليسار الفرنسي إزاء القضية الفلسطينية، كانت مخجلة إلى أبعد الحدود منذ كشفت عن و جهها، لأول مرة، خلال العدوان الثلاثي على مصر في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦، ثم مرة أخرى في عام ١٩٦٧، حين صرح أحد أقطاب الفكر الفرنسي جان بول سارتر في إسرائيل، وعقب زيارته لمصر، بأن «إسرائيل هي واحة الديموقراطية في الشرق الأوسط»، بما ينم عن جهد فادح بطبيعة وتطور المشكلة الفلسطينية العربية - الإسرائيلية... وكان يصاحب سارتر وسيمون دو بوفوار في تلك الرحلة شرق الأوسطية مدير تحرير مجلة سارتر «العصورالحديثة» الكاتب الصحافي كلود لانزمان... الذي تحول إلى سينمائي في عام ١٩٧٠ بأفلام وثائقية أشهرها فيلمه عن المحرقة النازية لليهود «شوا» ومعناها باللغة العبرية الهولوكوست.

وفي حوار مع أمير العمري نشره في كتابه «سينما الهلاك» كشف لانزمان عن هذا الشكل غير المفهوم للتناقض في العقل اليساري الفرنسي الذي يتصور المراقب أنه علماني، في الوقت الذي يتبدى فيه، على نحو سافر، إيغاله في إيمانه الديني إلى حدود التطرف! سأله أمير: «أنت محسوب على اليسار الفرنسي ولك مواقفك المساندة لنضال الشعب الجزائري، وكذلك الفيتنامي. فلماذا تساند إذن الإسرائيليين ضد الفلسطينيين؟».

أجاب لانزمان: «هذا موضوع يصعب الحديث فيه. إن الأمر أكثر تعقيدا من هذا. ولكني بصراحة لا أجد أي تناقض. نعم أيدت استقلال الجزائر وعوقبت على هذا مع ثمانية آخرين من الذين وقعوا على بيان الـ ١٢١ لدعم المقاومة الجزائرية ضد الفرنسيين. وكان بن بيللا وبو تفليقة وغيرهما أصدقاء لي، وكانوا دائما يوجهون إلي بدهشة أسئلة من نوع سؤالك هذا. ولكنهم عرفوا «أن عندي أسبابا... أنا يهودي وجزء من التجربة اليهودية!».

لست أدري بالضبط أين قرأت إجابات من نوع «هذا موضوع يصعب الحديث فيه» أو «إن الأمر أكثر تعقيدا من هذا»... فهذه هي حقيقة الأمر! إن هذا النوع من الإجابات يتكرر دائما لدى كل المثقفين اليهود خاصة «التقدميين» منهم، المؤيدين لإسرائيل في السراء والضراء. إن شيئا ما في العقل الغربي يعجز عن إدراك سر هذا التناقض الفادح في المواقف... ولكن الحقيقة ليست غائبة هنا... فاليهود الصهاينة يقسمون عقولهم وولاءاتهم قسمين واضحين: الأول أنا مع الحق الإنساني أينما كان! والثاني ولكنني يهودي أولا وأخيرا... إذن أنا مع إسرائيل في الأمس واليوم والغد!

أما هانًا - الممثلة جيل كلايبرج - فقد أصابتها، وهي اليهودية النيويوركية غير الصهيونية، سهام العزل. ولنتأمل هذه الأرقام:

فمن بين عشرين عملا سينمائيا بين عام ١٩٦٩، (حين بدأت) و١٩٨٣ (حين مثلت هانًا) لم تظهر إلا في ستة أفلام تلفزيونية وحسب. والعمل التلفزيوني يمكن أن يهدم مستقبل ممثل السينما خاصة في أمريكا، باعتباره دائما عملا محدود الإمكانات والجمهور... ولكن من بين واحد وثلاثين عملا بعد «هانًا.ك» وحتى عام ٢٠٠٢ قسم العدد إلى ستة عشر عملا تلفزيونيا وخمسة عشر فيلما حرف B وهو ما يعني أعمالا سينمائية من الدرجة الثانية.

لأن كود الصمت أو شفرة التجاهل قد بثت في كل أرجاء المملكة السينمائية للقتل بسلاح الإهمال. فالممثلة التي رشحت لأوسكار أحسن ممثلة عن دورها في فيلم «امرأة غير متزوجة» وفازت عنه بجائزة أحسن ممثلة في مهرجان كان عام ١٩٧٨، ومثلت مع رتولوتشي «القمر» في عام ١٩٧٩، ثم نالت ترشيحا آخر للأوسكار في «بداية جديدة» في العام نفسه، كان عملها مع كوستا جافراس بمنزلة توقيع عقد وفاتها سينمائيا... وهي ضربة لم تتمكن حتى اليوم من استيعابها حقا! إن المكارثية في السينما الأمريكية لم تنته بعد!

الطريق إلى هانًا

في عام ١٩٦٩ كان كوستا جافراس يتمتع بواحد من أعظم انتصاراته ربما طيلة حياته. كان فيلمه الثالث «نرد» يكتسح صالات العالم في وهج عصر الستينيات الثوري المثالي. ولم يكن الشاب اليوناني بسيط الحال كونستانتينوس المهاجر إلي عاصمة الأضواء باريس في عام ١٩٥٣ يحلم بمثل هذا النجاح والتقدم يوما. ولكن كان هناك شيء واحد لم يتغير في كوستا... ولد به وعاش معه: الالتزام والتكامل في الشخصية. فكوستا، الذي ولد في أثينا عام ١٩٣٣، تعلم من والده اليوناني المتحدر من أصل روسي (وقد كان مهاجرا عابرا اليونان في طريقه إلى الغرب فاختار الاستقرار فيها) معنى الالتزام في سن مبكرة حين كان والده يساق إلى المعتقل بين فترة وأخرى، خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها، والسبب كان الاشتباه في اعتناقه أفكارا شيوعية... وهكذا حرمته الحكومات المتعاقبة من حقوق بسيطة، وهو الموظف البسيط، مثل حق استخراج ترخيص لقيادة السيارات أو جواز سفر... وحتي حق إلحاق ولده بالجامعة! فاضطر في النهاية إلى تهجير ولده إلى فرنسا في سن العشرين لكي يدرس، بكل ما استطاع توفيره من مال طيلة حياته، الآداب في جامعة السوربون... ولكن كوستا الذي اختصر اسمه الطويل لسهولة النطق، قرر الالتحاق بالمعهد العالي للدراسات السينمائية (الأيديك) في باريس... وهو من أفضل معاهد السينما في العالم.

في عام ١٩٦٩ أيضا كان كاتب السيناريو الملتزم فرانكو سوليناس يتمتع، هو الآخر بإنجاز فيلمه المضاد للاستعمار «كيماوا» أو «احرق!»، كما أسمته الشركة الأمريكية الموزعة يونايتد آرتستس، من إخراج رفيقه في الالتزام السياسي جيلو بونتيكورفو. وكان «احرق!»، أول أفلامه الأمريكية، ومن تمثيل نجم رئيسي هو ماريو براندو. وقد شهد سوليناس، من قبل، نجاحا ملحوظا عند عرض فيلم بونتيكورفو التاريخي «معركة الجزائر» عام ١٩٦٦، والذي كتب له سوليناس السيناريو. ومنذ بداياته في عام ١٩٥٥، عمل سوليناس مع مخرجين تقدميين في موطنه إيطاليا وخارجها. فكتب سيناريوهات لفرانشيسكو روزي وروبرتو روسيلليني وداميانو دامياني وبونتيكورفو، ثم لجوزيف لوزي وكوستا جافراس (بالمشاركة معه في كتابة فيلم «حصار» (١٩٧٣) قبل أن يكتب سيناريو «هانًا.ك» بعد ذلك بثمانية أعوام.

في عام ١٩٦٩، وتحت ظلال دبابات معركة الكرامة في عام ١٩٦٨ التي أعلنت ظهور حركة المقاومة الفلسطينية، لأول مرة، ثم حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية، فكر كوستا في التعرف على المشكلة الفلسطينية، ربما بهدف إنتاج فيلم عنها.

وقام كوستا بزيارة استطلاعية برفقة سوليناس لمدينة بيروت وزار مخيمات الفلسطينيين فيها... ولكن كليهما اتفق على أن تناول القضية الفلسطينية عبر فلسطينيي لبنان، لن يكون مناسبا... كان من الضروري إنجاز فيلم داخل فلسطين المحتلة... وفي عام ١٩٧٠ كان المخرج الفرنسي جان بوك جودار يقوم بزيارة إلى غور نهر الأردن. ليتحسس مشروعا سينمائيا محتملا، عن المقاومة الفلسطينية. ولكنه ظل مشروعا لم يتحقق.

ولكن مشروع كوستا وفرانكو ظل حيا، إلى أن عثر هذا الأخير على إلهامه في أقصوصة بعنوان «بارتلبي» لروائي أمريكي «هيرمان ملفيل» تدور حول رجل يثير حضوره، مجرد حضوره المادي والمعنوي، أزمة وارتباكا بين الحاضرين... وأحس سوليناس بأن هذا هو بالضبط ما يريد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التعبير عنه في الفيلم المشروع... رجل فلسطيني «يحضر» إلى إسرائيل فيثير حيرة وارتباكا بسبب وجوده غير المرغوب فيه.

وهكذا أمكن لكاتب السيناريو تجنب تناول الموضوع الفلسطيني في زحام الشعارات السياسية المطروحة في سوق السياسة شرق الأوسطية، مما قد يعرضه للاستقطاب. وربما رفض رسالته كلية من الجيل المعني بالتغيير، خاصة داخل إسرائيل. تناول سوليناس القضية الفلسطينية من منظور فلسفي إنساني عميق، مستند إلي أحقية قانونية، مؤكدة، وبهذا يمكن للعرض الهادئ أن يتظاهر بالهدوء ويتسلل بفكرته الجوهرية حول حق هذا الرجل في بيته المغتصب، إلي الجمهور الذي أنتج له الفيلم أصلا.

في عام ١٩٧٩ انضممت إلى الناشطة الفلسطينية في الكويت عبير الدجاني طوقان في السعي لتدبير مبلغ ١٥٠,٠٠٠ دولار لتكليف فرانكو سوليناس بكتابة السيناريو. وفي أولى جولاتنا نجحت في الإيقاع بالكاتب رئيس تحرير الوطن وقتها، محمد مساعد الصالح الذي استجاب، بحس وطني أصيل، بدفع فوري لعشرة في المائة من المبلغ الإجمالي. وتوالت المساهمات لدعم المشروع الذي اكتسب أهميته أيضا من قوة حضور الأسماء المشاركة (جافراس وسوليناس وكلايبورج). ووصلت توقعات المساهمين والمشاهدين العرب إلى ذروتها مع إعلان بدء تصوير الفيلم في إسرائيل في أكتوبر ١٩٨٢، بعد أن اكتملت حلقة التمويل من شركة كوستا جافراس للإنتاج ومن التلفزيون الفرنسي - القناة الثانية - ومن أكبر شركة إنتاج وتوزيع فرنسية وهي جومون. وأخيرا من أكبر استديوهات هوليوود وهو يونيفرسال.

وتوقع الجميع «نرد» آخر... شخصيات واضحة الدوافع والأهداف تماما، والأمور جلية لا ظلال فيها بين الأبيض والأسود. بل إنني تذكرت وقتها عبارة فنان السينما السوفييتي الرائد سيرجي أيزنشتين الكاشفة: «إن الامتلاء الأيديولوجي هو الذي يصنع الفن العظيم».

وعندما عرض الفيلم لم يفطن جل المشاهدين إلى أن قوة الفيلم تتبدى وتفعل فعلها، فيما يبدو، أنه نقطة ضعفه! افتقار كوستا في «هانا.ك» إلى الامتلاء الأيديولوجي الذي كان من الممكن أن يجعل من فيلمه عملا ذا قلب نابض بالحياة!

ولكن الذين أصدروا أحكاما على الفيلم بالبرود (من غير الصهاينة بالطبع)، كانوا يفكرون بتوقعاتهم من كوستا «زد - الاعتراف - مفقود» بدلا من التفكير والتفاعل مع فكرة الفيلم القانونية الدامغة التي فرضت أسلوبها الهادئ في العرض والتناول.

وهذا هو بالضبط ما جعل الكاتب الروائي الطاهر بن جلون يرى أن «سوء الفهم هذا هو الذي أدى إلى سوء تقدير العرب للفيلم، لأنه فيلم فريد في سياق الحياة السينمائية لجافراس. فهو لم يرد القطع بالخير والشر في الشخصيات كما فعل في أفلامه السابقة، بل ترك الجميع أمام المعضلة التي يخلقها مجرد وجود الإنسان الفلسطيني... فهو إنسان طرد من بيته ويريد أن يعود إليه لا أكثر. ومن هنا تنشأ المعضلة في الوعي الإسرائيلي: إذا أردنا أن نعطيه حقا في بيته فسنصبح مضطرين إلى الاعتراف بحق مليوني نسمة في بيوتهم... إن جافراس أكد مسألة أن الشعب الفلسطيني شعب موجود. والصهيونية لا تريد أن تلغي وجود الشعب الفلسطيني وتطرده من أرضه وحسب، بل إنها لا تعترف بوجوده أصلا... ويستدرك بن جلون قائلا: «لعل الفلسطينيين وحدهم استطاعوا أن يدركوا الحقيقة الكامنة في «هانا.ك» بأبعادها السياسية والإنسانية والتاريخية.

الكاتب الفلسطيني الأمريكي إدوارد سعيد فهم الرسالة تماما حين تحدث في مقال له «أحقية الأرض المقدسة» التي تفصح، فضلا عن المأساة الأخلاقية، عن مأساة شعب لا يملك حق المساواة مع شعب آخر فوق أرض يطالب بها كلاهما... بل على العكس يتمتع شعب واحد منهما بكل هذه الحقوق من دون وجه حق (كالعائلة الروسية التي تعيش فوق أرض لا تملكها ولا تعرفها).

أما إريك رولو كاتب جريدة «لوموند» الفرنسي المناضل من أجل القضية الفلسطينية بوجه خاص، فيكتب مقالا تحت عنوان «هانا.ك وحرقة التشرد» يذهب فيه إلى أن «اكتشاف البيت الذي يطالب به سليم كان هو الزناد الذي فجَّر ردة الفعل عند «هانا» التي تستمر في تحرياتها قبل المحاكمة... لتواجه بكل ما لديها من أدلة تشير بأصابع الاتهام إلى المأساة التي تمثل حقيقة المشكلة.

حتى اسم القرية الفلسطينية، كفر رمانة، طمست ملامحه من الخارطة... ليصبح كفار ريمن، مستوطنة يهودية لصناديق مرممة، بُنيت على عجل على أنقاض سكانها العرب الأصليين... بعد أن اجتثوا ليفسحوا الطريق أمام مهاجري الاتحاد السوفييتي... الذين لا يعلمون أنهم ينتزعون ما هو حق للسكان الأصليين منذ زمان سحيق...».

وتابع رولو: «بيت سليم... الذي يمكن أن نقول أنه محور الفيلم، هو البناء الوحيد الذي ظل صامدا يحكي قصة إزالة قرية بأكملها... يمد هذا البيت جذورا عميقة في باطن الأرض... تحوطه أعشاب برية صغيرة، تصارع ضد الفناء، وهذا الظلم والاحتلال... ويرمز هذا البيت لحلم الفلسطينيين بالعودة... حلم الأرض والوطن والدولة!»

ينتهي الفيلم ليبدأ استيعاب المشاهد لواحد من أعظم الأفلام الروائية الغربية عن القضية الفلسطينية.

يحقق جافراس هنا زواجا رائعا وخلاقا بين شريط الصورة وشريط الصوت الذي يحق للكتّاب الصهاينة الشكوى منه... فالشريط عربي، كالأرض العربية، والموسيقى تعطي إشارات واضحة لموسيقى جون ويليامز لفيلم سبيلدج «في نجمة شندلر» في عام ١٩٩٣... موسيقى بالغة التأثير لجابرييل يارد لا تخلق الجو وحسب، بل وتعلق على الأحداث أيضا، وتنقل الانفعال من طبقة إلى أخرى ومن مشهد إلى آخر.

ماذا بقي للصهاينة على شريط الصوت؟!

صوت صراخ عربات الشرطة!

على إيقاع فيلم هادئ يصل ويؤثر بفلسفته الواثقة أكثر من أي عمل زاعق ذي تأثير لحظي .

فكوستا جافراس هو أولا وأخيرا مؤمن بالسلام... والنضال من أجل تحقيقه في أفلامه الروائية الموثقة وليست الوثائقية... بعد عشرين عاما عدت كما لو كنت أشاهد الفيلم للمرة الأولى... فوجدته طازجا، نضرا، وثوريا... كغاندي... القوي في هدوئه...

أما النمر الذي قفز من جديد وقتل، فإنه سيموت حتما... سيموت حتما! ◆

المنظمات الصهيونية تدعو إلى مقاطعة الفيلم والمخرج

في العاشر من أكتوبر عام ١٩٨٣، أصدرت «عصبة الدفاع عن السمعة» اليهودية الأمريكية، وهي فرع من واحدة من كبرى الجمعيات الصهيونية الأميركية «جمعية بناي بريث»، بيانا على شكل تعميم بثته إلى جميع أعضائها النافذين في وسائل الإعلام الأمريكية... ولم ينشر البيان. التعميم في أي مطبوعة بالطبع، لأنه يظهر الطبيعة والآلية التي تعمل وفقها المنظمات الصهيونية الأمريكية، خاصة في مجال الإعلام... ولكن المنتجة ميشيل راي. غازاسل (زوجة المخرج) زودتني بنسخة منه، حصلت عليها قبيل عرض الفيلم على نطاق واسع في الولايات المتحدة.

تعميم

إلى: جميع مكاتب «عصبة الدفاع عن السمعة»

من: كين جاكيون

التاريخ: ١٠ أكتوبر ١٩٨٣

الموضوع: فيلم «هنا.ك».

نسخ للعلم إلى اللجنة القومية لعصبة الدفاع عن السمعة، وإلى مجلس إدارة جمعية بناي بريث، وإلى أبراهام فوكسمان، ولجنة شؤون الشرق الأوسط، ولجنة الشؤون الدولية بالعصبة، وإلى لجان اتحادات أخرى.

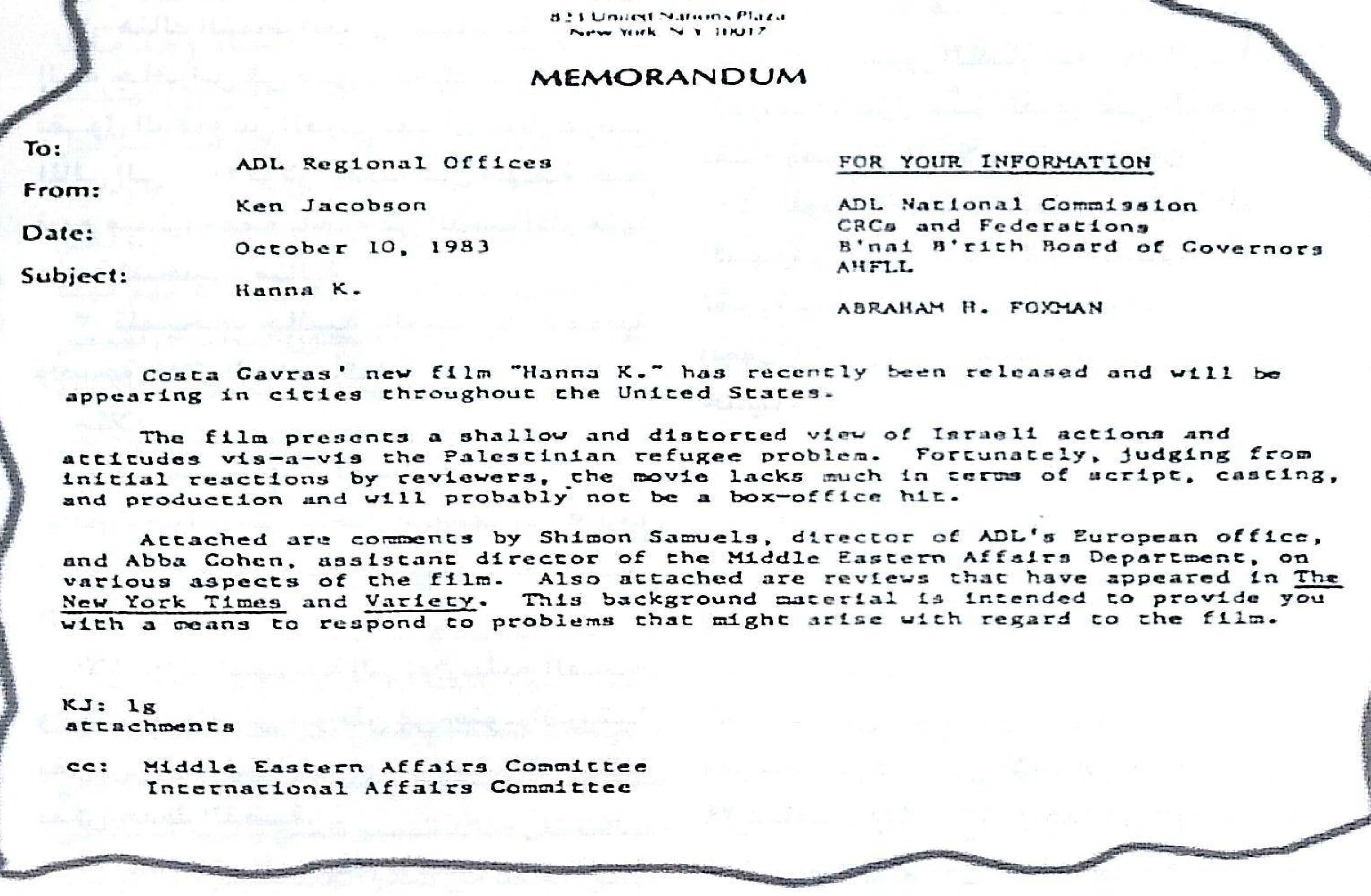

ANTI-DEFAMATION LEAGUE
OF B'NAI B'RITH
823 United Nations Plaza
New York, N.Y. 10017

MEMORANDUM

To: ADL Regional Offices
From: Ken Jacobson
Date: October 10, 1983
Subject: Hanna K.

FOR YOUR INFORMATION
ADL National Commission
CRCs and Federations
B'nai B'rith Board of Governors
AHFLL
ABRAHAM H. FOXMAN

Costa Gavras' new film "Hanna K." has recently been released and will be appearing in cities throughout the United States.

The film presents a shallow and distorted view of Israeli actions and attitudes vis-a-vis the Palestinian refugee problem. Fortunately, judging from initial reactions by reviewers, the movie lacks much in terms of script, casting, and production and will probably not be a box-office hit.

Attached are comments by Shimon Samuels, director of ADL's European office, and Abba Cohen, assistant director of the Middle Eastern Affairs Department, on various aspects of the film. Also attached are reviews that have appeared in The New York Times and Variety. This background material is intended to provide you with a means to respond to problems that might arise with regard to the film.

KJ: lg
attachments

cc: Middle Eastern Affairs Committee
International Affairs Committee

نص التعميم

أعد فيلم كوستا جافراس الجديد «هنا.ك» للعرض أخيرا، وسيوزع في عديد من المدن عبر الولايات المتحدة الأمريكية.

ويعرض الفيلم رؤية ضحلة وشوهاء للمبادرات والمواقف الإسرائيلية تجاه قضية اللاجئين الفلسطينيين، ومن حسن الحظ فإنه من المحتمل ألا يحقق الفيلم نجاحا تجاريا في ضوء ردود الفعل الأولى للنقاد، فالفيلم يعوزه الكثير، كعمل سينمائي، في السيناريو واختيار الممثلين والإنتاج.

نرفق لكم تعليقات نقدية كتبها شيمون صامويلز مدير المكتب الأوروبي لعصبة الدفاع عن السمعة، وأباكوهين المدير المساعد لقسم شؤون الشرق الأوسط، يتناولان فيها جوانب مختلفة في

صاح فيه
الرقيب
الإسرائيلي
«قل لي: من أنت؟
ومن أين جئت؟!
ما اسمك؟!
يجيبه الشاب بصوت
تنم نبراته عن رقة وثقة
غير متوقعة
سليم... سليم بكري...
قيد الرقيب يدى
الشاب خلف ظهره ودفع
به نحو الشاحنة
ليضمه إلى
معتقلين
آخرين...

الفيلم، كما نرفق لكم أيضا مقالات نقدية نشرت في «النيويورك تايمز» و«الفراين». إن هذه المادة يمكن أن توفر لكم وسائل لمجابهة أي مشكلات يمكن أن تنشأ من جراء مشاهدته.

المرفقات

مذكرة من
مراقبة وسائل الاتصال
من: شيمون صامويلز
التاريخ: ١٥ سبتمبر ١٩٨٣
الموضوع: «هنا. ك»

كجزء من نشاط المكتب الخاص في «عصبة الدفاع عن السمعة» والمتعلق بمراقبة العنصرية في وسائل الاتصال، فإننا سنسعى، من وقت إلى آخر، لتزويدكم بمعطيات تفيدكم في تحليلاتكم، بأن نتطرق إلى أمور خارج نطاق الصحافة والتلفزيون أو الراديو.

وفي هذا الإطار، فإن مذكراتنا قد تتناول أيضا الكتب والمسرحيات أو الأفلام، التي يمكن أن تؤدي إلى استغراقنا التام في معالجتها، بسبب افتقارها إلى التوازن في تناول قضايا من صلب اهتماماتنا.

والحالة الجديدة هي الفيلم الذي بدأ عرضه للتو في أوروبا:

«هنا.ك.» من إخراج كوستا جافراس الذي اشتهر من قبل بنجاحه التجاري في فيلمي «زد» و«مفقود»، والفيلم من بطولة الممثلة الأمريكية جيل كلايبورج وتدور أحداثه أساسا في أورشليم.

ولم يتلق الفيلم حتى الآن تعليقات تنم عن إعجاب كبير، مما قد يؤدي في هذه الحالة إلى موته موتا طبيعيا. ولكن إذا كان مع ذلك سيعرض في مدينتكم، فقد ترغبون في الإفادة من التعليقات التالية في خطابات ترسلونها إلى الصحافة المحلية.

هنا كاوفمان، يهودية بولندية أمريكية مهاجرة إلى إسرائيل بعد أن عاشت فترة في باريس، وبعد أن فقدت عائلها في الهولوكست. مذابح النازي لليهود. هجرت زوجها الفرنسي الكاثوليكي، وأتت إلى أورشليم لكي تعالج أزمتها مع هويتها، وبعد أن حصلت على درجة في القانون في الوقت الذي كانت فيه على علاقة مع المدعي العام الإسرائيلي. وقد حملت منه. تجد نفسها منهمكة بانفعال في الدفاع عن متسلل فلسطيني يرفع قضية على الدولة، مطالبا بإعادة ممتلكات أسرته التي تركتها في حرب الاستقلال عام ١٩٤٨.

إن هذا الفيلم يمكن أن يوفر خلفية دعائية جيدة جدا لمنظمة التحرير الفلسطينية بما يطرحه من معالجات سهلة موغلة في التبسيط... ومن تلميحات ومعلومات غير دقيقة ومفارقات ساخرة، استخدمت جميعها في تصوير مشكلات اللاجئين الفلسطينيين والضمير اليهودي.

وهكذا فإن نقاط النقد يمكن أن توجه، مع نقاط أخرى، لإلقاء الضوء على مناطق الضعف التالية، سواء كانت مناطق متعمدة، حدسية أو عرضية.

تلميحات

١- سواء كان ذلك ناتجا عن جهل أو سوء نية، فإن أورشليم، تظهر كما لو كانت عربية، هذا على الرغم من حقيقة أنها كانت طوال تاريخها مكانا تعيش فيه أغلبية يهودية، وقد حقق الفيلم هذا التأثير باستخدام خلفية موسيقية عربية طوال الوقت، واختيار مناظر بدا أنها تتجنب إظهار الشخصية اليهودية للمدينة، وبدا أن الفاشل الوحيد الذي تخلل شريط الموسيقى العربية، هو صوت سارينة سيارات الشرطة اليهودية.

٢- هناك النمط المعادي للسامية، وقد لمح إليه جافراس في صورة اتخاذ البطلة قرارا بقبول الدفاع عن العربي بعد أن يصل عرضه المالي إلى ٢٠٠٠ دولار، وهكذا فإن مهمة «هنا» تبدو مبدئيا مهمة باحثة عن الذهب أكثر منها مهمة لشخصية مثالية.

٣- تلميحات جانبية بالعنصرية اليهودية واضحة خلال الفيلم بأكمله.

مثلا:

حنق المدعي العام الإسرائيلي على العربي سليم لتجرئه على انتحال اسم يهودي، عندما انضم إلى مجموعة سياحية يهودية تغادر لندن إلى إسرائيل.

الإشارات اليهودية إلى لون سليم الفاتح، وإمكان تحوله إلى مواطن في جنوب أفريقيا بغرض حل مشكلة عدم وجود وطن له، وهكذا يمكن حفظ القضية.

٤- يبدو أن الفيلم يؤكد إنسانية الفلسطيني في مقابل تعصب اليهود مثلا.

- تأثير مشهد البرت ميلا، حيث نرى الموهيل يحصل الدم من عضو طفل خُتن حديثا.

- صورة «هنا» كامرأة محامية وهي تتلقى ملخصا قانونيا من رئيسها الذكر الشوفيني العنصري بطريقة معينة في هذا الوقت، الذي تقطعها فيه نظرات زبائنه اليهود الهاسيديين إربا إربا.

٥- يتأكد الانطباع بالتعصب اليهودي أيضا في المشاهد السياسية. إذ لا توجد أي إشارة إلى عذابات الخلاف داخل إسرائيل أو إلى حركة السلام، حين يبدو أن كل اليهود يعتبرون كل العرب إرهابيين ما لم يكونوا «أونترمينشين» كلمة ألمانية كانت تستخدم بمعنى أيديولوجي في أوج ازدهار الفلسفة النازية، معناها الحرفي (مخلوقات بشرية من الدرجة الثانية). إن الفيلم يقدم «هنا» وطبيب السجن، كقوتي النور الوحيدتين اللتين تتصديان لكراهية يهودية حجرية للعرب، متجسدة في شخصية المدعي العام المتصلب، ويصل التصوير الكامل لهذا الموقف إلى قمته في المشهد النهائي، بوصول قوات الشرطة الجبارة المدججة بالسلاح حتى الأسنان للقبض على سليم، العربي الوحيد الأعزل من السلاح والذي كان قد فر فعلا، ويذكرنا هذا المشهد بفيلم «آي.تي» حيث نرى شرور الكبار معبأة كلها لطرد الغريب الأعزل غير القادر على الدفاع عن نفسه وصديق كل الأطفال البريئين.

٦- لتوكيد الانطباع بالطابع الغريب للوجود اليهودي في فلسطين، فإن الساكن الحالي لقرية سليم كفر رومانا. المعروفة الآن بكفار ريمون - ليس سوى عائلة روسية مهاجرة حديثا.

عدم دقة

١- يضيع الطريق الممتد بين كفار ريمون وأورشليم. ونقطة التفتيش عبره. المستوطنة في مكان ما في الضفة الغربية، وهكذا فإن «سليم» سيكون قد عاش في أطلال معسكر اللاجئين في جيريكو الذي نراه في الفيلم، وهو معسكر كان تحت الاحتلال الأردني لفترة ٢٩ عاما (١٩٤٨-١٩٦٧). هذا في الوقت الذي كان لا بد من أن يقع منزله في منطقة تحت الإدارة الأردنية، وهنا يمكن للمرء أن يتساءل: لماذا لم ترفع دعاوى قبل احتلال إسرائيل للضفة الغربية في حرب الأيام الستة؟

٢- حتى مع افتراض أن كفار ريمون تقع في داخل الخط الأخضر وليس في الضفة الغربية، فإن «سليم» لم يكن ليحصل على تأشيرة دخول عادية لإدارة إسرائيل في فترة ما قبل ١٩٦٧، إن تسلله عبر الحدود والطلبات التي وجهها إلى الوزارات المختلفة، مجرد عبث في ضوء حقيقة أو أكثر من مائة ألف عربي، كانوا يزورون إسرائيل كل عام عبر الجسور الأردنية في بواكير السبعينيات.

٣- يتضح الاعتدال العربي في استشهاد سليم بالآية القرآنية، المكتوبة فوق منزله السابق «قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد»، ومع ذلك ففي موضع آخر من الفيلم، توصف الكتابة نفسها بأنها من آثار القرن الخامس البيزنطية قبل نزول القرآن بوقت طويل.

مفارقات

١- «هنا.ك» قبل كل شيء هو إدانة للنظام القانوني الإسرائيلي... يوحي بوجود رقابة سياسية صارمة للنظام القانوني، ويصور «هنا» كمحامية «تُشترى» بفاعلية لكي تصل إلى حل وسط في قضية موكلها، وفي ضوء القضايا القانونية التي لا تحصى في إسرائيل، خاصة تلك التي يترافع فيها محامون من أمثال المحامية فيلتسيا لانجر. فإن تلك القضايا لا تخدم جيدا صورة البلد كعلاقات عامة، في ضوء ذلك فإن الإدانة لهذا النظام الواردة في الفيلم يمكن أن تعد نوعا من التشهير.

٢- يضع فيلم «هنا.ك» أيضا الشخصية الديموقراطية الإسرائيلية موضع الاتهام، على رغم أن الفيلم قد صور في ذلك البلد بمساعدة وتعاون الشرطة والجيش والصناعة السينمائية الوطنية، وفي الواقع فإن حقيقة أن «سليم» وهو متسلل إرهابي مشتبه فيه قد سمح له بالتجول بحرية حول أورشليم وبقية البلاد من دون مراقبة قد أغفلت من الفيلم، كما لم تبرز كتعليق لمصلحة إسرائيل، وفي الختام فإن قوى النور والظلام محددة بشكل كامل في «هنا.ك» إلى الحد الذي يصعب معه اعتباره ممارسة فعلية في تحليل الصراع العربي. الإسرائيلي للمصلحة العامة، فلليهود ملامح ملطفة في الوقت الذي يتضح فيه أكثر وأكثر أن العربي هو الضحية الإنسانية لمأساة لا يبدو أنه مسؤول عنها.

وهكذا فإن الرسالة الكامنة في الفيلم تتضح كالبللور: فأهل الضمائر الحية هم فقط القادرون على تفهم قضية سليم، أما جوشوا. المدعي العام. فهو رجعي عسكري في الوقت الذي تكون فيه «هنا» الأداة الضعيفة وغير المؤثرة لضمير شديد الاضطراب إلى حد يصعب عنده استحقاقه للتعاطف.

لذا عندما يعرض الفيلم في مدينتكم، فإننا ننصحكم بأن تبرزوا كل ما أثير سابقا، وأي ملاحظات إضافية خاصة بعدم الدقة والتلميحات القانونية، اكتبوا ذلك وضعوه في رسائل إلى صحافتكم المحلية... خاصة إذا نشرت أي مقالات مؤيدة لوجهة نظر الفيلم.

انتهى التعميم ◆

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كوستاجا فراس
الأول من اليمين...
«أعتقد أن الناس يتصرفون تجاه القضية الفلسطينية بشكل انفعالي، وانطلاقا من إعلام بالغ السوء. يجب أن نعي هذه المسألة. على كل أنا نفسي لم أكن أعرف عنها شيئا... لقد اكتشفت أن يهود روسيا يذهبون للإقامة، حيث كان يعيش الفلسطينيون، في حين أن الفلسطينيين الذين يعيشون في مخيمات مبعثرة حول العالم، لا يملكون حق زيارة بيوتهم».

كوستا جا فراس:*

التاريخ هو الموالي للفلسطينيين وليس فيلمي!!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كيف قررت أن تخرج فيلم «هنا. ك»؟ هل أتتك الفكرة هكذا، في يوم من الأيام أم كان الفيلم نتيجة تصميم على مسار ما؟

نعم. التصميم على مسار طويل، فمنذ اثنتي عشرة سنة كنت أفكر في فيلم عن الشرق الأوسط، وفي ذلك الوقت اقترحوا عليّ أن أحول كتاب «آه يا قدس» إلى عمل سينمائي، وقد جربنا العمل، ولكننا لم ننجح فهذا الكتاب، كما اعتقدت حينها، كان يعالج جانبا من القضية التي أريدها.

لهذا السبب لم تنجح؟

إن كتاب «آه يا قدس» لـ «كولان لابيير» لم يعالج سوى مسألة الإسرائيليين، وأهمل الطرف الآخر. على كل حال، الكتاب لم يكن عميقا بما فيه الكفاية، كما أن فكرة عمل فيلم يحتفظ بالأسلوب الفني للكتاب لم ترق لي، لأن «الفنية» موجودة لدى من يخلق بلدا، أقصد الإسرائيليين، أما بالنسبة إلى الذين فقدوا بلدا، أقصد الفلسطينيين، فلا يمكن أن تكون هناك تقنيات فنية، ولهذا السبب تركت المشروع، وبعد ذلك، وعلى مر السنين، جاءني منتجون أوروبيون وفلسطينيون، وأرسلوا إلي أحيانا ملفات، كما جاءني أيضا إسرائيليون، كيوري أفنيري، الذي أرادني أن أذهب إلى فلسطين لأخرج فيلما هناك، كما طلب مني صحافيون ذلك أيضا، كل هؤلاء جاءوا إليّ حاملين أفكارا مبطنة، أو رؤى معينة للفيلم الذي يريدون مني أن أعمله.

كانت فكرة عمل فيلم عن فلسطين تعاودني طوال الوقت، وهذا بدوره ما كان يحس به فرانكو سوليناس.

لماذا ترددت طويلا؟

كنت أبعد الفكرة دوما، لأن الناس كانوا مصابين بهوس الأحداث، وبحقيقة اللحظة التي لم تكن -حسب زعمي- تعكس الحقيقة التاريخية.

بعد ذلك فوجئت بحدثين: في إحدى الأمسيات شاركت في اجتماع لتوقيع نص حول اليهود الروس، وبعد انتهاء الاجتماع، توجهت لزيارة مجموعة من الأصدقاء، وهناك كان شخص يتحدث: لقد كان في إسرائيل، ووجد أن بيته قد ضم لـ «موشاف» كان يسكنه الروس.

لقد كان الأمر مدهشا بالنسبة إليّ، ففي اليوم نفسه استمعت إلى لمحتين مختلفتين من الحقيقة، وبعد ذلك اكتشفت أن المتحدث كان فلسطينيا، وقد حصل على جواز سفر أمريكي، واستطاع أن يعود إلى القرية التي ولد فيها، وكان هذا الفلسطيني يتكلم العربية التي تعلمها في شبابه، وبعد أن قضى وقتا قصيرا في القرية طلب أن يرى بيته، عندها عرفوا من هو، منعوه من رؤية بيته، وأجبر على مغادرة القرية، من خلال هذه القصة اكتشفت حقيقة أخرى لم تكن مكتوبة في الصحف. لقد استمر كل هذا عشرة أعوام، وبعد ذلك قلنا -أنا وفرانكو سوليناس- يجب أن نجرب، وتوجه سوليناس إلى بيروت.

وعاد من بيروت حائرا، واعتقد....!

بعد عودته لم يعد يعرف من أي طرف يجب الإمساك بالفيلم، فالتقاط الحقيقة أصبح أمرا متعذرا في بيروت، قصة بيروت سحرته قليلا، بل سحر بهذا النوع من المدن التي هي في حالة حرب، وسحر بالمخيمات التي زارها، وبالأوروبيين الذين يعملون مع الفلسطينيين في المخيمات.

هل كان تمثيل «هنا. ك» صعبا؟

لا، لكن أعتقد أن الناس يتصرفون تجاه القضية الفلسطينية بطريقة انفعالية، وانطلاقا من إعلام سيئ جدا، يجب أن نعي هذه المسألة، على كل أنا نفسي لم أكن أعرفها، فكما قلت لك لقد اكتشفت أن يهود روسيا يذهبون للإقامة حيث كان يجب أن يعيش الفلسطينيون، في حين أن الفلسطينيين الذين يعيشون داخل مخيمات مبعثرة في العالم، لا يملكون حق زيارة بيوتهم.

انت المطلع على الأحداث، كيف تفسر أنك لم تكن تعرف، عمليا، أي شيء عن القضية الفلسطينية؟ أكان من الواجب أن يجيء الناس إليك، بصفتك فنانا، كي تهتم بهذه القضية؟

كنت أعرف، ولكنني كنت أرفض أن أعرف، أو أن أبحث عن القضية بشكل جاد، وذلك لسبب رئيسي لدينا نحن الأوروبيين، وهو فكرة أن شعبا تعرض للذبح طوال تاريخه، وخاصة خلال هذا القرن، وجد بلدا، على حين فجأة، وجد مكانا للإقامة من دون مشكلات، ومن دون تهديد بالغرق مجددا، وقد استخدمت إسرائيل تصريحات تعود إلى زمن طويل حول قومية إسرائيل بشكل بعيد، وهذه المعطيات جعلتني أقول لنفسي: عندهم حق، يجب مساعدتهم مهما فعلوا، حتى لو بالغوا وتجاوزوا، يجب أن نغمض أعيننا في وقت يواجهون فيه تهديد الإبادة مجددا، إنه في اعتقادي رد فعل مشروع، ولكن بالنسبة إلى أناس يحاكمون الوضع انطلاقا من عقدتهم الأوروبية.

وفي موازاة ذلك كانت هناك ظاهرة أخرى: تحريف اللغة، فبسرعة شديدة أصبح الفلسطيني، رديفا للإرهابي، وبسرعة جنونية أصبحت كلمة الإرهابي مرادفة للفلسطيني، هكذا أبعد الفلسطيني إبعادا أخلاقيا كاملا، وفي أعماقنا كان هناك تفسير نفسي وتبرير ميكانيكي ويومي، يحط من قدر الفلسطيني إلى درجة وصفه بالشرير.

بماذا تمايزت ردود الفعل المختلفة، الفرنسية والأمريكية، العربية والإسرائيلية؟

أعتقد أن العرب كانوا يفضلون رؤية فلسطين أكثر بطولة وتسييسا، لأن صورة الفدائي عندهم غنائية، وهذا مشروع، صحيح أن الفدائي يناضل من أجل الحرية، ولكن هذا ليس موضوع الفيلم، كما أن أمر إرضاء الطرفين: الفلسطيني والإسرائيلي ليس موضوعيا.

إنك تتحدث عن الأرض كبطل خامس في الفيلم، لماذا؟

الأرض في حد ذاتها شخصية، ولقد ترددت طويلا حول عنوان الفيلم، لقد أوشكت أن أطلق عليه اسما مقتبسا من عبارة قالها «ماو»: (سرير واحد لحلمين)، «ماو» لم يقل هذه العبارة عن موضوع الأرض، ولكن عن موضوع النظام الاجتماعي، ولكن الحقيقة في الشرق الأوسط هي التالية: السرير هو الأرض، هناك أرض غير قابلة للتمدد وشعبان قابلان للتمدد، وفي الواقع فإن الأرض هي شخصية أساسية في الفيلم.

فـ «هنا» تترك الأرض التي تمتلكها لتذهب إلى أرض جديدة.

وسليم يتجول في الأماكن التي عاش فيها ليعود إلى الأرض ذاتها.

الأرض والتوطين الجديد، هما صورتان دائمتا الحضور في الفيلم.

هل الطريقة التي استقبل بها «هنا. ك» تعبر عن صعوبة الطريق الذي يؤدي إلى السلام؟

إن طريقة استقبال الفيلم هي مقياس لهذه الصعوبة، لأنه في اللحظة التي يتم فيها التحدث عن شيء ما بطريقة مختلفة، فإن الناس لا يستمعون، تذكر عندما قال كرافسشينكو، للمرة الأولى إن هناك معسكرات اعتقال في روسيا، هاجمه الجميع.

حسنًا، الكل قال لي إنني عملت فيلما «مواليا للفلسطينيين»، وبهذا كانوا يلمحون إلى أن الفيلم لا يمكن أن يكون حقيقيا أو جيدا، ولكنني لم أخرج فيلما يناصر الفلسطينيين، إن الوضع التاريخي هو الموالي للفلسطينيين، فهم شعب «محتل» «يحتله» شعب آخر.

إن الاحتلال يعني إلغاء حرية خيار السكن داخل بيته، إنني أتحدى أي مخرج يستطيع إخراج فيلم يبرر هذا الوضع، من غير أن يعطي انطباعا بأنه موالٍ للفلسطينيين.

استطعت في معظم أفلامك استلهام وقائع محددة، وفي «هنا. ك» قمت ببناء الموضوع، لِمَ هذا الانعطاف؟

في البداية لم يكن هناك حدث معين، يسمح لي بتجسيد تفكيري حول الموضوع، ولكن إذا كانت السمات العامة متخيلة، فإن الباقي حقيقة جغرافية وتاريخية واجتماعية، وحقوقية (سليم في حاجة إلى جواز سفر آخر ليوجد، والحقيقة هي هكذا)، بل وأكثر من ذلك، فإنني أقول إن هذا الفيلم يعالج وضعا تاريخيا أوسع من أفلامي الأخرى: «الاعتراف» أو «حالة حصار» أو «Z» التي عالجت ميكانيكية محددة لنظام، ميكانيكية تتكرر في كل الدول، وتفسيرها السياسي كان مقتصرا على لحظة محددة، وهكذا بالنسبة إلى فيلم «مفقود»، بينما نجد الظاهرة الاجتماعية السياسية أوسع بكثير في فيلم «هنا. ك»، إنها محاولة للتحدث عن مجتمع كامل ◆

*** من لقاء أجراه الصحافي الفرنسي باتريس بارات مع المخرج كوستا جافراس وترجمه نبيل درويش ونشرته «الكرمل» في عام ١٩٨٤**

السينما الفلسطينية والانتفاضة

لا يمكن فهم الانتفاضة الفلسطينية إلا باعتبارها أحد أبرز أشكال الفعل النضالي الشعبي، وذلك على الرغم من استخدامها أكثر الوسائل بدائية (الحجر) في الوقت ذاته الذي تطمح فيه إلى التعبير عن أكثر القضايا تعقيدا في حياة الشعب والأمة (مفهوم الصراع العربي الصهيوني) والشروع في تولي مهمات الحسم فيه، وإن كان ذلك الحسم جزئيا أو مرحليا.

بشار إبراهيم - سوريا

الانتفاضة هي ذاك الفعل الذي يعتمد على تولي المبادرة والمبادأة الفلسطينية، الشعبية العامة، في الوقت ذاته الذي يتسم بالتردد والقلق العربي، لتكون (أي الانتفاضة) نشاز الحاضر في وقت الكلام والتصريحات واستراتيجيات السلام، وبمقدار ما تكون الانتفاضة - كفعل وسياق- بدائية وسهلة، وواضحة، بمقدار ما تتسم مجمل المواقف المرافقة لها بالارتباك والغموض والقلق، إن لم نقل بالتعقيد والأسئلة القلقة.

في هذه الدراسة نطمح إلى قراءة جوانب من تجربة السينما الفلسطينية في مواكبتها لفعل نضالي شعبي متميز، وتجربة كفاحية استثنائية، تلك التي تنضوي تحت عنوان كبير هو الانتفاضة... واستكشاف ما أرادت السينما (أو تمكنت من) قوله بصددها.

البدايات

منذ مطلع السبعينيات، كان لا بد للسينما الفلسطينية من أن تهتم بالانتفاضات الشعبية الفلسطينية، كموضوع كفاحي نضالي، خاصة أن هذه السينما، منذ نشوئها المرافق للثورة الفلسطينية، والذي دشنه إنجاز فيلم «لا للحل السلمي» لمصطفى أبوعلي عام ١٩٦٨، اعتنت برصد الأحداث التي تتالت بتنوعها وتأثيرها وعنفها، وكان للسينما أن حاولت قراءة هذه الأحداث ودراستها في شروطها التاريخية، في مسعى لتحليلها وتفسيرها ووضعها في سياق الثورة والنضال الفلسطيني الذي بدا صاعدا نحو تحقيق الأهداف التي أعلنتها الثورة بمختلف فصائلها.

ومن الضروري الانتباه، عندها، إلى أن الانتفاضات الفلسطينية التي تتالت منذ مطلع السبعينيات، كانت منطلقة بشكل أساسي من عوامل موضوعية وذاتية على صلة بواقع الفلسطينيين في أراضيهم المحتلة، وليس بتحريض أو دفع أو تخطيط من منظمة التحرير الفلسطينية، والثورة وفصائلها، من دون أن ننكر بالطبع الدور المهم الذي لعبته هذه المؤسسات في خلق المناخ الثوري بين الفلسطينيين، خاصة في الشتات، وتحويلهم من لاجئين إلى مناضلين وفدائيين، وهو أمر وإن بدا فاعلا في الانتفاضات، إلا أن اللافت حقا والجدير بالانتباه هو أن أقوى الانتفاضات تأثيرا، وأكثرها اتساعا شعبيا، وأطولها مدة، جاءت في لحظات خيبة الثورة، وتراجعها، وتدني مستوى أدائها، وانحسار شعبيتها.

واتكاء على هذا، سنجد أن السينما الفلسطينية، في البداية، تفاعلت مع الانتفاضات من موقع الثورة، لا من موقع الانتفاضة، ذاتها، بحيث ظهرت في هذه الأفلام العناية الفائقة بالتأكيد على أن الثورة الفلسطينية هي مرجعية الانتفاضات، أكثر من الاهتمام بإحالة الانتفاضات إلى مفاعيلها على الأرض، وبهذا فقد قامت معظم تلك الأفلام بالمزج، إلى حد كبير، بين أهداف الانتفاضات (وبالطبع كان لكل انتفاضة أهدافها الخاصة المرحلية الراهنة) وأهداف الثورة الفلسطينية (التي هي كما يفترض الأهداف الإستراتيجية).

وربما لم يكن من الممكن للسينمائي العامل في السينما الفلسطينية حينذاك (وهي في الحقيقة سينما الثورة الفلسطينية) أن ينظر إلى أي مفردة متعلقة بالشأن الفلسطيني، إلا من خلال عين الثورة الفلسطينية، بل بدقة وصراحة أكثر، من خلال عين الفصيل أو التنظيم الذي يمول الفيلم، فكان يمنح كل فيلم اللون الأيديولوجي المناسب للممول.

وفضلا عن الرؤية الذاتية التي انطلقت منها الثورة (عبر سينماها) للحديث عن الانتفاضات وتناولها، فإن الكثير من المعيقات والصعوبات كانت في الطريق إليها، لعل من أبرزها عدم تمكن أي من السينمائيين الذين اشتغلوا في السينما الفلسطينية، من الوصول إلى داخل الأرض المحتلة، حيث تبني الانتفاضات أحداثها (باستثناء انتفاضات التسعينيات)، وهذا ما جعل الأعمال السينمائية الفلسطينية المصوغة عن الانتفاضات تعتمد على المواد التي صورها سينمائيون أجانب، سواء أكانوا من الأصدقاء، الذين شجعت بعضهم الثورة لأداء هذا الفعل، أم من غيرهم، أولئك الذين وجدوا أن مقتضيات عملهم المهني، أو الأيديولوجي، تدفعهم إلى تصوير تلك الأحداث.

وعلى رغم أن فيلم «مشاهد من الاحتلال في غزة» لمصطفى أبوعلي عام ١٩٧٣، يعد من أول الأفلام التي اعتمدت على المشاهد التي صورها سينمائيون أجانب في الأرض المحتلة، إلا أن موضوعه لم يتصل بالحديث عن انتفاضة شعبية فلسطينية، بل بحديث الكفاح المسلح، والمقاومة الشعبية، والعمليات الفدائية ضد المحتل، وإن أخذ هذا الكفاح صيغة العمل الفدائي ذي البعد والعمق الشعبي، إلا أن الفيلم لم يطرح الانتفاضة كمفهوم وأسلوب نضالي.

وعلى هذا فقد كان فيلم المخرج رفيق حجار «الانتفاضة» المنجز عام ١٩٧٤، من بدايات حديث السينما الفلسطينية عن الانتفاضات، إذ يتوقف هذا الفيلم عند انتفاضة الفلسطينيين عام ١٩٧٤ التي امتدت لمدة عشرة أيام، في الضفة والقطاع، وهي واحدة من الإرهاصات التي شكلت مقدمة حقيقية للانتفاضة التي اندلعت بعد أقل من عامين، وأخذت من يوم الأرض الفلسطيني في ١٩٧٦/٣/٣٠ عنوانا لها.

جاءت انتفاضة الأرض بمنزلة ذروة نضالية شعبية فلسطينية، في قلب الأرض المحتلة عام ١٩٤٨، وأسست بوضوح لبدايات تجربة الانتفاضة الفلسطينية، ولمفهوم الانتفاضة أصلا، وكان أن شاهدنا فصولا من الانتفاضة في السينما الفلسطينية، في العام ١٩٧٨ عبر فيلمين: أولهما فيلم «حصار مضاد» للمخرج قيس الزبيدي، الذي يتناول بالوثيقة البصرية، ممارسات المحتل، ويبين المقدمات التي أدت إلى انتفاضة الشعب الفلسطيني، في السبعينيات، وأسست للانتفاضات

فلنقاطعهم.. وهذا أضعف الإيمان

إننا نعيش في
عزلة مهما فعلنا وخرجنا إلى الشوارع ورفعنا أصواتنا، وعلقنا الأعلام الفلسطينية على أعناقنا، ورسمناها على جدراننا، وزينّا بها ديكورات البرامج التلفزيونية لتغطية ساعات ساخنة وحية من البث المباشر لمقتل آلاف من البشر الذين يعاملهم شارون كحيوانات تستحق الإبادة، كل تلك المناظر لن تفيد إخواننا مادامت هذه الأصوات والمناظر عاجزة عن كسر حاجز التأثير في أنظمتنا. نعم... شعوبنا تصرخ وتستنجد وتبحث عن كل السبل لإيصال هذا الصوت إلى كل الأسماع، لكن يبدو أن الصمم أصاب تلك المسامع، ولا بد من أن نبحث عن كل السبل لإيصال صوت قوتنا وقوة صوتنا إلى كل مكان، ولا يمكننا استعادة القدس واستعادة عزتنا، وأن نتبوأ الموقع الذي نحن أهل له إلا بالعودة إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، وأن نتخلى عن الروح الانهزامية التي نعيشها. وإذا كانت المقاطعة هي أضعف الإيمان وأقرب إلى التنفيذ، وفي مقدور كل عربي ومسلم، وليست في حاجة إلى موافقة الأنظمة، فإنني أناشد كل عربي ومسلم في كل مكان أن يكف يده عن تلك المنتجات وأن يساعد على تحريم إدخال ما أنتجته المصانع الأمريكية والإسرائيلية والمصانع العميلة في بلداننا العربية والإسلامية، تلك التي تأتي بالمنتوجات من تلك الدول وتضع علامة الإنتاج المحلي عليها. علينا أن نتطهر من دنس التواكل، وأن نترك الخوف والروح الانهزامية والرعب من الأمريكيين، والله أولى أن نخافه وأن نمتثل أقواله وأن نقاتل في سبيله.

خالد الزدجالي - سلطنة عمان

اللاحقة. فيفضح ممارسات المحتل وصلفه، وثبات الفلسطينيين على رغم المأساة المحيقة بهم.

«حصار مضاد» فيلم تسجيلي وثائقي قصير (مدته ٢٠ دقيقة) استطاع الحصول على جائزة لجنة التحكيم الخاصة في مهرجان أوبرهاوزن ١٩٧٩. وتبدو أهمية الفيلم في قدرته على توظيف ما توافر بين يديه من لقطات. ومشاهد، وصور فوتوغرافية، ومن تسجيلات لتصريحات عدد من قادة وزعماء الاحتلال، كما تتبدى جرأة الفيلم في محاولة تقديم خطاب جديد في السينما الفلسطينية، من خلال التركيز على الداخل الفلسطيني، بفعالياته ومقاومته، كما بمعاناته ومكابدته، على رغم أنه لم يفلت من الإحالة المرجعية إلى الخارج، خاصة أن من مول الفيلم هو الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين، بالتعاون مع دائرة الثقافة والإعلام في منظمة التحرير الفلسطينية.

ويتوقف الفيلم الثاني، الذي حمل عنوان «يوم الأرض» للمخرج غالب شعث عام ١٩٧٨، و هو من إنتاج مؤسسة صامد، أمام أحداث انتفاضة الأرض الفلسطينية الشعبية، التي هبت في وجه المحتل، ضد سياسة مصادرة الأراضي التي كانت تتم بحجج وذرائع مختلفة، عام ١٩٧٦، ويقدم الفيلم العديد من الشهادات والحوارات مع فلسطينيين، من مختلف المواقع الفلسطينية ذات الصلة بالأحداث، ليقدم الفيلم نفسه إثر ذلك كوثيقة سينمائية عن واحدة من أبرز نهوضات الفلسطينيين، حتى ذلك الوقت، في وجه المحتل.

وينبغي أن نذكر أن الفيلم صيغ بمونتاج ومعالجة لكمية كبيرة مما حققه مصورون أجانب، حضروا إلى الأرض المحتلة، ونفذوا التصوير والتسجيل والحوار، من دون وجود سيناريو محدد يعملون على أساسه، وبعد وصول هذه المواد الخام إلى بيروت، حيث كانت منظمة التحرير الفلسطينية، نشأ تعاون بين كل من غالب شعث وقيس الزبيدي، كان نتيجته هذا الفيلم، من دون أن يستطيع إخفاء التعقيدات التي كانت تواجه السينما الفلسطينية.

حياة المخيمات على الشاشة

هكذا، يمكننا القول إن الانتفاضات الفلسطينية في عقد السبعينيات من القرن العشرين، وجدت أشكالا من التناول السينمائي الفلسطيني، وإن لم يكن مناسبا أو موازيا لأهمية الحدث، وجدواه، وفاعليته، ولكنه على رغم كل ذلك بدا كأنه الممكن المتاح الوحيد، الذي لم تكن تستطيع تلك السينما غيره، بغض النظر عما إذا كان هذا المتاح مفتوحا على خيارات أخرى، لم يرها أحد، أو لم يرد أحد رؤيتها، ولكنها تبدو، في كل حال، بمنزلة البدايات في هذا السياق.

التأسيس

شكلت الانتفاضة الكبرى، الثورة الشعبية الفلسطينية، التي انفجرت في أرجاء الوطن الفلسطيني المحتل عند نهاية العام ١٩٨٧، حافزا قويا، دفع وسائل الإعلام، والعاملين فيها، خصوصا المصورين والصحافيين الأجانب، إلى الحضور إلى الأراضي المحتلة، من أجل تسجيل فعاليات الانتفاضة اليومية، سواء بهدف نقلها عبر وسائل الإعلام ونشرات الأخبار، كمادة إخبارية إعلامية، أو من أجل صياغة أفلام تلفزيونية، أو سينمائية، تتناول هذا الحدث الكبير، الذي يدرك العالم الآن أنه أعاد إلى القضية الفلسطينية، وإلى الثورة، والنضال، الألق والتوهج، والاعتبار العالمي.

وعلى رغم أن انتفاضة ١٩٨٧ سبقها، خلال عقد الثمانينيات من القرن العشرين، عدد من الانتفاضات الشعبية، خاصة خلال وإثر اجتياح لبنان، وحصار بيروت، ومجزرة صبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢، وطيلة فترة الثمانينيات، ولكن هذه الانتفاضات لم يكن لها أن تحظى بالاهتمام المناسب، بالموازاة مع الأحداث الكبرى التي شهدتها الثورة، حينذاك، من اصطراعات داخلية، و من تحولات وتغيرات، أصابت الثورة، إثر ضرب البنية التحتية لها، وطرد قواتها من بيروت، إلى أكثر من منفى جديد، وانشغال السينما الفلسطينية حينها (على تراجعها الكبير) بالاجتياح والحصار ومجزرة صبرا وشاتيلا، والمنعكسات التي تركتها هذه الأحداث.

هذه العوامل جميعها جعلت تناول انتفاضات الثمانينيات، في السينما الفلسطينية، يأتي على نحو يشابه إلى حد كبير تناولها لانتفاضات السبعينيات، فقد كانت الثورة الفلسطينية، على رغم كل ما ألم بها، تنظر إلى نفسها كجوهر ومحور للنضالات الفلسطينية، وعنوان التعبيرات السياسية والكفاحية للفلسطينيين في الشتات، أو في الوطن المحتل.

بل من اللافت أنه منذ العام ١٩٨٢، وهو العام الذي شهد الاجتياح والحصار، وحتى العام ١٩٨٧ وهو العام الذي شهد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الشعبية الكبرى، كانت السينما الفلسطينية، التي أصبحت تتكئ على سكتين: أولاهما السينما (القديمة) التي تعد بشكل أو بآخر امتدادا لسينما الثورة الفلسطينية التي بدأت عام ١٩٦٨، وثانيتهما السينما (الجديدة) ونقصد بها السينما الفلسطينية الناشئة في الوطن المحتل، والتي بدأت (رسميا) منذ العام ١٩٨٠ بفيلم «الذاكرة الخصبة» لميشيل خليفي. نقول إن السينما الفلسطينية بدت منشغلة بمواضيع وأحداث لم يكن لانتفاضات الثمانينيات أن تتصدرها، إذ شاغلت سينما الثورة مواضيع الحصار، ثم الخروج من بيروت، وعلاقة ذلك بالواقعين العربي والفلسطيني، بدءا من كامب ديفيد، نهاية السعبينيات، وصولا إلى مفردات العدوان الصهيوني، المتعدد الأشكال والصياغات.

بينما شاغلت السينما الفلسطينية الجديدة موضوعات عدة، ذات طابع حياتي وجودي بالنسبة إلى الفلسطينيين الذين بقوا في وطنهم تحت الاحتلال، فبرز اهتمام السينمائيين الفلسطينيين، داخل الوطن المحتل، بإثبات الوجود الفلسطيني الأصيل، في مكانه، والحديث عن ذاكرة هذا المكان الفلسطيني، وعن تاريخية وأصالة الهوية الثقافية الحضارية للشعب الفلسطيني، كما بدا ذلك في أفلام من طراز «بلاد البحر والرمل» لجورج خليفي (١٩٨٢) و«معلول تحتفل بدمارها» لميشيل خليفي (١٩٨٥) و«نداء الجذور» لناظم شريدي (١٩٨٥) و«حكاية مدينة على الشاطئ» لعلي نصار (١٩٨٥)، وغيرها من أفلام كان همها تأصيل الوجود الفلسطيني، والدفاع عنه.

إذن... جاءت الانتفاضة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٨٧، ولم تكن السينما الفلسطينية الجديدة (الناشئة) في الوطن المحتل قد بلورت حضورها وأنضجته بعد...، وعلى هذا فقد انفرد في المراحل الأولى من الانتفاضة، اهتمام فرق التصوير الأجنبية، فقط، ثم بدأ بعض السينمائيين الفلسطينيين - ممن كانوا يعيشون في أوروبا أو أمريكا، وممن حصلوا على جنسيات هذه البلدان- في الحضور ضمن مجموعات سينمائية أوروبية أو أمريكية.

كما شرع الفلسطينيون في الأراضي المحتلة، وفق الظروف والإمكانات المتاحة، في عملية تدريب كوادر فلسطينية، من الشباب هواة السينما، ليتمكنوا من استخدام الكاميرا، والتعامل معها، لأجل تغطية أحداث الانتفاضة، وتسجيلها وتوثيقها، وسنجد أن عددا من هؤلاء الشباب قد استطاع فعلا تسجيل العديد من المواد المصورة التي وظفت، فيما بعد، في صياغة ونسج عدد من الأفلام سواء التسجيلية والوثائقية، أو الروائية، الطويلة والقصيرة، التي تتحدث عن الانتفاضة.

ويذكر أن الجهود السينمائية الفلسطينية داخل الوطن المحتل استطاعت، عند مطلع التسعينيات، أن

أريد أن أفعل شيئا

شعوري هو

شعور كل إنسان عربي، يتمنى أن يفعل شيئا، لكن يجد نفسه من دون حول ولا قوة.

ومن ثم لا نجد إلا التمنيات بأن تنزاح هذه الغمة، وأن يتحرك كل شخص وفق إمكاناته ومجاله. وبالنسبة إليّ شخصيا سجلت موقفي ضد ما يحدث من خلال مساهمتي ومشاركتي في تصوير المظاهرتين اللتين نظمتا في الكويت.

وما أود أن أشدد عليه هو استثمار المواقف المناهضة لإسرائيل في العالم التي يبديها مشهورون في مجال الفن والإعلام، مثال ذلك: يجب استثمار تصريح المخرج العالمي ستيفن سبيلبرغ اليهودي وأشهر مخرجي أمريكا، الذي قال فيه إن ما يحدث في فلسطين لا يمكن السكوت عنه، ويسيء لليهود، ويجب فضح الصهاينة.

هذا الكلام يجب ألا يمر مرور الكرام، فالمطلوب من إعلامنا الاتصال بهذا الرجل ومساندته وتقديم الشكر له.

وبالتأكيد هناك المئات من مختلف دول العالم من الذين يناهضون المواقف الصهيونية، والذين يجب الاتصال بهم، لأن هؤلاء يستطيعون تقديم خدمات جليلة للقضية الفلسطينية بشكل غير مباشر.

عامر الزهير (مخرج سينمائي) - الكويت

تتوج عملها بتأسيس العديد من الوحدات والمؤسسات والشركات العاملة في مختلف مجالات العمل والإنتاج السينمائي، التي تخصصت بداية في تقديم خدمات التصوير، ومن ثم تولت عمليات التصوير بشكل مباشر، ويمكننا أن نذكر منها مؤسسة القدس للإنتاج السينمائي، ومركز الإنتاج السينمائي والتلفزيوني، ووحدات من طراز: طيف للإنتاج، وفيزيون أكاديمي، وبيت الصحافة، ومشهد للإنتاج، ودار للإنتاج، وذات للإنتاج... إضافة إلى صورة فيلم، ومارسيا فيلم، وسندباد فيلم... وكثير غيرها.

ويعد فيلم «أطفال الحجارة» الذي أخرجه جورج خليفي وزياد فاهوم عام ١٩٨٨ بمنزلة الاستجابة الأولى من السينما الفلسطينية (الجديدة) لتناول موضوع الانتفاضة عبر رصد مجموعة من الأطفال وحياتهم وحركتهم في خضم الانتفاضة، خاصة أنها عرفت لدى الجميع بانتفاضة (أو ثورة) أطفال الحجارة، وفي العام ذاته ١٩٨٨ سيقدم ناظم شريدي «مسلسل صيف فلسطيني حار» فيكون عنوان أحد أجزائه «غيتو الدهيشة» مبينا الدور الكبير الذي لعبه مخيم الدهيشة، القائم جوار بيت لحم، في الانتفاضة، وكاشفا الممارسات العنيفة التي ووجه بها من قوات الاحتلال، كما يقدم محمود السوالمة فيلما بعنوان «الانتفاضة» يتجول في أنحاء الوطن المحتل، راصدا صورا من وقائع الانتفاضة، وحياة الناس على إيقاعها.

ويعد فيلم «نشيد الحجر» لميشيل خليفي عام ١٩٩٠ من أشهر الأفلام الفلسطينية في هذا الصدد، فهذا الفيلم التسجيلي الروائي الطويل (مدته ١٠٥ دقائق) يسير على خطين متوازيين أحدهما هو الخط الروائي الذي يتناول قصة حب بين ناضجين فلسطينيين تتجدد قصة حبهما بعد مضي ١٨ سنة، بعد أن عصفت بهما الأحداث عند مطلع السبعينيات، وثانيهما هو الخط التسجيلي الذي يرصد وقائع من يوميات الانتفاضة، والأجيال الشابة التي تنخرط في فعالياتها.

كما اشتهر فيلم «أطفال جبل النار» لمي المصري عام ١٩٩٠ حيث عادت المخرجة إلى مدينتها (نابلس) بعد غياب قسري دام ١٤ سنة، وكانت عودتها من أجل تحقيق فيلم عن الانتفاضة التي شقت الآفاق بأحداثها، فكان من النباهة أن تقوم مي المصري بهذه المغامرة على ما فيها من خطورة، ويعد فيلمها هذا، وهو فيلم تسجيلي وثائقي طويل (مدته ٤٩ دقيقة)، رؤية ذاتية منها لمدينة نابلس التي اشتهرت في الانتفاضة بدورها ومساهماتها، فهي عاصمة جبل النار.

ويتحدث طوني قدح في فيلمه «الحرية المسلوبة.. فلسطين المحتلة» عام ١٩٩٠ عن مخيم الدهيشة قرب بيت لحم، والدور الكبير الذي لعبه هذا المخيم، بحيث غدا أحد معاقل الانتفاضة الكبرى، كما تنجز ورشة عمل سينمائية مكونة من السينمائيين الشباب: سهير إسماعيل ونزيه دروزة وعبدالسلام شحادة فيلم «يوميات فلسطينية» عام ١٩٩١ وفيه تصوير حي للانتفاضة في مواقع فلسطينية متعددة، في المدينة (نابلس) والقرية (الخضر) والمخيم (الشابورة في رفح) وذلك لرصد الواقع اليومي للشعب الفلسطيني تحت الاحتلال، خلال فعاليات الانتفاضة.

وفي العام ١٩٩١ يقدم زياد درويش فيلمه «انتفاضة شعب»، ثم فيلمه «بيت ساحور مدينة الصمود» عام ١٩٩٢ الذي يرصده للحديث عما تعرضت له مدينة بيت ساحور من حصار وإغلاق واعتداءات، بسبب دورها الشهير والمعروف في خضم الانتفاضة.

واهتم المخرج رشيد مشهراوي بالحديث عن الانتفاضة من خلال أبعادها الاجتماعية وآثارها ومنعكساتها، وربطها بالظروف والأحداث المحيطة، ففي فيلمه «دار ودور» ١٩٩٠ يتناول واقع أسرة من قطاع غزة، ويبين من خلالها الانتفاضة بتفاعل آثارها مع منعكسات حرب الخليج الثانية. نحن أمام عائلة «أبوأحمد» وهو أب لسبعة أولاد يعيش في غزة ويعمل في تل أبيب. تأتي الانتفاضة ثم حرب الخليج، فيفقد الأب عمله ويعود إلى غزة ليقضي أيامه عاطلا عن العمل. وفي فيلمه «أيام طويلة في غزة» عام ١٩٩٢ ينقل الفيلم تأثيرات حرب الخليج بالتواكب مع الانتفاضة على المجتمع الفلسطيني، خاصة العمال منهم.

أما هاني أبوأسعد فإنه يختار الطفولة الفلسطينية بوابة للدخول إلى ميدان الحديث عن الانتفاضة في فيلمه «بيت من ورق» (١٩٩٢) فعندما يهدم المحتل بيت أهل الفتى، يقوم ببناء بيت من ورق، ويتعاون هو وأصدقاؤه لتوفير المواد اللازمة لبناء هذا البيت.

وفي عام ١٩٩٣ يقدم حنا مصلح فيلمه «جند الله» ليتابع نشاطات وفعاليات حركة المقاومة الإسلامية (حماس) التي ولدت مع الانتفاضة، ومارست دورا كبيرا وفاعلا فيها. ولا يتوقف رصد الفيلم عند الجوانب الكفاحية الانتفاضية لحركة حماس، بل يرصد دورها الاجتماعي والخيري في مجالات الصحة والتربية والتعليم، كما يقوم جمال ياسين في فيلمه «على حدود الوطن» (١٩٩٣) بمتابعة الحدث الذي تمثل في إبعاد قرابة ٤٠٠ مجاهد من حركتي حماس والجهاد الإسلامي، إلى مرج الزهور، في جنوب لبنان، لمدة عام، بسبب أنشطتهم الجهادية المقاومة.

وما زال الامل يحركهم

الاستمرار

لم تكد السينما الفلسطينية داخل الوطن تحدد خياراتها، وتنجز عددا من أفلامها، مع مطلع التسعينيات من القرن العشرين، حتى وجدت نفسها إزاء متغيرات وأحداث كان لها أن تمثل تحولات جوهرية، من طراز انعقاد مؤتمر مدريد عام ١٩٩١، ومن ثم انكشاف الستار عن اتفاقيات أوسلو ١٩٩٣، وحدوث المصافحة «التاريخية» بين ياسر عرفات واسحق رابين، والاستعداد لعودة أفراد قيادة منظمة التحرير الفلسطينية إلى غزة في إهاب السلطة الفلسطينية، ولم يكن للسينمائيين الفلسطينيين أن يتجاهلوا كل هذه المتغيرات، بل كان عليهم أن يتعاملوا معها، ويرصدوا آثارها ومنعكساتها، حتى إن لم يكن من الضروري تحديد المواقف منها.

فرشيد مشهراوي ينجز فيلمه الروائي الطويل الأول «حتى إشعار آخر» عام ١٩٩٣ للحديث عن المجتمع الفلسطيني في فترات منع التجول، خلال الانتفاضة، مؤكدا على القدرة العالية للصمود والثبات، بينما يكرس فيلمه الروائي الطويل الثاني «حيفا» (١٩٩٦) لإثارة الأسئلة في مجتمع فلسطيني يعيش الفترة بين نهايات الانتفاضة، وبداية دخول السلطة الفلسطينية، مع عرض لأبرز الاتجاهات والمواقف إزاء كل ذلك، في هذا الفيلم ثمة من سيذهب في مسيرة الاحتفالات بدخول السلطة، وثمة من يذهب في موكب جنازة العمة (المعادل الفني لفلسطين).

ومنذ ذلك الوقت، أي منذ أن حدثت تلك التحولات، أصبحت الانتفاضة موضوعا صالحا للتأمل فيه، والبحث في آثاره ومنعكساته، فعبدالسلام شحادة ينجز فيلمه «الأيدي الصغيرة» عام ١٩٩٥ وهو فيلم تسجيلي قصير (مدته ٢٦ دقيقة) من أجل رصد انعكاسات الانتفاضة على المجتمع الفلسطيني، من خلال ترك الأطفال للمدرسة، وانخراطهم في عالم العمل، وجورج خليفي في فيلمه «عازف الناي الصغير» (١٩٩٥) يتناول قصة ذاك الصبي المقدسي الذي يجد نفسه يبيع النايات للسياح، مثقلا بآثار الانتفاضة عليه، وعلى أسرته، بينما ينخرط الفتى محمد في مهنة بيع الشاي في فيلم رائد الحلو «بائع الشاي في غزة» (٢٠٠٠).

وبينما تعتبر أفلام من طراز «غباش» لرشيد مشهراوي (٢٠٠٠)، وفيلم «جمال قصة شجاعة» لسائد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القضية الفلسطينية هي همّ كل فنان

عندما حدثت انتفاضة الأقصى الأخيرة استدعيت قصيدة كنت كتبتها قبل عملي في السينما عن سناء محيدلي الشهيدة الفلسطينية عام ١٩٨٥، وفيها كنت أحاول أن أسبر غور الشباب الذين يذهبون إلى الموت بتفجير أنفسهم، وفيمَ يفكر الإنسان في هذه اللحظة، وكتبت فيلم «أصحاب ولا بيزنس»... نحن كفنانين مطالبون أن نغرس في الأجيال الجديدة القيم والمعلومات حتى تعرف التاريخ والجغرافيا، أي نغرس فيهم أحقية الشعب الفلسطيني في أرضه من خلال نجوم محبوبين لديهم ... السينما يمكن أن تفيد القضية، على الأقل في نطاق عالمنا العربي، وكذلك الأغنية، فلو استطعت من خلال فيلم أو أغنية أن أكسب شابا تربى على تعبيرات مثل السلام هو الحل الاستراتيجي لأقول له إذا لم تجد السلام فلا مناص من الجهاد، أعتقد أن الفن سيكون ناجحا، وله رسالة، وهو الوسيلة الأفضل لزرع الغضب. وهذه هي خطة أمريكا نفسها مع الفارق بين رسالتنا ورسالتهم. فهم يلقنون العالم دروسا في الباطل بأفلام مثل «يوم الاستقلال» و«بيرل هاربر» و«قائمة شندلر» وغيرها حين يقدمون منقذي العالم على هيئة شباب على رؤوسهم قبعات يهودية، أو يجعلوننا نتعاطف مع قضية الهولوكست الكاذبة!! إن فيلمي الجديد الذي يتم تصويره حاليا هو «مافيا» وهو يسير في اتجاه الفكر نفسه الذي أؤمن به، فدور الفنان هو تحريك الوجدان، وهو أفضل الوسائل لكسب قضيتنا حين لا تستطيع السياسة أن تفعل.

مدحت العدل - مصر

أنضوني (٢٠٠٠) عودة إلى الانتفاضة ليست في سيرتها الأولى كحالة كفاحية مقاومية. بل كتفصيل له أبعاده وآثاره الاجتماعية والنفسية. إذ إن في «غباش» ثمة صبية تكتب رسالة إلى أبيها الأسير، على إيقاع أغاني جدتها. وفي «جمال قصة شجاعة» ثمة فتى يستطيع ببراعة، وعلى رغم كارثته الجسدية تحقيق بعض من أحلامه، فحتى لو ذهبت متفجرة بكفيه إلا أنه يرسم بما تبقى من ساعديه ويتدرب على التصوير. نقول إنه على رغم كل ذلك فإن أفلام السينما الفلسطينية شاءت أن تذهب إلى العديد من المواضيع، لم تكن الانتفاضة في واجهتها، بل انشغلت بقضايا بدت أكثر إلحاحية في الواقع الفلسطيني، والمستجدات الحاصلة فيه.

فقد تابعت الأفلام الفلسطينية الحديث عن الهم الوجودي للشعب الفلسطيني، كما اهتمت بذاكرة المكان الفلسطيني، خاصة أن الذكرى الخمسين للنكبة حضرت عام ١٩٩٨، فأنجز العديد من الأفلام ذات العلاقة بتلك المناسبة. ففي ذاك العام ينجز محمد البكري فيلمه «١٩٤٨» وينجز محمود السوالمة فيلمه «خمسون عاما على التهجير».

واللافت في الأمر أن بعض الأفلام باتت تتحدث وكأن الانتفاضة قد تحولت من طابعها الشعبي العام، إلى بعدها الإسلامي الديني، فظهر عدد من الأفلام التي أنتجتها القوى الإسلامية مثل فيلم «دماء في محراب إبراهيم» لمحمد إبراهيم وأسامة عبدالرزاق. و«القدس... وعد السماء» و«مآذن في وجه الدمار» لإياد الداوود، وفيها حديث عن انتفاضة إسلامية دينية، روادها من أبناء المساجد والمصلين وأترابهم.

وربما يصح لنا القول إننا في عموم الأفلام الفلسطينية سنجد الكثير من ملامح الانتفاضة الفلسطينية، سواء بأثرها في الأشخاص أو في الأحداث، فعلى رغم أن فيلم «زيتونات» لليانة بدر (٢٠٠٠)، يتحدث عن شجرة الزيتون والمرأة الفلسطينية، إلا أنه لا يبتعد عن أجواء وأحداث الانتفاضة، كذلك بالنسبة إلى فيلم «موسم حب» لرشيد مشهراوي (٢٠٠٠)، وقس على ذلك الكثير من الأفلام الفلسطينية المنجزة، في الفترة ذاتها.

السينما سجلت واقع الحياة اليومية

المواكبة

لم تكن الانتفاضة الكبرى التي أشعلها الشعب الفلسطيني في العام ١٩٨٧، وامتدت عبر ست سنوات مريرة، نهاية المطاف في الصراع العربي الصهيوني، على رغم ما بدا للبعض من أن الصراع يزمع على وضع النقطة الأخيرة في مسيرته. وأنه ذاهب إلى الحل، وعلى رغم كل ما تجلت عنه تلك الأحداث، التي تتالت منذ أن دخلت السلطة الفلسطينية، وتسلمت وظيفتها ومهمتها على الأرض الفلسطينية (في يوليو عام ١٩٩٤) وفق اتفاق أوسلو. حيث بدأت بتكوين مؤسساتها، وتشكيل هياكلها، وعلى رغم كل النبوءات التي بدت كحلم بعيد المنال، فقد صيغ العديد من الأفلام السينمائية التي تنغمس في واقع فلسطيني، بدا كأنه مغلق الآفاق مسدود الاتجاهات.

من هنا، فإن الحديث عن انتفاضة الأقصى التي انطلقت في ٢٠٠٠/٩/٢٨ ظهر كأنما هو حديث خارق للعادة، بعد أن أشبع الواقع الفلسطيني بكل الحقن التي تمنحه الهدوء والسكينة والاستسلام للأمر الواقع، ولكن حقيقة انفجار انتفاضة الأقصى دفع بعض السينمائيين الفلسطينيين إلى إنجاز عدد من الأفلام ذات العلاقة بها، فالمخرج هاني أبوأسعد يسارع إثر الأحداث التي شهدتها الناصرة (بما عرف بانتفاضة الناصرة) إلى الحضور من هولندا إلى الناصرة (مدينته) لينجز فيلمه «تحت المجهر» التسجيلي القصير (مدته ٢٣ دقيقة) الذي جاء على هيئة حوار يتقصى موقف ثلاثة أجيال من الفلسطينيين، الذين يعيشون في وطنهم فلسطين (كمواطنين إسرائيليين) ليصل على لسان جيل الشباب إلى نتيجة أن الوضع لن يستمر هكذا، بل هو قابل للتفجير طالما أن هناك تمييزا واحتلالا.

ويرصد إياس ناطور فيلمه «لما زفوك» التسجيلي القصير (مدته ٢٦ دقيقة) عام ٢٠٠١ من أجل تقديم الصورة الخلفية عما حدث في الناصرة، من خلال أحاديث وحوارات مع أمهات وأسر شهداء انتفاضة الناصرة، بصورة تلامس الميلودراما، ليكون فيلمه صرخة ضد القتل والموت، كما قام بلال يوسف بإنجاز فيلم «إخوة عرب ويبكون أيضا» للحديث عن شهداء انتفاضة الناصرة، أيضا، من خلال الحديث عن الشهيد محمد خمايسي من قرية كفر كنا.

وتحاول عزة الحسن الحديث عن واقع فلسطيني لا يريد للفلسطيني أن يكون صحنا على موائد نشرات الأخبار. وتقوم برصد جوانب من الانتفاضة في فيلمها «زمن الأخبار» (٢٠٠١)، التسجيلي الطويل (مدته ٥٠ دقيقة) الذي حاز على جائزة لجنة التحكيم الخاصة في مهرجان الشاشة العربية المستقلة في الدوحة عام ٢٠٠١.

ويعد أنس العيلة فيلمه «حقائب مدرسية» (٢٠٠١) لرصد الآثار التي تتركها الأحداث العنيفة التي شهدتها انتفاضة الأقصى، من قبل جيش الاحتلال، على التلاميذ الفلسطينيين، وذلك عندما تتكاثر صور الشهداء على جدران الصف، ويفرغ هذا المقعد، أو ذاك، من فتى كان تلميذا زميلا لهم في المدرسة، وأضحى شهيدا، بينما تدحض مريم شاهين في فيلمها «قرة عيني» (٢٠٠١) المقولة الفاجعة المتمثلة في ادعاء أن الأم الفلسطينية بلا قلب، لأنها تدفع بأطفالها إلى الموت، فتقدم حديثا لامرأة فلسطينية فجعت بفقدانها فلذة كبدها، وما بين النصوص الحقوقية، ومأساة المرأة، تكون للفيلم مساحته للقول.

وتخترق انتفاضة الأقصى بأحداثها فيلم «جوهر السلوان» لنجوى النجار (٢٠٠١) التي اختارت من سينما الحمراء في القدس منطلقا لحديث عن الحياة والواقع الاجتماعي الفلسطيني في القدس، فتصبح الانتفاضة جزءا من الحديث، كذلك اشتغال مي المصري على فيلمها «أحلام المنفى» (٢٠٠١) بعد أن كانت قد هيأت مجموعتي أطفال من مخيمي شاتيلا والدهيشة، لتتناول معاناة وأحلام الأطفال الفلسطينيين، فكان لانتفاضة الأقصى أن فرضت نفسها وحضورها في الفيلم، مثل تحرير الجنوب اللبناني، الذي أتاح لأطفال شاتيلا فرصة اللقاء مع أطفال الدهيشة.

ومن الأفلام الفلسطينية التي أنجزت عن الانتفاضة نجد فيلم «أوقفوا قصف بيت لحم» لحيان يعقوب، وهو فيلم تسجيلي قصير (مدته ١٢ دقيقة) يأتي على هيئة نشيد يتوسل أن يترك الأطفال لعالمهم، وأن تبتعد يد القتل والموت والدمار عن عالمهم وأحلامهم، وما رسومهم التي يصورها الفيلم إلا التعبير عن حقيقة ذلك.

وينجز المخرج نزار حسن فيلمه «التحدي» ليعرض في افتتاح مهرجان الشاشة العربية المستقلة، المنعقد نهاية شهر مارس عام ٢٠٠١ في الدوحة، كمساهمة في بيان بصري لعدد من المخرجين العرب، اتكاء على المشاهد الفاجعة التي تصور اغتيال الفتى محمد الدرة.

استخلاصات

من خلال استعراض ومتابعة الإنتاج السينمائي الفلسطيني، عبر ثلاثة عقود من الزمن، هي السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات، ومحاولة قراءة ما أنجزته بصدد الانتفاضة الفلسطينية، يمكننا القول: لقد حاولت السينما الفلسطينية القيام بدورها، من خلال إدراك السينمائيين الفلسطينيين أنفسهم، أهمية فعلهم الذي يستطيع أن يتكامل مع الفعاليات الانتفاضية الميدانية، ولقد تطور هذا الدور، وتعمق الإدراك، وهو في كل حال إدراك يتصل بوعي أهمية الصورة «التي تساوي عشرة آلاف كلمة»، وما يمكن أن تمثله كسلاح لا يفل ◆

المنتصرون يغيرون

أقضي يومي محاولا

قدر طاقتي تفادي التقاء عينيَّ بعيني ابني المراهق وأسئلته المُرة فأدعوه - بقوة - إلى استذكار دروسه وأقلب القنوات الفضائية بحثا عن شيء تافه أهرب فيه من حصار الموت والجثث المكدسة... الآن يتراكم العجز - بطيئا - ليصبح عادة يومية أتدرب للتعايش معها وإعطائها كودا جديدا... عليَّ أن أسارع قبل أن تتغير فلسفة «الأكواد» مرة أخرى، وتصبح «شفرتي» بالية لا تصلح حتى للتواصل مع المرأة التي أحبها. عليَّ أن ألهث... لصنع فيلم يحبه هذا العالم، وقراءة كتاب يراه جديرا بالقراءة، واقتناء ملابس يصممها على ذوقه، وسيارة أبدعها، ونيل جوائز وضع شروط الفوز بها. عليَّ ألا أضيع الوقت... لقد نسوا مشهد الدرة بعد فترة من الوقت، فهم يعتبرون أن ما حدث منذ ساعة هو ماض بعيد سحيق. فأدرب نفسي على نزع الذاكرة الفضاحة، والمشاعر الميلودرامية السخيفة، عليَّ أن اتخلص بسرعة من كل ما يربطني «بديني» القديم، وأهم هذه الروابط القدرة على البكاء. عليَّ أن أنسى تماما... مصطلحات العصور السحيقة... المقاومة... الاحتلال... الاستعمار... العنصرية... الاشتراكية... الامبريالية... الرجعية... وأهم هذه المصطلحات كلمة الشعب. - لماذا تغضبون؟ أليست هذه هي العولمة التي تصورناها فتحا لعالم واحد جديد. ما الذي أصاب تفاؤلي الدائم...؟ كنت أرى الحجر في مواجهة الدبابة فيمتلئ صدري بالهواء فما الذي حدث؟ هل نملك أن نسيطر على أكوادنا القديمة ومصطلحاتنا القديمة حتى نعيد بناء آلاتنا البدائية القادرة على العمل في ظل هذه الشفرة العتيقة؟ هل يكفي الحب؟ وهل يكفي الحق؟ وهل تكفي الحقيقة؟

مجدي أحمد علي - مصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مناقشة السينما الأمريكية عبر تاريخها العربي أمر يختلف عما تتهافت على بثه وتبنيه القنوات التلفزيونية العربية من أفلام ومسلسلات تروج بشكل لا لبس فيه لكي نقبل - راضين ومغتبطين ومسرورين، وشاكرين أيضا - بفكرة إلغائنا وحذفنا من خريطة البشرية، بالمعنى الدقيق الشامل للإلغاء والحذف. فالذي تتقصده هذه الكثرة اللافتة من المواد التلفزيونية لا يتعلق بطمس الثقافة أو القيم أو سواهما من البنى الفوقية التي أفرزها السياق التاريخي لأبناء المنطقة العربية، بل يصل إلى حد التبشير والإقناع بفكرة الإبادة الجماعية التي لا ترضى بأقل من حذف البشر وإلغائهم من خريطة الحياة، من غير الاكتفاء بإلغاء ثقافتهم وقيمهم الحضارية وما يقع في هذا السياق.

الكويت - د. صلاح صالح

السينما الأمريكية فن تشويه الشعوب

الخطورة لا تكمن فقط في أن الآخر يسعى بتلك المواظبة الفذة إلى رمينا ولفظنا من عربة الوجود، بل تكمن أيضا - ويكمن الأخطر منها - في أننا الآن، وعلى هذا المستوى العربي المترامي الأطراف نتبنى المقولات والطروحات نفسها التي يسوقها الآخر في سبيل حذفنا، عبر هذا التهافت المبتذل على عرض - وتكرار تكرار عرض - المواد السمعية البصرية التي تسوق الحجة وراء الحجة، والمبرر وراء المبرر، من أجل أن نقتنع نحن، قبل أن يقتنعوا هم، بمحاسن تعرضنا للإبادة الجماعية، وبضروراتها الملحة أيضا، والحجج كثيرة كما سيتم التبيين. ومن الجلي أن ما يحدث الآن على الأراضي الفلسطينية المحتلة من مجازر جماعية تحظى بنوع من القبول العالمي - أو الغربي الأمريكي في الحد الأدنى - وبما يشبه الموافقة العربية - أو الصمت العربي في الحد الأدنى - يرتبط عبر عشرات الوشائج بما تبثه القنوات التلفزيونية العربية من مواد أمريكية لا توارب كثيرا في بسط حجج هذه الإبادة التي نتبناها - أو تتبناها المؤسسات الإعلامية العربية - من غير نقاش.

لن نطيل، ولن نستطيع مناقشة ما نشير إليه من مواد تلفزيونية وسينمائية، واحدة واحدة لأنها تتجاوز المئات، وربما الآلاف، ولا تتخلف عن بثها أي محطة عربية، بما في ذلك المحطات التابعة لجهات تدعي العداء للطروحات الأمريكية جملة وتفصيلا، ولذلك لا بد من إخضاعها لشيء من التصنيف، ومناقشة الخطوط الكبرى المستقاة من كل مجموعة تصنيفية على حدة، لنرى في آخر الأمر ما هو مشترك وأساسي بينها، والمجموعات تكاد تشمل، كما هو آتٍ معظم ما أنتجته السينما والمؤسسات الإعلامية الأمريكية وتتبناه مؤسساتنا الإعلامية العربية:

١ - مسلسلات الدراما الاجتماعية، وقضايا الطلاق وتبني الأطفال، وما يجري في قاعات المحاكم الأمريكية من معارك قانونية - شرسة - بذلك الخصوص.

٢ - أفلام رعاة البقر والحرب ضد الهنود الحمر.

٣ - أفلام الحرب الأمريكية في فيتنام وكوريا، وحروب التدخل الأمريكية الأخرى في مناطق أخرى من العالم، وأفلام الجاسوسية.

٤ - مسلسلات الخيال العلمي، وغزو الفضاء ومحاربة الكائنات الموهومة ذات الخطورة الشديدة، على الأرض وفي الفضاء الخارجي.

٥ - أفلام حماية البيئة واستكشاف الأدغال، والدفاع الأبي الباسل عن حق الحيوانات في العيش وحمايتها من الانقراض.

وسنوالي مناقشة تلك المواد بهدوء وتأمل.

في أفلام الدراما الاجتماعية نجد إلحاحا على طرح فكرة أساسية تتلخص في عدم جدارة بعض الآباء، وبعض الأمهات في رعاية الأبناء. وفقدان الجدارة ونقص الأهلية ترتد بهما تلك الدراما لأسباب عديدة، في طليعتها أن الأب مجرم أو منحرف، أو طائش، أو أن الأم مدمنة، أو مستهترة، أو تمارس أعمالا «غير لائقة». مع ترك هامش واسع يتحرك عبره المحامون العباقرة، والمحلفون الذين يملكون نزاهة فوق أي شك، لتحديد مفهوم الجريمة، وقياس درجة الانحراف، والتفريق بين ما هو لائق وغير لائق، وبين ما هو قانوني وغير قانوني. لتنتهي تلك المعارك القانونية والأخلاقية والنفسية إلى قناعة راسخة تقضي بأن مصلحة الأبناء، تكمن فقط في نزع الأبوة، أو الأمومة العضويتين «الطبيعيتين» عنه، أو عنها، ومنح ذلك لإحدى الأسر «الثرية بالضرورة» المؤهلة بحكم هذا الثراء لرعاية الأطفال، في حال رغبت إحدى تلك الأسر في ذلك بطبيعة الحال، أو بوضع الأبناء تحت رعاية إحدى المؤسسات المتخصصة في رعاية الأيتام وتنشئتهم.

فيلم Hondo والحرب ضد الهنود الحمر

ولا يغيب عن مشاهد تلك المحاكمات ما يحدث فيها من مبالغات مذهلة يمارسها المحامون والقضاة، لمراعاة أرهف المشاعر، وأدقها شأنا، وأقلها اعتبارا في نظر كثيرين، وتنبه أولئك المرهفين الحريصين على مصلحة الأطفال إلى أدق التفاصيل، بما في ذلك على سبيل المثال نوعية الطعام، ولون الملابس المفضلة، ولون ستائر غرف النوم، وأخذ ذلك بعين الاعتبار قبل استصدار القرار القانوني الصارم المتصف بـ «عدالة مطلقة» والقاضي بنزع أبوة الأب، أو أمومة الأم، أو كلتيهما معا، ثم منحها لآخرين، تظهرهم تلك الأعمال الدرامية، في السينما والتلفزيون، أنهم يمتلكون أخلاقا تفوق قدرة البشر على التزام مثل تلك الأخلاقيات المزعومة.

وتصل بعض مبالغات المحاكم إلى أنها تلزم رجالا متقدمين في السن، أو مرضى بوضعهم تحت وصاية مؤسسات متخصصة في رعاية الشيخوخة والمرضى المزمنين، بحجة أن هؤلاء عاجزون عن رعاية أنفسهم بأنفسهم، وأن اعتمادهم على أنفسهم يشكل خطرا على حياتهم، وحياة الآخرين، ومصدر الخطر يتمثل في عجزهم عن ممارسة «واجباتهم» تجاه أنفسهم، وتجاه الآخرين.

لا غبار على ما سبق عرضه من الناحية الظاهرية، ولكن إذا امتددنا بالقراءة إلى مستوى أعمق، نجدها تثير مقادير متفاوتة من الريبة، أقلها يتعلق بمشروعية حرمان الأبوين، أو أحدهما من الحق الطبيعي للأبوة والأمومة، أيا كانت الأسباب، أو الظروف المؤدية إلى فرض ذلك الحرمان. والأهم من ذلك يتعلق بقضايا الرعاية بمعناها السياسي في الدول الضعيفة والأقل غنى، فإذا اقتنع المشاهد بشرعية حرمان الأب من رعاية ابنه بحجة نقص الأهلية وقصور الكفاءة، أو غير ذلك، وبأن المحاكم تفعل الصواب عندما تعين للأبناء أبا بديلا، أو أما بديلة، فمن الطبيعي عندئذ أن يقتنع المشاهد نفسه بحق الدول الكبرى وبحق «محاكمها» في عزل حكومات الدول الأخرى «الضعيفة» تحت ستار نقص كفاءتها في إدارة البلد الذي تديره، أو أن إدارتها للبلد تسبب خطرا على أبناء البلد، وغير ذلك مما يساق في هذا المساق.

ومثلما أن الدراما الاجتماعية الأمريكية توضح أن القصد من عزل الأب عن ممارسة الأبوة هو مجرد مصلحة الأبناء، فإن القصد من عزل هذا الحاكم أو ذاك بوساطة القوة الخارجية هو فقط مصلحة الشعب أو الرعية، ومثلما أن تدمير هذه الأسرة أو تلك، وتفكيكها يصب في مصلحة الأسرة نفسها، فإن على المشاهد أن يقتنع بأن تدمير بلد ما تدميرا شاملا كاملا يصب في مصلحة البلد المدمر نفسه. بالإضافة إلى أن الاقتناع بضرورة فرض الرعاية على الأشخاص العاجزين عن رعاية أنفسهم، تحت ستار عجزهم عن فعل ذلك، وستار أنهم يشكلون خطرا على أنفسهم، وعلى سواهم، يؤدي ببساطة إلى الاقتناع بوجود شعوب غير مؤهلة لإدارة شؤونها بنفسها، ولذلك لا بد من قيام الدول القوية ذات الإرادة الخيرة كـ «أمريكا وبريطانيا وإسرائيل» في المثالين العربي والفلسطيني بإدارة شؤون هذه الشعوب وفق ما تراه مناسبا.

وما نناقشه في هذا السياق لا يعني أن الحكومات يجب أن تبقى في منجى من أي عزل، ولكن المشكلة تكمن في طبيعة الجهة التي يحق لها القيام بفعل العزل، وليس عملية العزل في حد ذاتها. وما يجري الآن على المستوى الفلسطيني من مطالب إسرائيلية بشأن ضرورة الإطاحة بالسلطة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفلسطينية بحجة تشكيلها خطرا مزدوجا، على أمن الكيان الغاصب، وعلى أمن المنطقة، بالإضافة إلى أن الشعب الفلسطيني - حسب زعمها - يستحق قيادة أفضل. ولا توارب هذه المطالب بأن الجهة المخولة بتقرير طبيعة مصلحة الشعب الفلسطيني، وطبيعة قيادته، وكيفيات أدائها السياسي على مختلف الصعد، هي إسرائيل أو من ينوب عنها في هذا الشأن، وليس الشعب الفلسطيني بأي حال من الأحوال. فكأننا أمام إحدى مهازل المحاكم الأمريكية بشأن أحقية الجهة التي يحق لها تولي رعاية الأبناء الذين يتعين تعيين آباء بديلين لهم بوساطة قرار المحكمة، لأن آباءهم «الفعليين» لم يستطيعوا ممارسة الرعاية وفق ما كانت تريده المحكمة، أو أنهم لم يستطيعوا الوفاء بالتزاماتهم التي كانوا قد قطعوها للمحكمة.

٢ - أفلام رعاة البقر وحروب الإبادة ضد الهنود الحمر

يمكن قول الكثير بهذا الشأن... فاستنادا إلى الوثائق التي عاد إليها الناقد والمفكر الفرنسي تودوروف، في كتابه «فتح أمريكا» انخفض عدد الهنود الحمر في العالم الجديد خلال القرن الأول الذي تلا عثور كولومبس على القارة الأمريكية من ثمانين مليونا إلى أقل من عشرة ملايين، بسبب حروب الإبادة الجماعية المنهجة المنظمة التي شنها الرجل الأبيض للسيطرة على تلك القارة الشاسعة، أي بمعدل سبعمائة ألف هندي أحمر في العام، فكان متوسط ما يقتله الرجل الأبيض الأوروبي المتحضر من سكان البلاد الأصليين يقارب الألفين كل يوم على مدار مائة عام.

والسينما الأمريكية التي وجدت على مدار تاريخها في الحرب ضد الهنود الحمر موضوعا أثيرا لديها، تغفل تلك الفترة من تاريخ القارة، وتقتصر على تناول صراع المستوطنين البيض (المسالمين) مع الباقي من الملايين العشرة المتوزعين على كامل امتداد القارتين الأمريكيتين، وتحديدا مع نصيب غرب الولايات المتحدة من الباقي من أولئك الهنود الذين رفع في وجههم الشعار الأمريكي الشهير الذي يعلن صراحة أن «الهندي الصالح الوحيد هو الهندي الميت»، حسبما أورد ذلك دي براون في كتابه «تاريخ الهنود الحمر».

والقاسم المشترك الأعظم بين تلك الأفلام هو السعي الدؤوب إلى إقناع المتفرج باستحالة العيش مع الهنود الحمر، لأنهم همج متوحشون وأكلة لحوم بشر، بالإضافة إلى أنهم لا يعتنقون المسيحية، ويشغلون مساحات من الأرض ملأى بالكنوز، والأهم أن البيض يحتاجونها. والأفلام التي التزمت منحى التعاطف الظاهري مع الهنود أقامت تعاطفها على أساس أنهم مقاتلون أشداء وشجعان ويحترمون كلمتهم، ويلتزمون بالمعاهدات التي أبرموها مع البيض، وقلما نجد فيلما بنى ذلك التعاطف «الظاهري» على أساس أنهم هم الأصحاب الشرعيون للأرض، وأنهم السكان الأصليون لتلك البلاد، ومع ذلك كانت تلك الأفلام تقود المتفرج، عبر مختلف وسائل التأثير السينمائي، إلى أن يتعاطف مع البطل الأبيض، ومع السيدات الناعمات المهذبات المتحضرات اللواتي كن يتعرضن لاعتداءات المتوحشين، وإحاطة ذلك بالمبالغات والتفاصيل والمؤثرات الخاصة التي تجعل الدم يغلي في الرؤوس للمطالبة بالانتقام من المتوحشين، وإبادتهم.

مع الإشارة إلى أن تلك السينما لا تعرض عمليات الاغتصاب الموازية بالدرجة نفسها من البشاعة والقبح، ووتيرة التحريض ضد العملية، إذا كان المغتصب رجلا أبيض، أيا كانت المرأة المتعرضة للاغتصاب، ولا تكتفي بذلك، بل تحول عملية اغتصاب الأبيض للمرأة الهندية إلى نوع من الامتياز للمغتصبة التي يكون اغتصابها سبيلا لتعلقها الشديد بمن اغتصبها، وسبيلا إلى أن تنجب نسلا محسنا، ولا تختلف الصورة كثيرا عن الأفلام التي تناولت اغتصاب الفيتناميات أو سواهن من «بنات» الشعوب التي تعرضت للقهر الاستعماري.

مهمة في المريخ

ولا تغفل الأفلام التي تزعم تعاطفها الظاهري مع الهنود الحمر عن الإشارة إلى أن الذين أبادوا الهنود أو تسببوا في قيام بعض معارك الإبادة، كانوا من المجرمين، ولم يكونوا يمثلون جميع الذين قدموا إلى العالم الجديد من ذوي الإرادة الخيرة، وتسمح هذه الأفلام بإبداء بعض مشاعر الأسف العميق لما حدث، من غير أن يمنعها ذلك من استثمار الحدث لمصلحة الاستيلاء على أراضي المبادين، وتلمس مختلف الأعذار للقتلة الذين كانت لهم أسبابهم، فاضطروا إلى شن غارات الإبادة، والمهم في نهاية المطاف أن تلك الأراضي لم تكن تتسع للجانبين الأبيض والأحمر، ومن المستحسن في هذه الحالة موت الأحمر لصالح الأبيض. ولا يغيب عن أفلام الكاوبوي إظهار القوة الخارقة للقاتل الأبيض، وقدرته المدهشة «فوق البشرية» على استخدام المسدس وسواه من أدوات القتل، ليظهر في المحصلة النهائية انه «السوبرمان» السلف الذي أنجب السوبرمان الراهن.

وترويج السينما الأمريكية لإبادة الهنود الحمر المتوحشين، يبدو أنه لا يعنينا في المنطقة العربية، بحجة أن ما جرى هناك على مسافة آلاف الأميال لا علاقة له بما يجري هنا، لكن مقارنة بسيطة بين ما جرى ضد الهنود، وما يجري الآن ضد الفلسطينيين يبين مدى خطورة القبول بفكرة الإبادة الجماعية لأي مجموعة بشرية على وجه الأرض، أيا كانت تلك المجموعة، ومهما حاول القائمون بفعل الإبادة إقناعنا بضروراتها، لأن القبول بإبادة مجموعة ما يعني ببساطة شديدة قبولا موازيا، وموافقة صريحة على إبادة أي مجموعة أخرى.

لقد أجمعت تلك الأفلام على إغفال حقيقة بسيطة وصارخة في الوقت نفسه، وهي أن الهنود الحمر هم الأصحاب الفعليون لتلك الأراضي الشاسعة التي تمثل كامل المساحة الواقعة غرب الأطلسي، وأن البيض قدموا إليهم من مسافة آلاف الكيلومترات لمحاربتهم والاستيلاء على أراضيهم، وأدوات تلك الأفلام الصراع بين الجانبين على أساس عشرات الأسباب الجانبية التي ابتعدت بهذا القدر أو ذاك عن السبب الجوهري للصراع، وهو وجود البيض على أراض ليست لهم وقيام الهنود بالدفاع عن أنفسهم.

إن تأملا بسيطا للطروحات السياسية الراهنة التي يعلنها الإعلام الصهيوني بوقاحة منقطعة النظير، ويمارسها على الأرض الفلسطينية بوقاحة أفظع، يشير إلى نوع من المطابقة بين ما جرى ضد الهنود «المتوحشين» وما يجري ضد الفلسطينيين «الإرهابيين». إن هناك تواطؤا خطيرا ومرعبا على المستوى العالمي الذي يتضمن «العربي» عبر غير مستوى وغير طريقة، تواطؤا على إغفال حقيقة الصراع في المنطقة العربية، وهي أن الصهاينة قدموا لاغتصابها والاستيلاء عليها من شتى أصقاع الأرض، ويسعون بدأب إلى حشر أسباب الإبادة التي يتعرض لها الفلسطينيون في أسباب جزئية كعمليات مقاومة الاحتلال، والأداء السياسي غير المثالي للسلطة، والعجز عن تطبيق ما اتفق عليه، وما شابه ذلك. مع الإشارة في هذا الصدد إلى أن بعض القنوات الفضائية العربية ذات المظهر الحضاري البراق، التي جعلت نفسها منبرا إضافيا للإعلام الصهيوني، يرسخ بعض محاوريها البارعين إغفال ذكر الاحتلال، بوصفه سببا جوهريا للصراع، خلال استضافة بعض المسؤولين الصهاينة على شاشاتها بقصد الحوار.

التصور الجغرافي الذي يسعى الكيان الصهيوني إلى فرضه على خريطة فلسطين والمنطقة يتلخص - حاليا - في حصر الفلسطينيين ضمن جزر مغلقة معزولة عن بعضها، وعن امتدادها الخارجي «العربي». وهذا التصور نسخة مطابقة لما حدث مع الباقين على قيد الحياة من الهنود الحمر الذين عزلوا في جزر استيطانية صغيرة جدا، ومغلقة جدا، حتى وقت قريب، داخل كل ذلك الاتساع الأمريكي الهائل الذي كان كله لهم، والباقون منهم أحياء ظلوا أحياء على أساس أنهم يمثلون حالة متحفية، أو محمية طبيعية مشابهة لإحدى المحميات التي يسمح فيها للحيوانات النادرة بالعيش.

والجزر المقترحة للوجود الفلسطيني المستقبلي لا تختلف إطلاقا عن الجزر التي تفضل الرجل الأبيض بتركها للهنود، مع الإشارة إلى أن الإبادة التي يمارسها الاحتلال لا تقتصر على القتل المباشر المنهج لشباب الانتفاضة وكوادرها الرئيسية، بل ربما كان الأخطر والأدهى يكمن في تشويه الأعداد المضاعفة لأعداد الشهداء من جرحى ومعتقلين، وغرس علل دائمة في أجسادهم، بحيث يصبح الموت في نظر معظمهم أمنية فعلية لا يمكن نيلها بسهولة. بالإضافة إلى تدمير معالم الحياة الفلسطينية على المستويات كافة، بما في ذلك اقتلاع كروم العنب واللوز والزيتون. ولا يغيب عن وعي المتلقي العربي أن إبادة الفلسطينيين ليست سوى البداية التي ستتبعها - بحتمية المنطق الإلغائي الذي يمارسه الآخر على الأرض كل ساعة وكل يوم - إبادة العرب الآخرين. ولذلك كله لا نبالغ حين نقول: إن عرض كل فيلم يتبنى - ولو سببا واحدا - لإبادة الهنود الحمر يعني ببساطة شديدة موافقتنا على أسباب الصهاينة وخلفهم الغرب الاستعماري، على الإبادة الجماعية المنهجة ضدنا، والتي تبدأ الآن من خلال إبادة الفلسطينيين.

٣ - أفلام الحروب الأمريكية في كوريا وفيتنام

بدا نصيب الحرب الأمريكية في كوريا من الاهتمام السينمائي أقل من نصيبها في فيتنام، والمهم أن الطروحات السياسية جاءت واحدة في الأفلام التي تناولت الحربين، وأساليب المعالجة السينمائية كانت متشابهة إلى حد التطابق، وبشكل عام نستطيع ملاحظة محورين أساسيين انتظما معظم تلك المعالجات: يتمثل الأول في تصوير البطولات الخارقة، والتضحيات الجسيمة التي قامت بها مجموعات صغيرة من «المارينز» لا يتجاوز عدد الواحدة منها عدد أصابع اليد ضد جيش كامل من الأعداء «الفيتناميين» في معظم الأحيان، وتصور تلك المجموعات على أنها كانت تؤدي مهامها القتالية على أكمل وجه، وتحقق انتصارات ساحقة على جيش كامل من الأعداء. ومن أجل تحاشي المبالغات المبالغ فيها أكثر من المقتضى، كانت تلك الأفلام تسمح بموت بعض أفراد المجموعة، ولكن الموت كان يحصد أرواح الأقل شأنا من أفرادها، فكان «الزنجي» الأسود هو الذي يموت، من أجل دغدغة مشاعر الرجل الأبيض، وإقناعه باستحالة هزيمته، وبانه هو الأقوى والأجدر بالبقاء، وإن كان لا بد من وجود الأسود، فوجوده محصور في أداء مهمة الموت من أجل الرجل الأبيض.

ويتمثل الثاني في تصوير معاناة الطيارين الأمريكيين الذين أسقطت طائراتهم داخل أراضي العدو «الفيتنامي» وكيف كان أولئك الطيارون البواسل «المقاتلون من أجل الحرية والخير والديموقراطية» - حسبما تصورهم أفلامهم - يجدون سبل النجاة، ويتجنبون بوساطة ذكائهم الخارق، وشجاعتهم التي تفوق التصور، وقوعهم في قبضة الفيتناميين الذين تصورهم السينما الأمريكية وحوشا، بعد أن يكون أولئك الطيارون قد أكملوا، وهم على الأرض، مهمات القتل والتدمير التي كانت قد بدأت وهم في السماء.

وفي هذين المحورين نجد تزويرا فظيعا لوقائع تاريخية عايشها معظم أبناء النصف الثاني من القرن العشرين، ونجد سعيا دؤوبا لمسح ذاكرة الإنسان المعاصر وتلفيق ذاكرة بديلة له، ذاكرة قائمة على مصادرة بدهيات الوعي، وتزوير حقائق كبرى وقعت على مرأى ومسمع من معظم أبناء الكوكب الأرضي. فلا أظن أن أحدا عاقلا يستطيع إنكار حجم الهزيمة العسكرية التي مني بها الأمريكان على الأرض الفيتنامية، رغم تزودهم بأحدث الوسائل التقنية القادرة على نشر الدمار الشامل للبشر والشجر والحجر وكل شيء. ومعروف أيضا أن عدد الطيارين الأمريكيين الذين وقعوا في أسر فيتنام الشمالية جاوز الألفين، وشكل واحدة من أعقد القضايا خلال المفاوضات التي جرت بين الطرفين لإنهاء تلك الحرب. ومعروف أيضا أن جميع فئات الشعب الفيتنامي انخرطت بكل ما كان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لديها من وسائل لمقاومة التدمير الأمريكي. فكان العجائز والأطفال، على سبيل المثال، يعملون على بري الأوتاد الخشبية لجعلها مدببة كالخوازيق من أجل اصطياد الطيارين الأمريكيين الهابطين بالمظلات. ورغم سطوع هذه الحقائق البدهية نجد أن هذه الأفلام تدعي أن أطفال فيتنام الشمالية، وكثيرين من أبنائها «الخيرين» كانوا يستبسلون في تقديم العون للمجموعات الأمريكية التي كانت تقتلهم وتبيدهم من أجل مصلحتهم فقط، ومن أجل التصدي للشيوعية التي كانت تشكل خطرا على البشرية - من وجهة نظر تلك الأفلام - وليس على فيتنام وحدها.

ونجد التلفيق والافتراء على الحقيقة التاريخية المعاصرة، والاستهزاء بوعي المشاهد، يبلغ ذروة وقاحته في الأفلام التي تناولت قصة نمطية، تواتر على سردها عدد من الأفلام، وهي قصة طيار أمريكي هبط بمظلته، بعد إسقاط طائرته، في المنطقة التي كان يقصفها من أراضي فيتنام الشمالية، وتلاحقه القوات الفيتنامية الشمالية بكل ما لديها، لكنه ينجو بفضل شجاعته، وتطوع الفيتناميين لمساعدته على النجاة على رغم أنه كان يقصفهم ويدمر قراهم وحياتهم.

ويبلغ إتقان الأداء في معظم تلك الأفلام أنها تحاصر المشاهد في حتمية التعاطف مع الطيار «البطل» من خلال التغييب المتعمد لكل شيء خارج ما يساعده على الخروج من مأزقه الراهن الذي بدأ فقط مع هبوطه بالمظلة، وتستطيع السينما أن تستلب خلفية المشاهد وتجعله على درجة عالية من الاستغراق فيما يستغرق بطل الفيلم، فيجد هذا المشاهد أن من حق ذلك الطيار أن يقتل جميع أفراد أسرة من الفلاحين الفيتناميين في سبيل الخروج من المأزق، وقد لخص الطيار المشكلة مخاطبا رب الأسرة الفلاحية العجوز بعد قتله طبعا، بأنه كان يريد فقط الماء والطعام والمنزل لتمضية وقت مناسب للاختباء، ولكن الفلاح العجوز حاول منعه. ويتابع الطيار خروجه من المأزق محاطا بتعاطف الجمهور وهو يستذكر زوجته وأطفاله في أحد المتنزهات الأمريكية وشوقه للقائهم، ومحاطا أيضا بسخط المشاهدين على أولئك الفيتناميين الأغبياء المجرمين الذين يعيقون تلك العودة العاطفية المنتظرة، وفيما يهم الطيار باجتياز جسر ضيق للمشاة في الأدغال جعله الفيتناميون فخا له ولأمثاله من الطيارين، يندفع فجأة ولد فيتنامي معرضا حياته للخطر من أجل إبطال مفعول الفخ وإنقاذ الطيارمن الموت، لمجرد أن الولد أُتيح له أن يحدق في قسمات وجه الطيار المختبئ في الأدغال ليكتشف كم كانت تلك الملامح ترشح بالطيبة والنبل، ويتناول الطيار مسدسه ليطلق النار غريزيا على الولد المنقذ، لكنه يتماسك ويصبح طيبا فجأة ويمنحه شيئا ما كان بحوزته، ربما سدادة لامعة لزجاجة فارغة، أو بقايا علبة بسكويت جاف، أو علبة تبغ أمريكي بقي فيها بعض السجائر، يلتقطها الولد ويمضي فرحا بهديته التي لا تزيد قيمتها عما أشرنا إليه.

إن تزوير حقائق الحرب الأمريكية في فيتنام وفرض وجهة النظر الأمريكية على المشاهد يتكرران اليوم عبر تزوير الحقائق التي تجري أمام عيون العالم أجمع على الأرض الفلسطينية، من خلال فرض وجهة النظرالصهيونية واعتمادها وجهة وحيدة للرؤية والتعامل مع الحدث الراهن، مقابل انعدام الكفاءة العربية في رفضها أو تعديلها، في حال توفر الجدية العربية في فعل ذلك. إن هناك ما لا يحصى من الأفلام التي تصور العرب والفلسطينيين بشكل أشد بشاعة مما صورت الهنود الحمر والفيتناميين والكوريين، وإذا كانت هذه الأفلام المعروضة على الشاشات التلفزيونية العربية تستدر تعاطفنا مع الطيارين الأمريكيين الذين أتوا من مسافة آلاف الأميال لقصف فيتنام، وتفرض كراهيتنا وسخطنا على الطرف المقصوف والمعتدى عليه، فلن يعني ذلك سوى كراهيتنا لأنفسنا، وإيجاد جميع المسوغات لطياري الأباتشي والإف ستة عشر الصهاينة، وهم ينفذون أعمالهم «البطولية» التي ينتظر أن يمجدها التفكير الديني اليهودي، والأمريكي بوصفها تندرج في إطار ما يسميه اليهود حربهم المقدسة، وما يسميه الأمريكان حربهم العادلة ضد الإرهاب وبناه التحتية اللذين يشكلان تهديدا لواحة السلام والتحضر والديموقراطية الوحيدة في هذه الصحراء المترامية من الوحشية والتخلف والاستبداد.

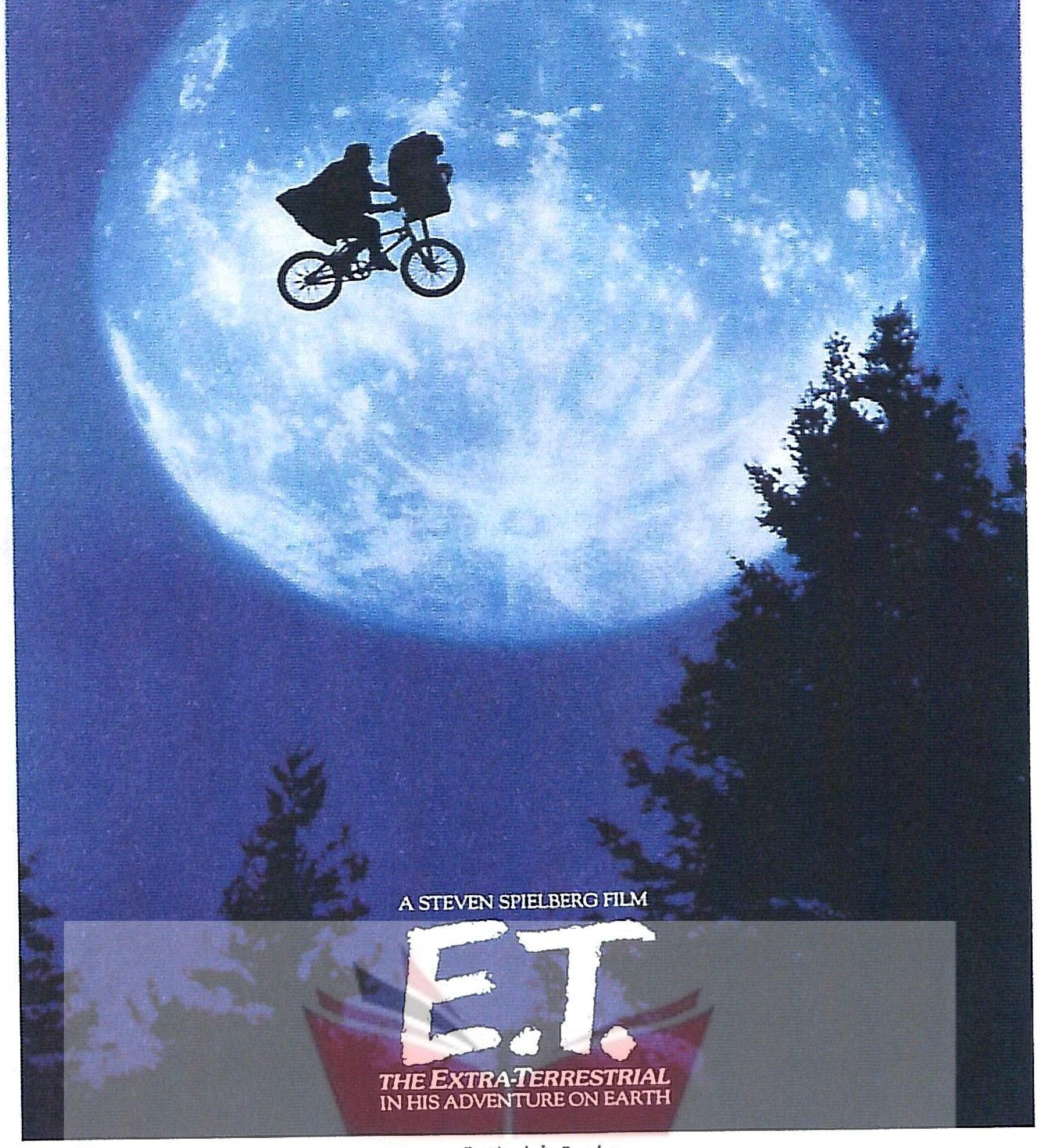

ملصق فيلم إي تي

٤ - أفلام الخيال العلمي، وغزو الفضاء، ومحاربة الكائنات العجائبية على الأرض وفي الفضاء

تبدو هذه الأفلام عديمة الصلة بما نناقشه في سياق خطورة تبني المقولات الدعاوية الكبرى ضد أبناء المنطقة العربية، ولكنها في حقيقة الأمر تصب في الإطار ذاته، وتتأطر تلك الأفلام في وجود أعداء للبشر، من غير البشر، وأولئك الأعداء يملكون ذكاء وتقنيات تفوق ما لدى البشر، وهم يشكلون بالتالي تهديدا للجنس البشري بأكمله، ولكن مجموعة صغيرة من الأمريكيين «علماء ومشاة بحرية ورجال أمن سريين وفتيات، مع الإصرار على وجود زنجي أو أكثر بين أفراد المجموعة، تتصدى لتلك الكائنات ذات الخطورة القصوى، وتنتصر عليها وتنقذ البشرية التي كانت ستنقرض حتما لولا التدخل الأمريكي المحدود للغاية في الوقت المناسب.

ولا مشكلة كبيرة في أن يكتفي منتج الفيلم الأمريكي بشد اللحاف إلى جهته، فيدعي احتكار الفضل في إنقاذ البشرية من مخاطر مجهولة، مثلما فعل في الأفلام التي تناولت الحرب العالمية الثانية ونسب فيها فضل الانتصار على النازية إلى أمريكا وحدها، ومن غير أن يذكر العالم بخطورة ما تمتلكه الولايات المتحدة من أسلحة نووية قادرة على تدمير أضعاف أضعاف الكوكب الأرضي، وبخطورة ما تبعثه آلتها الصناعية الجبارة من غازات أحدثت ثقب الأوزون وتشكل الآن أكبر مساهم عالمي في توسيعه.

ولكن المشكلة الكبرى تكمن قبل كل شيء في محاولة إقناع العالم - وخصوصا العرب - بضرورة أمريكا للدفاع عنهم، ضد أعداء تحددهم هي، وهي وحدها التي تملك الحق والإمكانية على تقدير مدى الخطورة ونوعيتها وكيفيات التصدي والمواجهة وما إلى ذلك. ولا تكمن المشكلة فقط في أنه لا بد من أمريكا، بل الأخطر من ذلك هو الاقتناع بالعجز الذاتي الكامل، وتعميم اليأس من إمكان الاعتماد على الذات في مسائل الدفاع عن النفس، ولذلك لا يُسمح لك إلا بدعم القوة الأمريكية من أجل أن تدافع هي عنك.

ولا تكمن مشكلة هذه النوعية من الأفلام فقط في ترسيخ الفكرة الذاهبة إلى استحالة الاستغناء عن أمريكا، بل تكمن أيضا في أن هذه الأفلام توهمنا بوجود أعداء شديدي الخطورة يحيطون بنا من كل جانب، وأننا بسبب انتمائنا إلى طينة رديئة أخرى تختلف عن الطينة التي جُبل منها الأمريكان لا نستطيع معرفة أولئك الأعداء، وإذا أسعفتنا المصادفة في اكتشافهم، فلن نتمكن من مواجهتهم من غير أمريكا، بالإضافة إلى ترسيخ ضرورة الاقتناع بالعجز الذاتي عن تحديد مكمن الخطورة على الذات، فأنت في عرف هذه الأفلام عاجز حتى عن تحديد عدوك، وكم حفلت السينما الأمريكية بالمفاجآت التي تذهب إلى إقناعك بأن أعداءك الألداء هم أهلك وأشقاؤك وذووك، وليس ذلك الذي يربض على صدرك ناهبا خيراتك، وممعنا فيك وفي أبنائك قتلا وتشريدا وإذلالا، ويعلن دونما مواربة عن تجهيز أرقى البرامج التقنية التي تمكنه من إبادتك. والمثال الإسرائيلي ماثل بين أيدينا، إذ صار بعض المسؤولين العرب، وبعض الذين يصنفون في قوائم المثقفين لا يخجلون من الإعلان عن أن إسرائيل ليست مصدر خطر على دول المنطقة، بل الخطر فقط يكمن في أبنائنا الذين لم نحسن ترويضهم.

وهناك أيضا قضيتان فرعيتان تثيرهما أفلام الخيال العلمي ومحاربة الكائنات غير البشرية وهما: وجود الأمريكيين السود ضمن أي مجموعة محاربة أو غازية أو مستكشفة. ووجود الكائنات نصف البشرية ونصف الآلية التي تنتجها التقنية الأمريكية من أجل محاربة البشر والكائنات الأخرى غير البشرية، وبوصفها أيضا نوعا من الترويج لما يجب أن يكون عليه البشر في المستقبل من وجهة النظر الأمريكية.

فبالنسبة إلى مسألة وجود الأمريكيين السود في المجموعات المحاربة، يسعى ذلك إلى الإيهام بأن السود جزء من الحياة الأمريكية لا يمكن تجاهله، وصاروا يتمتعون بكامل حقوق المواطنة، وهذا أمر لا غبار عليه، إذا بقي في هذه الحدود، ولكن هذه الأفلام مع بقية الأفلام التي قلما يخلو أحدها من وجود رجل أسود أو أكثر، تجمع على منع الأسود من البقاء حيا إلى نهاية الفيلم، إذا كان في الفيلم قتل وموت، وتمنعه من أن ينعم بثمار البطولة أو النصر، فهي تمنعه من الاحتفاظ بحياته من غير أن ينعم بشيء، وهذا ما يؤكد صراحة أن الوظيفة المثلى للأمريكي الأسود تكمن في موته من أجل الأبيض، بعد أن يكون قد قدم كل ما لديه وصارت حياته بالتالي غير ذات جدوى بالنسبة للأبيض، ولا ضير في أن يحاط موته بالاحترام والإجلال، وبأن يتطوع قائده في مهمة الموت من نقل رسائل عاطفية، أو تذكارات صغيرة لأسرته وأهله، بحيث يبدو الأمر غاية في الشهامة والمروءة والوفاء لذكرى الأسود الذي تعين موته ليحيا الأبيض. ويتوازى ذلك مع أحد أفلام غزو الفضاء التي يستطيع خلالها دهاء الشاب قائد المجموعة الفضائية الأمريكية الخيرة التي تقاتل من أجل خلاص البشرية كلها أن يجتذب إلى صفه كائنا فضائيا خارقا كان قد روع سكان عدد من المجرات واستولى على ثرواتها التي خزنها في كوكبه الذي اضطر إلى العيش فيه وحيدا، وأعرب للأمريكي أثناء انحيازه إليه أنه لم يعد يطمع إلا في وجبة ساخنة وفراش مريح، وتحدث المعركة الفاصلة بين الكائنات الخارقة، وينتصر الأمريكي بفضل تضحية ذلك الكائن الخارق، ولكن الأمريكي الشهم النبيل يرفض الاحتفال بالنصر قبل أن يضع في قبر ذلك الكائن فراشا مريحا ووجبة ساخنة، لينتهي الفيلم بتهليل الآخرين وتمجيدهم لتلك اللفتة الإنسانية النبيلة.

وبالنسبة إلى قضية البشر نصف الآليين، أو الذين انتزعت منهم أدمغتهم وزرعت لهم بدلا منها أدمغة جديدة، أو لعبت الوسائل التقنية الحديثة بتكوينهم الجيني، فصاروا ينتمون إلى فصائل حية أخرى شبيهة بالبشر، ويتم التحكم فيها عن بعد، على غرار المركبات الآلية، فالخطورة تكمن في العمل على تحويل الإنسان إلى مجموعة من الاستجابات التي يمكن التحكم في استثماراتها وتحريض مراكزها في الجهاز العصبي بوساطة محرض خارجي، والعمل أيضا على نزع زمام المبادرة الذاتية، بحيث يكتفي الإنسان بالاستجابة السالبة ضمن ما يسمى بآليات المنعكس الشرطي المستعملة في ترويض الحيوانات وتدريبها. وتلعب الدعاية التجارية والسياسية دورا محوريا في هذا السياق، ولا أدل على ذلك من هذه الاستجابة الواسعة أمريكيا وغربيا لعمليات التحريض الإعلامي التي مارستها وسائل الإعلام التي تسيطر عليها الدوائر الصهيونية ضد العرب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وخطورة الاستجابة للتحريض الناجم عن النجاح في استلاب الإنسان المعاصر قدرته على المبادرة الفردية، واعتماد وعيه في قراءة الذات والعالم والأحداث، ربما فاقت كل أشكال الخطورة الأخرى، وخصوصا ونحن نطالع انعكاساتها على الواقع العالمي المتلون بما يتلقاد من شحنات تحريضية ضد هذا الطرف أو ذاك، وترافق ذلك بتنمية الروح المسعورة للقتل، وبث ثقافة العنف، وجعلها الثقافة الوحيدة المتاحة أمام الأجيال الجديدة، والإلحاح على الفكرة الذاهبة إلى أن عملية القتل عملية سهلة للغاية لا تحتاج إلا ضغطة خفيفة على الزناد، وهذا ما تنشره يوميا على نطاق مخيف مسلسلات العنف البوليسي التي تصلب المتلقي بضع ساعات يوميا أمام فوهة مسدس مشهر باتجاهه، وتجعله هذه المسلسلات يفرح ويصفق طربا لحجم الدمار الذي يلحقه انفجار ما بمكان ما، مع العمل على جعل التناسب تناسبا طرديا بين حجم الدمار وحجم الطرب. من غير أن يغيب عن مقاصد هذه السلسلة من الإنتاجات السينمائية تيئيس ابن العالم الفقير عموما، وابن المنطقة العربية خصوصا، من إمكان التطور والتقدم. فهم الآن يجوبون المجرات ويصنعون بشرا آليين أكثر تفوقا من المتفوقين لدينا، وهم عند الضرورة لن يكلفوا أنفسهم عناء إرسال المارينز إلى الأعداء بوصف ذلك يحمل إمكان تعرض بعضهم لبعض الخدوش، بل يرسلون أولئك الآليين، أو أولئك الذين التقطوهم من مزابل العالم وزرعوا لهم أدمغة جديدة يمكن التحكم فيها عن بعد.

٥ - أفلام حماية البيئة والدفاع الباسل عن حقوق الحيوانات

ما يُساق في إطار ما يسمى ثقافة البيئة وحمايتها من التلوث والتدمير الذي يؤدي إلى تدمير الحياة على سطح الأرض، تكمن خطورته في تحويل اهتمام الناشئة الذين تخاطبهم هذه النوعية من الأفلام عما يجري بين الإنسان والإنسان، وحصر المشكلة في وجود مجموعات من الأشرار الذين يعتدون على الحيوانات المسكينة، حتى لو كان بعض تلك الحيوانات يمارس الافتراس وقتل البشر في بعض المناطق بالمئات كالأسود والنمور والأفاعي في الهند ومناطق مختلفة من إفريقيا. فالواجب الملقى على عاتق الأجيال الجديدة هو قتل البشر الذين يقتلون الحيوانات، وليس التصدي للبشر الذين يقتلون البشر في حروب الإبادة الجماعية التي نعيش في المنطقة العربية واحدا من أبشع فصولها وأشدها خطورة.

قارن أحد شعرائنا بين قتل شخص واحد وقتل شعب كامل ساخطا على ازدواجية المعايير التي يعتمدها الغرب في التعامل مع المنطقة العربية:

قتلُ امرئٍ في غابةٍ
جريمةٌ لا تُغتفر
وقتل شعب آمنٍ
مسألة فيها نظر

واليوم مع أفلام الدفاع عن حقوق الحيوانات تطور المفهوم، فصار قتل أفعى أو وحش لا يزال خطمه مصطبغا بدم طفل كان قد انتهى من التهامه هو الجريمة، وصارت إبادة شعب كامل حربا مشروعة ضد الإرهاب.

ولا تقتصر الخطورة على صرف أنظار الناشئة عن لب المشكلة وجوهر الصراع بين البشر والبشر، بل تتجاوزها إلى أمور أخرى منها: تصوير الذين يقومون بصيد الحيوانات على أنهم تجسيد للشر المطلق، وتصوير الذين أتوا من أقصى الأرض لقتل الصيادين دفاعا عن الحيوانات على أنهم يجسدون قيم الخير والحق، من غير وجود أي إشارة إلى أي سبب موضوعي يدفع الصيادين إلى قتل الحيوانات، كالفقر المدقع، وحاجة أبنائهم إلى الطعام والدواء واللباس، وعجزهم عن تأمين أي منها، إذا لم يصطادوا حيوانا ما لبيع جلده أو أحد أنيابه، أو محاولة بعض الفلاحين حماية مزروعاتهم من عبث الخنازير البرية، أو لجوء فلاحين آخرين إلى قتل الوحوش التي تعتدي على أطفالهم وحيواناتهم الداجنة.

ومنها أيضا: أن حماة البيئة البواسل كلهم من الغرب الأمريكي أو الأوروبي، يتركون رغد العيش في ديارهم في سبيل حماية الحيوانات في إفريقيا أو آسيا، وأن المعتدين الأشرار على البيئة والحيوانات هم من أبناء البلد الآسيوي أو الإفريقي، وهؤلاء هم الذين يتوجب قتلهم من أجل أن تحيا الحيوانات. وإذا سلم الشباب الناشئ بحق حماة الحيوانات في التدخل في شؤون هذه الدولة أو تلك، تحت زعم حماية حيواناتهم، فمن الطبيعي عندئذ أن يتدخل الحماة الميامين في أي شأن آخر من شؤونها، حتى لو كانت الحجة المعلنة حماية أفعى أو عقرب.

وما يجري الآن على الأرض الفلسطينية من تدخلات فاضحة، ودخول القوات الصهيونية بالدبابات والطائرات لهدم منزل على رؤوس ساكنيه، أو اعتقال فلسطيني، أو ترويع آخرين تحت مزاعم الدفاع «المشروع» عن الأمن والحق التاريخي الإلهي المزعوم، لا نرى أيا من ذلك يثير الاستنكار المتناسب مع حجم الفظاعة الواقعة على الأرض وعلى الإنسان، فإذا كان الغربي يتدخل بقوة حاسمة ضد سياسة بلد لا ترضيه في إطار التعامل مع حيواناته، فمن البدهي وفق هذه المعايير أن يكون التدخل الصهيوني في الشؤون الفلسطينية، والشؤون العربية الأخرى عملا مشروعا، بما في ذلك تقرير سياساتها الإعلامية والتعليمية، ومئات المسائل الأخرى.

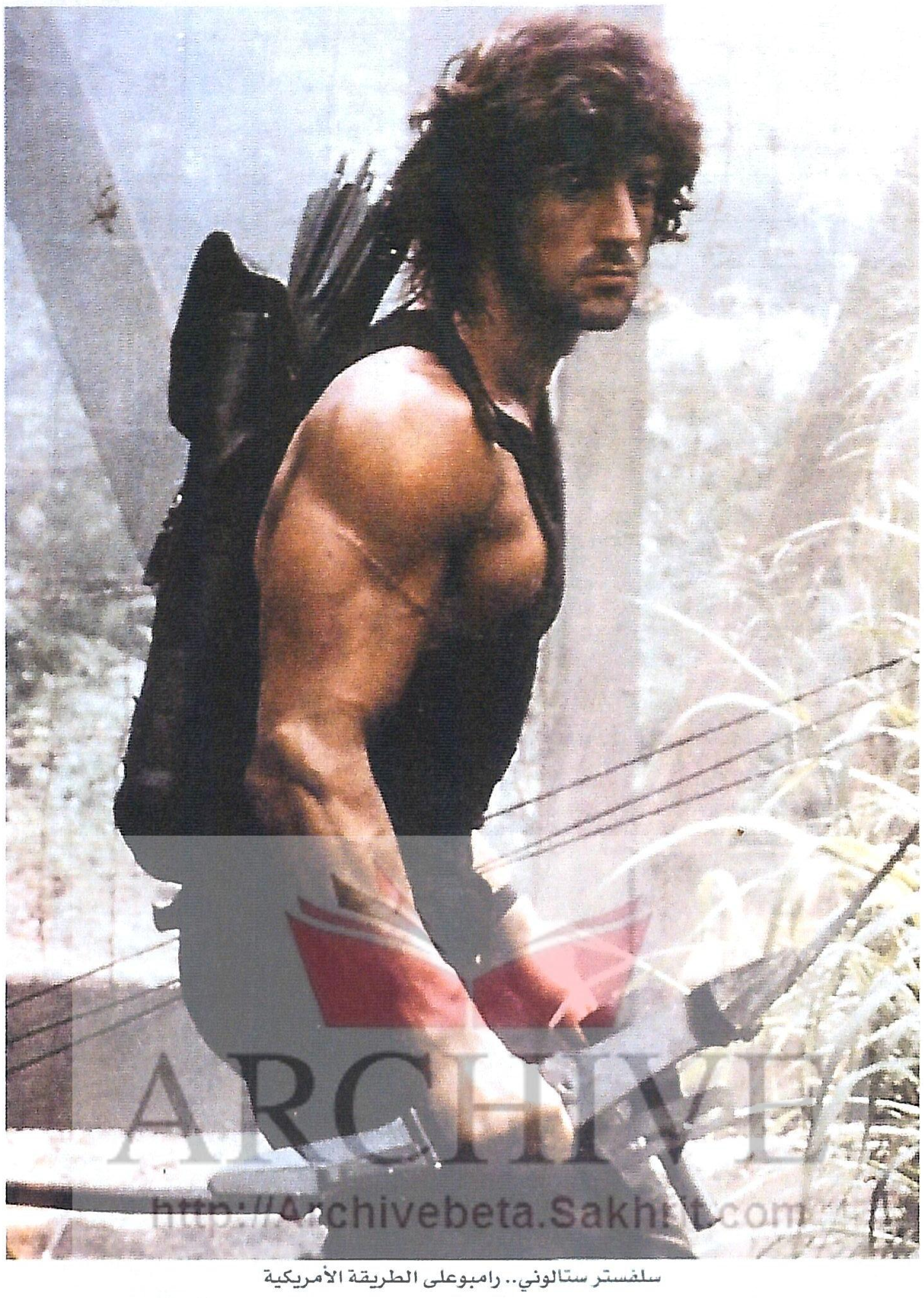
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com
سلفستر ستالوني.. رامبو على الطريقة الأمريكية

التمييز بين إنسان وإنسان على أساس الانتماء العرقي أو الديني أو القومي هو أخطر ما تسعى هذه النوعية من الأفلام لترسيخه، فهي تغفل تعرضها لأي مشكلة أو شأن بعناية أبناء البلد الذي تتدخل في شؤونه لحماية حيواناته من اعتداءات أبناء البلد، وإذا صدف أن اكتسب أحد أبناء البلد قيمة إيجابية ما، فهذه القيمة تتحدد بمدى ما يقدمه من مساعدات لأبناء الغرب البواسل في قضيتهم العادلة لحماية البيئة والحيوان، بينما تشير بطريقة غير مباشرة إلى أن أبناء ذلك البلد، ولو بلغ عددهم الملايين، هم أقل شأنا من الحيوانات.

في إحدى النسخ السينمائية التي عالجت قصة فتى الأدغال «موغلي» الذي تحميه الحيوانات النبيلة، نجد فريقين يتسابقان للوصول إلى كنوز المدينة السرية المخبأة في مجاهيل الأدغال: الفريق الشرير ممثلا بلصوص الكنوز من أبناء البلد المتخلف «الهند غالبا»، والفريق الذي يمثل قيم الحضارة والنبل والخير، وأفراده كلهم أوروبيون «بريطانيون» أتوا لاستعمار البلد، وتكمن القيمة القصوى لموغلي الذي لم يعرف أما ولا أبا غير حيوانات الغابة، في أنه ينحاز تلقائيا إلى الفريق الأوروبي ضد أبناء بلده «الأشرار» من غير أي سبب مقنع من الناحية الظاهرية. ومن اللافت وجود نسخة سينمائية أخرى للقصة نفسها تضم الفريقين الخيِّر والشرير، ولكنها تسمح بوجود بريطانيين «أشرار» يقود أحدهم فريق الشر الذي يتكون معظمه من أبناء البلد، وكان الفرق بين الفريقين، أن الأبطال الأخيار كانوا يريدون اكتشاف المدينة لمصلحة التقدم والعلم، ويريدون أيضا «مجرد» نقل كنوزها إلى المتاحف البريطانية، بينما كان الأشرار يريدون الكنوز لأنفسهم. ولكن أيا من النسختين لم تشر إلى أحقية البلد بتلك الكنوز، مع العلم بأن أبناءه هم الذين بنوا تلك المدينة في الزمن الغابر، ووضعوا فيها كنوز البلد وذاكرته الثقافية، فتنتهي القصة كما هو معروف بدفن الكنوز لصالح قوى غامضة يمثلها ثعبان هائل الحجم في أحد الفيلمين، ونمر بالغ الشراسة في الفيلم الآخر.

ومن الواضح مدى خطورة مثل هذه الطروحات التي ترى النهب الاستعماري أمرا بدهيا، أو عملا حضاريا وخيرا، وترى مقاومة ذلك شرا وإرهابا، وخصوصا إذا كانت تلك الثروات تمثل قيما ثقافية واعتبارية فوق قيمتها المادية. وغير بعيد عن ذلك ما تدعيه الآن إسرائيل من حقوق ثقافية ودينية مزعومة تحت أساسات المسجد الأقصى، وفي مناطق فلسطينية وعربية أخرى كالأهرامات المصرية على سبيل المثال.

الاستفاضة في مناقشة بقية التوجهات السينمائية والتلفزيونية التي تبثها وسائل الإعلام العربية، الرسمية وغير الرسمية، عملية مفتوحة إلى حد بعيد، وهي تضع بين أيدينا ضرورة التساؤل عن مدى ذكاء - أو مدى غباء - مقصات الرقابة العربية، التي يفترض ألا تكون موجودة أصلا، فهي لا تمنع إلا الأفلام التي تسيء إى العرب إساءة فاقعة، بينما لا تنتبه إطلاقا إلى كل ما يشكل بالغ الإساءة لمجرد أنه يتخذ لبوسا غير مباشر. المؤسسات السينمائية في هوليوود عموما لا تزال تنمط العرب ضمن صفاتهم الثلاث التي سعت إلى ترسيخها لدى الغرب، وهي «الغباء والغنى الفاحش والقذارة»، ولدى هوليوود عشرات الأفلام التي تحرص على تصوير العرب ضمن قالب شامل من السخرية والسوء كالبلاهة والفظاظة والشراهة القصوى في التعامل مع النساء والطعام، وما شابه ذلك. وحتى الأفلام التي تناولت بعض أحداث الحرب العالمية الثانية، كمعركة العلمين وسواها من المعارك التي جرت على الأرض العربية، تتجاهل وجود أي عربي على كل ذلك الامتداد الجغرافي الهائل، أو تصورهم أحيانا بحالتهم الذيلية الهامشية التابعة. ويضاف إلى ذلك جعل طقوسهم الإسلامية مثارا للسخرية، حين نجد في أحد الأفلام الذي لم تمنع عرضه أجهزة الرقابة العربية، مجموعة صغيرة من المغامرين الأوروبيين الظرفاء «تنتصر على جيش كامل من المسلمين الذين صورهم الفيلم على أنهم كانوا يتلقون الضربات من كل جانب، وبدلا من الرد على الضربة بالضربة كانوا يكتفون بالركوع والسجود، من غير أن يغفل مخرج الفيلم عن جعل شعائر الصلاة مجرد حركات بهلوانية مثيرة للسخرية ولا تقصد سوى إدخال بعض الفرح إلى قلب المشاهد الغربي.

ورغم اتساع معرفة الغرب بالعرب لا تزال السينما الأمريكية خصوصا تمعن في تقديم الصورة المشوهة تلو الأخرى، وخصوصا في الأفلام التي تناولت بعض الأحداث البارزة على مسيرة النضال الوطني الفلسطيني، في سبيل استعادة بعض الأرض وبعض الحقوق، كعملية ميونيخ وعمليات الاغتيال التي نفذها الموساد بالتعاون مع بعض أجهزة الاستخبارات الغربية ضد كبار المناضلين الفلسطينيين في مناطق مختلفة من العالم. وإذا كانت السينما الأمريكية تشير بشكل لا لبس فيه إلى أن عربة الخلاص، أو عربة الدرجة الأولى، لن يكون فيها سوى الأمريكيين وبعض البيض الممتازين من أوروبيين وإسرائيليين، فالمشكلة الفعلية أن تلك العربة لا تتسع للجميع، فهي أضيق من أن تتسع حتى لنخبة النخبة في أمريكا، بحسب ما يرشح من أوصافها التي تبشر بها السينما الأمريكية، مدعومة بكل هذا الترحيب الإعلامي العربي ◆

من الشائع لدى عامة متابعي الإعلام الغربي، والفضائي منه بخاصة، أنه الأكثر صدقا في تحري الحقيقة، سواء أتعلق الأمر بالإقبال والمعلومات أم بالاستطلاعات وبالتحليلات. وفي المقابل تنظر غالبية المتابعين نظرة شك وحذر إلى أجهزة الإعلام الغربية، بما فيها الفضائيات، رسمية أو غير رسمية، ويقال غالبا إن الباحث عن الخبر الصادق والمعلومة السليمة، عليه أن ينسى الإعلام العربي بكل ألوان أطيافه، وأن ينشد بغيته في الأجهزة الغربية. هذه الواقعة الشائعة أو النظرة العربية العامة، لم تستطع التطورات التقنية التي جاءت بالمحطات الفضائية الخارجة على الفضاء الرسمي ولا هجرة أدوات إعلامية عربية إلي خارج الوطن العربي، تحسينها، أو تعديل الانقسام الحاد الذي تشعر به بين ما هو غربي وما هو عربي، أو بين ما تعده أبيض وما تعده أسود، على رغم التعددية الواضحة في الفضاء الإعلامي، وعلى رغم ظهور أجهزة مستقلة إلى حد ما.

الكويت - محمد الأسعد

الانتفاضة على الفضائيات

المقاومة تستلهم الشجاعة من الفنان

القضية الفلسطينية، بالنسبة إلي ليست حدثا عابرا، وإنما كانت لي علاقة بها منذ السبعينيات، حيث تعاملت معها عبر الأعمال الفنية.

ففي ١٩٦٩، أديت دور المنشطة في فيلم وثائقي لفاروق بلوفة، يتناول القضية من خلال أشعار محمود درويش، وغناء وتلحين مارسيل خليفة.

وعملت، بعد ذلك، مع المخرج السينمائي الجزائري الكلوم، حيث قدمنا خمسة أفلام انطلاقا من مهرجان الأغنية السياسية التقدمية التي كان محورها فلسطين المحتلة، وهو ما جعلني أنتقل إلى لبنان وأتعامل مع الفرق الفنية، مثل فرقة الأرض لخالد الهبر التي تميزت بالتصاقها بالقضية الفلسطينية.

أعتقد أن للفنان دورا كبيرا في دعم الانتفاضة، سواء بزرع الأمل في المقاوم، أو شحنه بالحب والحنان، لأن الأطفال يحتاجون دائما إلى أحضان أمهاتهم، وهو ما يستطيع الحنان تحقيقه عبر الريشة أو الكلمة أو الغناء، أو الإيقاع، وأهم الأسلحة لدعم الانتفاضة هو الغناء، لأنه يعطيها المزيد من الدفء والأمان، ويشحذ همم الفدائيين، ويجعل التضحية هدفا أسمى لمن يريد تحرير وطنه.

إن الفنان ينبوع الشجاعة والمقاومة تستلهم من الفن، والفنان هو الوحيد القادر على العطاء المتواصل، والتعبير بحرية عن الموقف الإنساني.

ولا يختلف دور الفنان ميدانيا عن دور أي مواطن يؤمن بحق الشعب الفلسطيني في تحرير أرضه من الاحتلال الصهيوني، ولكم تألمت كثيرا، لأنني عشت الفظاعة نفسها التي يعيشها الفلسطيني اليوم، ما رأيته من مشاهد جعلني أسترجع ما وقع لنا خلال عنترية الإرهاب، فالإرهاب واحد سواء كان من المحتل الأجنبي أو من أبناء جلدتنا.

وإذا كان عدو فلسطين معروفا وهو المحتل للأرض، فعدونا في الجزائر غير معروف، وبالتالي فالإحساس بالمعاناة مشترك بيننا وبين الشعب الفلسطيني. إننا نكاد نشم رائحة الدم الفلسطيني وهو يسيل في جنين ونابلس ورام الله وغيرها من المدن الفلسطينية، لكننا لا نستطيع أن نقدم له سوى مشاعرنا وأحاسيسنا عبر ما نقدمه للقضية الفلسطينية.

جميلة عراس - الجزائر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من المعروف أن ثمة حدودا معينة لا تتخطاها، حتى الأجهزة التي تعتبر بيضاء من غير سوء، أي الأجهزة الغربية. فالحقيقة، تخضع هناك أيضا إلى نوع من التوجيه، وإلى نوع من المصالح التي ربما لا يشعر بها المشاهد العربي، كما لا تلاحظ هذه النظرة أن ما يخفى في الإعلام الغربي والصمت أمامه، ربما هو أخطر من المزور المعلن في إعلامه العربي. هذا إذا افترضنا أن اتهام الإعلام العربي بالتزوير يمتلك حيثيات كافية ومقنعة، وأن تعميم هذا الاتهام يمتلك أساسا واقعيا.

الشائع يقوم على التعميم لا على التخصيص، ولا يصلح أساسا للمقارنة التي نحن بصددها، أي المقارنة بين تغطية الفضائيات العربية لحدث محدد هو الانتفاضة الفلسطينية وتغطية الفضائيات العالمية أو الغربية بخاصة. ولهذا لا بد من أخذ جملة أمور في الحسبان منذ البداية:

أولا: الموقف السياسي الذي يقفه الغرب بعامة من القضايا العربية، وبخاصة قضية الصراع العربي - الصهيوني، فهذا الموقف يتراوح بين الانحياز المطلق للجانب الصهيوني والانحياز الجزئي، أي أنه في مجمله نابع من جملة مصالح اقتصادية واجتماعية وسياسية وعسكرية، لا تُعادي الصهيونية بقدر ما ترى فيها أداة صالحة إلى هذا الحد أو ذاك لخدمتها، بينما يعادي الجانب العربي الصهيونية ويشعر بأنها خطر قائم على مصالحه ووجوده.

ثانيا: تتفوق مهارات التغطية الغربية على مثيلتها العربية، ونعني بها مهارات العاملين في التغطية من مصورين ومراسلين ومذيعين ومحللين، ثقافة ووجهات نظر ومنطلقات فكرية، وتمتد فوارق المهارة إلى فنون العرض التلفازي (بث الصورة المناسبة والتعليق والشرح والإيضاح والمعلومات)، بل حتى إلى طريقة صياغة وإدارة البرامج الحوارية المواكبة للأحداث.

ثالثا: يمتلك الإعلامي الغربي في حالات كثيرة حرية أكبر في التحرك في مناطق الأحداث، ويجد تسهيلات أوسع مما يجد الإعلامي العربي الذي ينظر إليه المحتل الصهيوني على أنه طرف في الصراع، حتى ان حاول اتخاذ مواقف محايدة أو حتى ممالئة للمحتلين. إلا أنه لا بد من ملاحظة أن هذه الحرية للإعلامي الغربي ضاقت على أرض الواقع، واقع الانتفاضة، وأصبح معرضا للقتل، شأنه في ذلك شأن الإعلامي العربي والفلسطيني، ولهذا الأمر دلالته التي سنأتي على ذكرها لاحقا.

رابعا: في المقارنة بين التغطيتين لا يمكن تجاهل صلة الفضائية العربية والعاملين فيها بجمهور المشاهدين العرب، وبالقضية موضوع التغطية، فجمهور المشاهدين العرب يشكل عاملا ضاغطا في أحيان كثيرة، والقضية أيضا بكل ما تحمله من زخم عاطفي وفكري، وكلا العاملين يحدد حجم وسعة ونوعية العرض، بينما لا يؤدي هذان العاملان دورا مماثلا بالنسبة إلى الفضائية الغربية التي تتوجه إلى مشاهد من نوعية مختلفة وثقافة مختلفة، فلا تشعر بضغط من أي نوع في تناولها للقضايا غير الغربية. ولا يتصاعد هذا الضغط إلا حين يتعلق الأمر بقضايا محلية غربية مباشرة.

خامسا: إن بحث أي فضائية (عربية أو غربية) عن مصداقية، أو الحفاظ عليها أمر نسبي وليس مطلقا، أي أن ما تراه فضائية مصداقية يجب الحفاظ عليها تتعلق بالجمهور الذي تتوجه إليه من جانب، وبالمصالح التي تخدمها هذه الفضائية، أو تستفيد من خدماتها الإعلانية. وقد يحدث تضارب بين الجانبين، كأن تضحي الفضائية، بجمهورها في سبيل مصالح تخدمها أو تستفيد منها، ولهذا يحافظ على المصداقية بمحاولة إحداث توازن بين الجانبين بالنسبة إلى الفضائيات الغربية، أما في حالة الفضائيات العربية، فالأمر مختلف اختلافا كبيرا، فالفضائيات الرسمية مكرسة تكريسا تاما لخدمة السياسة الرسمية العامة، أما الفضائيات الخاصة، فلأنها لا تمتلك رسالة واحدة، فإن بحثها عن المصداقية يتفاوت بين واحدة وأخرى. فواحدة ترى مصداقيتها متوقفة على إمتاع المشاهد، وأخرى تراها متوقفة على تبليغه رسالة، سواء أكانت سياسية أم دينية، وقد تجد أخرى أن مصداقيتها في كونها بلا رسالة. وهذا هو ما يسمى الإعلام الموضوعي تمويها، ذلك الإعلام الذي يعامل القضية الوطنية، سواء أكانت قضية الديموقراطية أم التحرر أم حرية الفكر على قدم المساواة مع قضية نصب أو احتيال أو فضيحة جنسية.

في ضوء هذه الاعتبارات يمكن أن يتفهم المشاهد هذا الاهتمام الواسع الذي أولته الفضائيات العربية للانتفاضة الفلسطينية وأحداثها، بدءا من الانتفاض ضد تدنيس الصهاينة للمسجد الأقصى، ووصولا إلى حرب الدبابات التي شنوها على المقاومة الفلسطينية والتي لا تزال قائمة حتى الآن، مع ملاحظة أن هذه التغطية الموسعة انفردت بها الفضائيات الخاصة دون الرسمية.

وهكذا خصِّصت ساعات إخبارية مطولة للأحداث، وطوِّر أسلوب المقاربة والتغطية بحيث شمل استطلاعات مصورة وتحليلات واستضافة معنيين. بل وحدث تنافس بين الفضائيات للحظوة بعدد أكبر من المشاهين التائقين إلى متابعة أحداث الانتفاضة، والذين بدأوا يقيسون جدية ومصداقية الفضائية بحجم ونوعية تغطياتها. بعض الفضائيات مثل فضائية «المنار» اللبنانية ذات الرسالة السياسية الواضحة، تحولت إلى فضائية مقاتلة تستهدف تعبئة الرأي العام العربي لمصلحة الانتفاضة الفلسطينية، بينما حاذرت فضائية أخرى مثل فضائية «الجزيرة» الوقوف هذا الموقف، وحاولت الدخول من نافذة التغطية المتوازنة أو ما تسمى «الموضوعية»، وبين هذين الطرفين توزعت مواقف الفضائيات العربية، بين فضائيات معنية بالمتابعة وفضائيات لا مبالية مثل فضائية (LBC).

في المقابل، وفي ضوء هذه الاعتبارات نفسها، يمكن تفهم موقف الفضائيات العالمية، والغربية التي تعنينا أكثر، فهي لم تخرج على أجندتها المعتادة، بل أدرجت أحداث الانتفاضة في مجرى برامجها،

صمود الحجر أمام البندقية

> ”تتفوق مهارات التغطية التلفزيونية الغربية للأحداث على مثيلاتها العربية، بفضل امتلاك أفرادها حرية التنقل داخل مناطق الأحداث بسبب انحيازهم المطلق إلى الجانب الصهيوني“

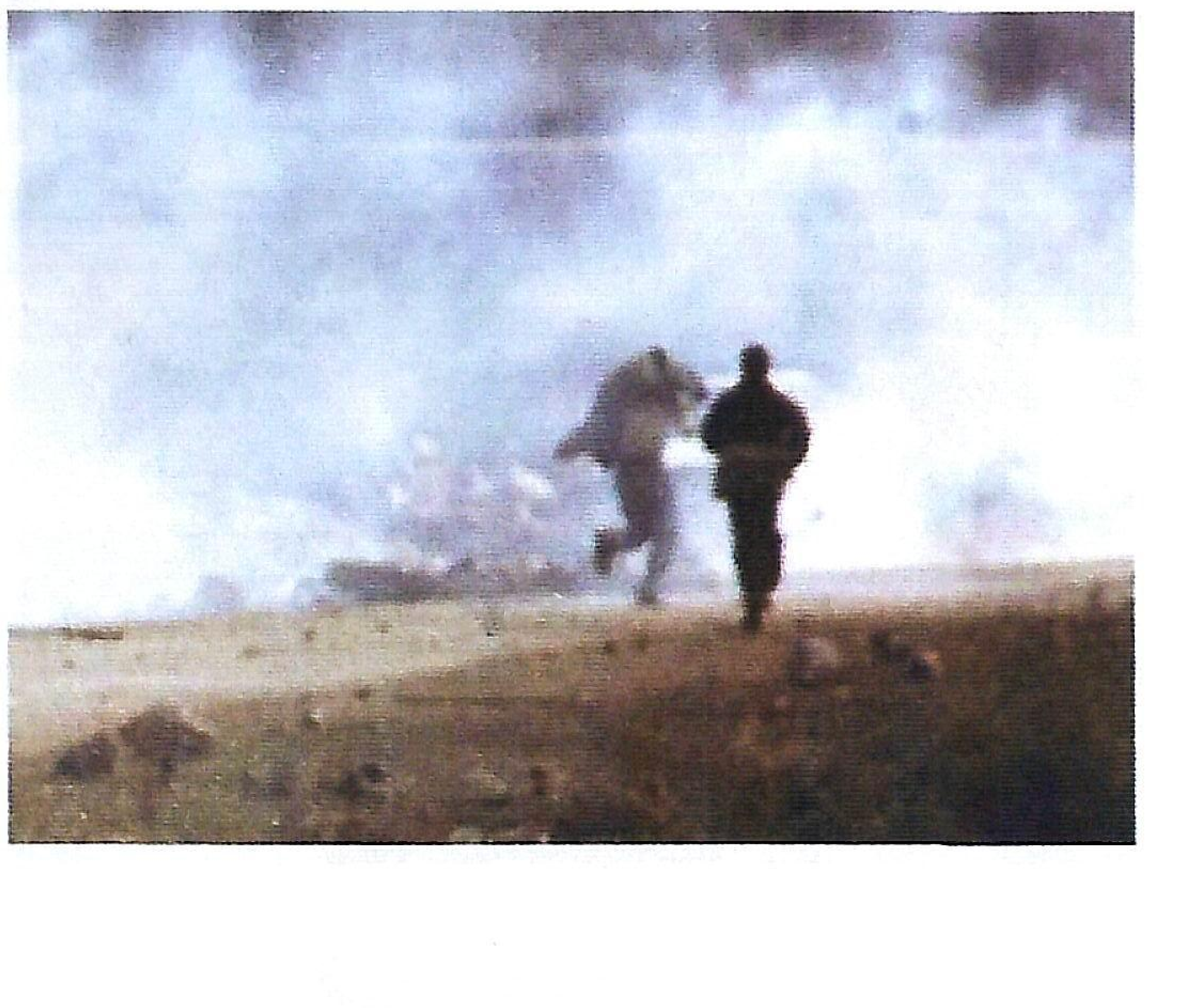

الأجيال الجديدة تحمل القضية

إن الآلة العسكرية الصهيونية جعلت المشهد يبدو كأنه المشهد الختامي في فصول هذا الصراع الطويل، ولكنه في تقديري، وكما هو واضح، كان مشهدا جديدا يرسم ولادة جديدة لفصول هذا الصراع، ولكن هذه الولادة لم تتم في قصور الحكم ولا في أروقة المحافل الرسمية وإنما تمت في الشارع العربي.

كذلك بدأنا ندرك كم كنا مقصرين على أكثر من صعيد، وخاصة على الصعيد الإعلامي العالمي، فتركنا الساحة فارغة للحركة الصهيونية لتروي القصة، وبكل السبل والوسائل على طريقتها، وبما يضمن مصلحتها في استمالة الرأي العام ضدنا واختصرت صورتنا بكلمات التطرف والإرهاب، لذلك علينا أن نكون واقعيين ونبدأ من جديد ونوحد جهودنا في الإطار لإعادة الاعتبار لسمعتنا وصورتنا.

جمال سليمان - سوريا

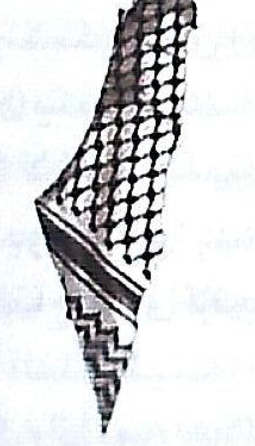

الأسلحة كثيرة ومتعددة

لقد سجلت موقفي وتضامني عمليا من خلال مشاركتي بجهد بسيط مع الجمعية الثقافية النسائية، خصص لدعم ومساندة الشعب الفلسطيني.

واعتقد أن العمل الفعلي والحقيقي، أفضل كثيرا من تسجيل المواقف الفردية والمزايدات.

ومن ثم أقول إن الأسلحة التي يمكن أن يعبر بها الإنسان عن موقفه وتضامنه مع الشعب الفلسطيني كثيرة ومتعددة، وكل من يمتلك وسيلة ما عليه أن يسهم بها بقدر استطاعته.

وكفنانة أقول إن الفن هو أحد الأسلحة التي يمكن أن تسهم بدور فعال وحقيقي في خدمة القضية، من خلال استنهاض الهمم وجعل القضية في أذهان الناس بطرق غير مباشرة فقد مل الناس الخطابة، وإصدار البيانات فالعمل الحقيقي هو الذي يصدر من القلب.

سعاد عبدالله - الكويت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نحتاج إلى أعمال كبيرة تترجم إلى لغات عالمية

القضية الفلسطينية تعيش في وجداننا، وهي جزء من حياتنا وهاجس يومي بالنسبة إلينا جميعا نحن العرب، ومن هنا يمكنني أن أتناول علاقة الفن، والدراما منه بشكل خاص، بالواقع وبقضاياه، علاقة لا أحد ينكر أنها طردية، بمعنى أنها دائما تترجم ما يحدث يوميا على سطح الواقع المعيش. أما فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية فلها الأولوية المطلقة، من حيث الاستعداد للتعبير الفني عنها، وبما يمكن للجمهور أن يستوعب ألغازها ومرامي العدو البعيدة في تشويه تاريخ أرض فلسطين ونسبه إليه، إن الدراما ما لم تعبر بدقة وأمانة عما يحدث، كشاهد أمين، فإن التزوير سيطال تراثنا وتاريخنا، وبالتالي سيجعل الأجيال القادمة تعيش في عالم مشوش ورؤية ضبابية. أعتقد أنه إلى الآن لا توجد أعمال مهمة قدمت في مجال القضية الفلسطينية، كما أننا كفنانين سعوديين، للأسف لا يوجد لدينا ما نقدمه. وحتى ينجز عمل مهم ومتميز في هذا الإطار لا بد من أن تكون لديك أرضية جاهزة تمكنك من الاشتغال من دون عوائق. يعني أن يكون لديك مسرح. فنحن في السعودية مثلا لا يوجد لدينا مسرح جماهيري يتابع الحدث اليومي. من جهة أخرى يفترض أن تكلف شركات إنتاج كبرى لإنجاز أعمال متميزة تخدم القضية الفلسطينية. أنا أساسا كفنان لا أستطيع أن أقول رأيي من خلال الكلام. أنا أعتقد أن الفنان لا بد من أن يقول رأيه عبر الفن ومن خلال عمل فني متميز وليس أي عمل.

فالقضية أثرت فينا داخل بيوتنا، في كل شيء نمارسه يوميا، لذلك أتمنى أن تتاح لنا الفرصة كفنانين سعوديين وعرب أن نقدم ما يجعل القضية الفلسطينية حاضرة دوما وأبدا في ذاكرة العالم، اتمنى أن ننجز أعمالا كبيرة تترجم إلى لغات عالمية مهمة، حتى يطلع عليها الناس بمختلف لغاتهم ويعرفوا أن الشعب الفلسطيني والشعوب العربية تناضل وتكافح من أجل استرداد مقدساتها وليست المسألة ارهابا كما يروج لها في الإعلام الغربي. أخيرا أقول إنه من حق الشعوب أن تعيش في سلام دائم، وأن تتحاور مع الآخر لا أن تتصارع معه. ونحن كأمة عربية نسعى دائما إلى السلام والعيش في تسامح مطلق مع الآخرين، والشعب الفلسطيني باحث عن الحرية والسلام، وإذا ما وجدهما فسيعيش العالم كله في سلام، فهل يحظى بذلك قريبا؟ ليس ذلك ببعيد.

سعد خضر - السعودية

الأطفال والأعداء

وتناولتها وفق منظومة توجهات الثقافة الغربية المتعددة أساسا. ولكن إذا كان الإحساس المعلن لهذه الفضائيات هو الابتعاد عن التحريض أو التعبئة، وهو أمر بعيد عن أسلوب عملها، أو عمل أشهرها على الأقل، باستثناء الفضائيات الخاصة جدا بالتجمعات الأيديولوجية في الغرب، فإن حدثا صارخا مثل الانتفاضة الفلسطينية يواجه فيه شعب أعزل قوة مسلحة عاتية، لم يكن بالمستطاع التعامل معه ببرود، ولهذا تجاوزت هذه الفضائيات تخصيص المساحات الإخبارية إلى إعطاء أحداث الانتفاضة مدى أوسع في برامجها الأخرى، مثل برنامج hard talk في فضائية BBC وبرنامج «لاري كنج» في CNN أو برنامج «سؤال وجواب» في القناة ذاتها. وقد برهن أكثر من مذيع ومقدم برنامج في الفضائيات الغربية على مدى من الحرية أو التحرر نوعا ما من المصطلح والمفهوم الصهيوني للصراع العربي - الصهيوني، وعلى وعي ملحوظ بحقيقة ما يجري من دون الوقوع في شبكة التضليل الصهيوني. ولكن هذه المواقف كانت نادرة، وإن كانت ذات أثر كبير في الرأي العام الغربي، وقد لاحظنا أن هذه الحرية التي اتسمت بها التغطيات الغربية بشكل عام دفعت سلطات الاحتلال الصهيوني إلى الاحتجاج على رفض شبكة BBC استخدام المصطلحات الأيديولوجية الصهيونية، واستخدام مصطلحات أكثر واقعية، ودقة في وصف العمليات العدوانية الإسرائيلية.

وتشير الاعتداءات الصهيونية على الصحافيين من دون تمييز بين عربي وغربي، مثل مقتل الصحافي الإيطالي وجرح آخرين، إلى عمق تأثير الإعلام الغربي الفضائي على صعيد عالمي، وإلى الدور الذي لعبه على رغم كل القيود والاعتبارات التي تحكمه (سياسية وفكرية ومصلحية) في استنهاض وعي غربي جديد بحقيقة أحداث الانتفاضة الفلسطينية وأسبابها، يختلف عما تروجه الأجهزة الصهيونية والأجهزة الموالية لها.

بالطبع لم يكن لأجهزة الإعلام العربية ما تفعله في هذا المضمار، فهي أجهزة ناطقة باللغة العربية، وموجهة أساسا إلى المشاهد العربي، أما الفضائيات الغربية فلأن اللغة المتغلبة عليها هي الإنجليزية الأوسع انتشارا في العالم، استطاع خطابها أن يلعب دورا فعالا في تعرية العدوان الصهيوني، (خطاب الصورة والخبر على الأقل).

> "تحولت قناة «المنار» إلى فضائية مقاتلة تستهدف تعبئة الرأي العام العربي لمصلحة الانتفاضة بينما حاولت قناة «الجزيرة» تقديم تغطية متوازنة وموضوعية للأحداث"

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه مجرد مقارنة عامة بين عالمين في حقيقة الأمر: عالم ثقافة عربية وعالم ثقافة غربية. إلا أن مقارنة محددة أكثر يمكن أن تضيء أبعادا أكثر دقة.

إذا أخذنا موضوعا للمقارنة مثل تقنية الأداء، أي استخدام فنون التصوير، ولغة الخطاب، تجد الفرق كبيرا. فبفضل خبرات الإعلام الغربي المتراكمة في فنون الأداء بمختلف أشكالها، الأدبية والفنية والصحافية، نجد أن طريقة التصوير تتخذ ملامح مميزة. فعدسة التصوير الغربية تعتني بجماليات ومؤثرات، نادرا ما تلتفت إلى عدسة التصوير العربية التي تتحرك حركة بدائية لالتقاط صور المشهد، بينما يراعي المصور الغربي بقية المشهد الدالة. وهو أمر قل من يلتفت إليه بين المشاهدين العرب، عدسة التصوير الغربية توجه رسالة إلى المشاهد، وتأخذ في اعتبارها بالطبع المشاهد الغربي، وقد وجدنا التباين في هذا المجال صارخا. فعدسة المصور الغربي مثلا معنية بتصوير مظاهر الحياة تحت الاحتلال، ولهذا تهتم بالتقاط صور وأحاديث الناس العاديين وتجسيد معاناتهم، وهي معنية بالكشف عن الخفي والبعيد عن الأنظار، لأن المعتقد هو أن الخفي والبعيد عن الأنظار هو الأكثر دلالة في التعبير عن الموقف المعلن الشائع، بينما نجد عدسة التصوير العربية تسعى إلى الرجال أو الناس الذين تعتقد أنهم مهمون، وتهمل حياة الناس العاديين، ولا تعتني بمظاهر الحياة العامة أو الشعبية بمعنى أوضح، ولا تكلف نفسها جهد السعي وراء السري والخفي، ولعل موقف الصحافيين البريطانيين الذين تسللوا إلى مخيم جنين، واستطاعوا التقاط مشاهد الجرائم الصهيونية في الوقت الذي كان فيه مراسلو الفضائيات العربية والصحافيون العرب يدورون وراء هذا المسؤول الفلسطيني أو العربي أو ذاك، ويجرون اللقاءات مع هذا وذاك من الشخصيات المسماة شخصيات مهمة جدا (VIP)، التي توفر لها هذه الهوية الإسرائيلية الحماية، هو الموقف الأبلغ دلالة على هذا التباين الصارخ.

بالإضافة إلى تقنية الصورة أو نقل المشاهد، هناك لغة الخطاب ذاته. وفي هذا المجال نجد أن خطاب الإعلامي الغربي أقل إنشائية وأكثر وقائعية من خطاب الإعلامي العربي. فالأول يهتم بسرد الوقائع كما شاهدها أو سمعها، وإذا سأله مذيع المحطة الفضائية عن رأيه، أدلى برأيه. أي أن هناك تمييزا بين الواقعة والرأي، بينما نجد لدى الإعلامي العربي خلطا، فلا يستطيع المشاهد أو المستمع تمييز الوقائع من الآراء الشخصية في تغطيته. وهناك قصور واضح في خطاب الإعلامي العربي، فهو في حماسه خلال التغطية للكشف عن صورة العدو وجرائمه وعدوانه، يتجاهل تجاهلا يكاد يكون مطبقا ما يحدث على الجانب الآخر من ظواهر دالة على القصور أو التواطؤ مع العدو، أو التهاون، بل نجده يتستر على أخبار أو وقائع يعتقد أن في نشرها إضرارا بالقضية والوحدة الوطنية. لهذا السبب ربما يعتقد المشاهد العربي الذي يتابع الفضائيات الأجنبية أنها الأكثر موضوعية، وصدقا في خطابها وسعيها نحو بث تغطية مقنعة ومهمة.

ولنأخذ الآن فارقا مهما تميزت به الفضائيات العربية على الفضائيات الغربية، وهو أنها فضائيات معنية مباشرة بما تغطيه، على عكس الغربية التي تمارس مهنة إعلامية لا تمتلك تجاهها أي عاطفة مباشرة. وقد تمثلت هذه المباشرة في توسيع التناول العربي لأحداث الانتفاضة بشكل عام، ويكاد يكون مشتركا بين أكثر من فضائية، رسمية أو غير رسمية. إذ التفتت الفضائيات العربية إلى القضية الفلسطينية وتاريخها وجوانبها المتعددة، فقدمت في هذا السياق أفلاما وثائقية عن احتلال فلسطين في العام ١٩٤٨، وعن اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات، وعن حياة الفلسطينيين تحت الاحتلال بعد إقامة دولة إسرائيل على أرضهم، وغير ذلك من جوانب ساهمت في تنبيه الأجيال العربية

الجديدة إلى حقائق غائبة أو مغيبة. وساهمت، وهو الأهم، في إزالة غبار النسيان والإهمال الذي ألم بالشعب الفلسطيني كخبرة إنسانية واجتماعية ظلت غائبة وراء «القضية» بصورتها الأكاديمية والسياسية والقانونية، التي ظلت تقدم بها طوال أكثر من خمسين عاما. وإذا كان لنا أن نشير إلى أهم إنجاز إعلامي حققته الفضائيات العربية خلال تغطيتها للانتفاضة، فإن هذا الإنجاز في اعتقادنا متمثل في هذا الجانب تحديدا، أي إعادة الشعب الفلسطيني إلى الصورة، والاهتمام بالمضمون الإنساني والاجتماعي لقضيته، بعد أن ظلت موضع جدل فقهي وسياسي زمنا طويلا.

في هذا الصدد فإن الملاحظ على الفضائيات الغربية أنها لعبت دورا ضئيلا في هذا المضمار، وأعطت لنفسها دورا يكاد يكون عكسيا، إذ إنها حاولت استغلال ماضي اضطهاد اليهود في أوروبا، عبر أفلام روائية، ووثائقية، ورفع هذا الماضي كمستند يبرر جرائم الصهيونية في فلسطين إيحاء. بالطبع يدخل هذا في إطار السعي الصهيوني الدائم إلى إحداث تطابق بين الهوية الدينية اليهودية والهوية الصهيونية الاستعمارية، وهو سعي تنساق إليه أوساط واسعة في الغرب، ولكن الغريب أن بعض الفضائيات العربية وقع في فخ هذا الإعلام الأيديولوجي الموجه، فكان يبث بين الحين والآخر أفلاما وثائقية عن أيام الحرب العالمية الثانية بلا مناسبة، غير مدرك أن هذه الأفلام مقصود بها تذكير الغربيين بما عاناه اليهود في أوروبا، وإقامة تماثل بين ما يزعمون أنه «معاناة» حالية، وتلك المعاناة في الماضي.

كل هذا الذي ذكرناه فوارق مهمة، ولكن إذا قارنا بين لغة ومفاهيم ومصطلحات الخطابات السياسية في كلا العالمين، الفضاء الغربي والعربي، نكتشف مفارقة لافتة للنظر، فقد اتجهت الفضائيات الغربية إلى تعميم مفاهيم ومصطلحات، تصف الصراع العربي. الصهيوني، منتقاة بعناية. ولاحظنا أن الفضائيات العربية، أو معظمها على الأقل، يتبنى هذه المفاهيم والمصطلحات بسهولة بالغة. فإذا كان من المتفق عليه بين البشر كلهم أن الشمس تشرق من الشرق وتغرب في الغرب، فليس من المتفق عليه، ولا هو من المظاهر الطبيعية أن تتحول «المقاومة» الفلسطينية إلى فعل من أفعال «العنف»، فتجرد من قيمتها الإيجابية وتصبح في لغة الفضائيات فعلا ذا قيمة سلبية، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الغزو الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية بالدبابات والطائرات، هذه الحرب العدوانية الواضحة في عدوانها حتى في أذهان عدد من جنود وضباط الجيش الصهيوني الذين وصفوها بأنها «جريمة» علنا. لقد تحولت هذه الحرب الإجرامية إلى «عملية عسكرية» مجرد عملية عسكرية لا أكثر ولا أقل. وبدأت عدة فضائيات، وبخاصة فضائية «الجزيرة» الأكثر ولاء للمفاهيم الصهيونية والغربية بإطلاق اسم «المطلوبين» على «المقاومين» الفلسطينيين، وكأنهم جناة أو مهربو مخدرات!

ومع ذلك إذا قارنا بين الفضائية الغربية، والعربية من حيث أساسيات الخطاب، أي مرجعيته المفاهيمية، نجد أن الغربية، بغض النظر عن اختلافنا مع خطابها، تميزت بخطاب متماسك، استطاع أن يقدم صورة معقولة للمشاهد الغربي، أي منطقية لا تناقض فيها تطرح المقدمات وتصل إلى النتائج في تسلسل متلاحم، فهي مع دولة «إسرائيل» ككيان قائم على رغم علمها أو إشارتها إلى أن هذا الكيان قام على تشريد الفلسطينيين، ولكنها أيضا ليست مع بقاء احتلالها لأراضي ما بعد عام ١٩٦٧، ولا مع بقاء المستوطنات التي تعد بمنطق القانون الدولي غير شرعية. وإذ تتعاطف الفضائية الغربية مع الطفل الفلسطيني، أي مع الضحية، تنكر على الضحية حقها في مقاومة الاحتلال مقاومة منظمة تطول أساس وجوده، وتنحاز إلى الاحتلال حين توجه إلى تجمعاته المدنية ضربات المقاومة، وتسمى هذه الضربات بالعمليات «الانتحارية»، وهو مفهوم أخذته فضائيات عربية، ثم تراجعت عنه أمام هول الجرائم الصهيونية - الفضائية الفرنسية الخامسة هي وحدها التي انفردت بإطلاق اسم عمليات «الكاميكازي» على هذه العمليات.

إلى جوار هذ المنطق الفضائي الغربي، نجد الفضائيات العربية تعاني انعدام تماسك خطابها، وعجزها عن ابتكار أو تبني لغة محددة، ومنطق متماسك، فهي تقدم صورة حية عن معاناة الفلسطينيين وقت الاحتلال، إلا أنها من جانب آخر لا تواجه الصهاينة الذين تقوم باستضافتهم بهذه الجرائم، بل تظهرهم على شاشاتها للتعليق والشرح والتفسير، من دون أن يجدوا في المقابل من يسألهم ويكشف أكاذيبهم، وكان المقصود بهذا التقديم (تحت ذريعة الاطلاع على جانبي الصورة) تقديم إعلان مجاني لهذه الأيديولوجية العنصرية الصهيونية. وهناك انعدام تماسك آخر في خطاب الفضائيات العربية، فهي تظهر موقفا مناوئا للعدوان الصهيوني وتساند الانتفاضة الفلسطينية، إلا أنها تستخدم لغة ومصطلحات العدو، فقد تجاهلت أن ما تسميه «المستوطنات» اليهودية، هي «مستعمرات» ذات طابع أيديولوجي صهيوني، وأن ما تسميه «إسرائيل» مجاراة للواقع الاستعماري القائم في فلسطين، هو أرض عربية محتلة اسمها في التراث العربي والوعي العربي «فلسطين».

النساء والإرهاب اليومي

”

اهتمت عدسة المصور الغربي برصد مظاهر الحياة تحت وطأة الاحتلال، فقدمت أحاديثا وصورا لأناس عاديين، بينما اهتمت الفضائيات العربية باستضافة المسؤولين البارزين

“

لا يمكن تناول تغطية الفضائيات (عربية وعالمية) للانتفاضة الفلسطينية بمعزل عن كون الإعلام يمثل جانبا من جوانب الصراع، وأن الفضائيات العربية، المعنية مباشرة، كما قلنا، بهذا الصراع، لا تستطيع في الواقع إلا الانخراط فيه، وهذا الملمح لاحظناه في تحول الجهد الإعلامي إلى ساحة معركة فعلية توازي ما يحدث على الأرض، ولكن الفرق هنا أن ساحته العقول والأذهان. فماذا قدمت الفضائية العربية للمشاهد العربي؟

من المفترض بالطبع أنها تتوجه إلى مواطن ذي علاقة عاطفية ووطنية ومصلحية في الوقوف إلى جانب الانتفاضة الفلسطينية، وتأكيد هذه البدهية، بالتشديد على الجانب العاطفي والتحريضي لم تكن الفضائيات في حاجة إليه، فالمؤمن لا يدعى عادة إلى الإيمان، لأنه مؤمن سلفا، ولكنه في

إهانة تحطم كبرياء استمر معي لسنوات

ربما لأن وسائل الإعلام قد اختلف تعاملها مع الأحداث، اختلف إحساسي هذه المرة، كان شعوري بالإهانة التي يتلقاها العرب أكبر، قد يكون ذلك هو شعور شخصي، لكنني أشعر بأن هناك إهانة تحطم كبرياء استمر معي لسنوات طويلة، أشعر بأن هناك انفصاما في الشخصية العربية اليوم، فنحن نتحدث بطريقة مختلفة عن الطريقة التي نفكر بها، ونفكر بطريقة مختلفة عن الطريقة التي نتصرف بها في الواقع.

هناك إهانة متعمدة تصرخ فينا، وهناك تراجع حقيقي يجعلنا أقل من أن نتخذ وقفة معلنة ومشرفة، وكأنهم يتحدوننا لكي نتخذ موقفا، وهم مدركون أننا لن نتخذ أي موقف.

أنا لا أستطيع أن أنكر في المقابل أن هناك أسطورة بطولة يصنعها الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة بكل فئاته، وربما كانت هذه الأسطورة تخفف وقع الإهانة التي تلحق بنا نحن العرب المتفرجين لقد صنع الشعب الفلسطيني صورة للبطولة فيها شيء من نفحات الميثولوجيا، وفي الوقت نفسه عمقت هذه الانتفاضة من دور المرأة الفلسطينية التي كان دورها فعالا، فهي ليست مجرد أم تنجب الاستشهاديين - وهذا دور كبير أصلا - بل هي ممارسة للشهادة.

على الصعيد الشخصي أشعر بأنني متكاملة من الخارج، ولكن داخلي لا شيء، من الخارج مجرد إطار لصورة فنانة تمارس حياتها وتمثل وتسافر وتقرأ وتشاهد التلفزيون، لكن الداخل شيء آخر، هناك إحساس عبثي ناتج من هذا العجز العربي الذي لا يصدق، أشعر بلحظة يمكن فيها أن أنفجر وبلحظة يمكن أن أبكي وبلحظة يمكن أن أضيع، فكل شيء مائع وليست هناك أرض ثابتة، وفي مواجهة كل هذا، وفي مواجهة الدم العربي الذي يراق، والكرامة العربية التي تهدر، نحتاج إلى كم كبير من مشاعر الحقد، يجب أن نتعلم الحقد، فنحن لنا عدو واضح وصريح ومنذ سنوات نميع موقفنا تجاه جرائمه ... مرة باسم السلام، ومرة باسم سياسة الأمر الواقع، ومرة ... ومرة ... يجب أن نعلم أطفالنا الحقد، لأنني لا أعتقد أنه سيكون هناك سلام مع القتلة، وإذا كان هناك سلام فلن يكون سلام شجعان. إن الذي حدث في الأرض المحتلة في الأسابيع الأخيرة تحديدا، أكبر بكثير من أن نتسامح فيه. لا أعرف إن كنت خارج السرب، لكن من الصعب أن أسامح.

منى واصف - سوريا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جنين ... العنوان البارز

إن رأيي وشهادتي، كإعلامي عربي وكمسلم أولا، أن ما يحدث الآن في فلسطين هو امتداد لمأساة بدأت عام ١٩٤٨م. وهي صورة مكررة لأحداث جرت على أرض وعلى شعب فلسطين منذ مجزرة دير ياسين حتى صبرا وشاتيلا وفي الخليل وفي الحرم القدسي وفي مرج الزهور وفي بيروت وفي المخيمات الفلسطينية في لبنان، وأخيرا ما يحدث اليوم في الأراضي المحتلة وفي (جنين) التي أصبحت منبع الأبطال الاستشهاديين والشهداء.

أما أداء الإعلام العربي وتعامله مع القضية الفلسطينية فهو يتلخص في أن الإعلام قدم كل ما في وسعه وجعل الحكومات العربية تعتقد أنها بذلك العويل والنحيب وإبداء التعاطف الكلامي قد أصبحت في حل من أمرها، وأنها تقوم بالواجب الذي عليها، وهو إفراغ عواطف الجماهير في جعجعة كلامية لا تعرف أولها من آخرها وبمختلف الأشكال التلفونية والأثيرية والشعرية والنثرية والمغناة والراقصة وهكذا...

إلا أنه يستوقفني هنا أمر يجب الإشارة إليه وهو أن (قناة الجزيرة) كقناة إخبارية عربية قد استطاعت، في اعتقادي، أن تحتل مكانة صانع القرار العربي وصياغته للحكام، وهي التي وضعتهم عند حجمهم الحقيقي في أنهم لا يعلمون عما يدور إلا من خلالها. وفي ضوء ذلك يعلنون ويصرحون، فكانت المرآة العاكسة، لكل ما يحدث داخل الأرض المحتلة، فكان رد فعل الشعب الفلسطيني متمثلا في العمليات الاستشهادية التي أثبتت أن آلة الحرب الصهيونية هي التي تحتل أرض دولة فلسطين، وأن الصهاينة هم الارهابيون الحقيقيون. في رأيي هذا ما يجب أن يكرس في قنواتنا الفضائية إلى جانب حملات التبرعات ومناظر الحرب الدائرة. أما بالنسبة إلى الإعلام اليمني فأعتقد أننا واعون بقدر كاف ونحاول إبراز ما يدور على كافة الأصعدة.

عبدالقادر محمد موسى - اليمن

النظرة ترسل الحجر

حاجة إلى تعميق للإيمان، وإضاءة لجوانب في إيمانه قد لا يكون واعيا بها. هذا يعني أن المواطن العربي احتاج من التغطيات الإخبارية والحوارية والأفلام الوثائقية، إلى ما ينير في ذهنه غوامض كثيرة، وعلى رأسها أو أهمها إطلاقا ظواهر العجز العربي عن الانتصار لانتفاضة الشعب الفلسطيني، ووسائل هذا الانتصار، وتفعيله. وقد لاحظنا أن دور المواطن العربي ونظمه السياسية كان على رأس التساؤلات الموجهة إلى أجهزة الإعلام، وهو أمر من المؤسف القول إنه لم يجد الأجوبة الملائمة على الأقل. صحيح أن الجانب الذي لاحظناه، وهو إضاءة جوانب القضية الفلسطينية، وإبراز المضمون الإنساني والاجتماعي للشعب الفلسطيني، كان حاضرا، إلا أن الأسئلة الأكثر تعقيدا لم تجد أجوبة على شاشات الفضائيات.

هل كانت الفضائيات الغربية أقل حماسة لخوض معركة الإعلام هذه؟

في حقيقة الأمر لم تكن أقل حماسا، ولكن أساليبها في هذا المضمار تختلف. والوسط الذي تتجه إليه مختلف، إنها أقل مباشرة وأقل انفعالا، ووسطها ضاغط أكثر إعلاميا، لأن الوسط الغربي يتوفر على عناصر ضغط ورقابة من مؤسسات مدنية وصحافية ومنظمات معنية مباشرة بما يحدث في فلسطين. وقد تعرضت أجهزة الإعلام الغربية، بما فيها

> "في محيط تعددت فيه الوسائط والضواغط لم تعد حرية الكذب مباحة كما في الماضي سواء تعلّق الأمر بالفضائية العربية أم الأجنبية"

الفضائيات، إلى نقد صحافي قاس وساخر في بداية تغطياتها لأحداث الانتفاضة الفلسطينية، إذ لوحظ أنها حاولت إخفاء جوانب الصورة البشعة للاحتلال الصهيوني، إلا أن تعددية الإعلام ووسائطها جرفت هذه المحاولات، وصمدت عدة أجهزة إعلامية في وجه حملات الضغط الصهيوني، بل انتقلت إلى الهجوم على هذه الجهات، والسخرية من التزوير الإعلامي الذي مارسته (انتقادات أوبرت فسك للتغطيات الغربية على سبيل المثال).

إذا عدنا إلى ضواغط الوسط العربي على الفضائيات، نجد أن أبرز هذه الضواغط مصدره الجهات الرسمية وليست المدنية، كما هي الحال في الغرب، وتجلى هذا الضغط في محاولات للتخفيف من آثار تغطية الفضائيات على عواطف ومشاعر المواطنين العرب، والحد من تغطية التظاهرات الشعبية في العواصم العربية التي رافقت أحداث الانتفاضة قدر الإمكان، وهذا يعني أن معايير جودة التغطية أو رداءتها لا تقوم على أساس إعلامي مهين قدر ما تقوم على أساس مخاطر التغطية على الوضع النفسي والفكري العربي، والوضعية العربية بعامة.

وأخيرا، إذا عدنا إلى الشائع في الأوساط العربية: الثقة بوسائط الفضائيات الأجنبية والشك في صدق وسائط الفضائيات العربية، يمكننا القول إن هذا الموقف الذي يرجع إلى عقود ماضية، كانت فيه وسائط الإعلام مختلفة، والوضع الدولي والمحلي مختلفا، لم يعد دقيقا في الوقت الراهن، ولا يحمل توصيفا واقعيا لحقيقة الإعلام الأجنبي ولا لحقيقة الإعلام العربي.

في وسط تعددت فيه الوسائط والضواغط، لم تعد حرية الكذب مباحة كما كانت في الماضي، سواء أتعلق الأمر بالفضائية الأجنبية أم العربية، وأيضا لم تعد الحقيقة، الصافية والخالصة بصورتها المثالية جاهزة في هذه الوسائط،

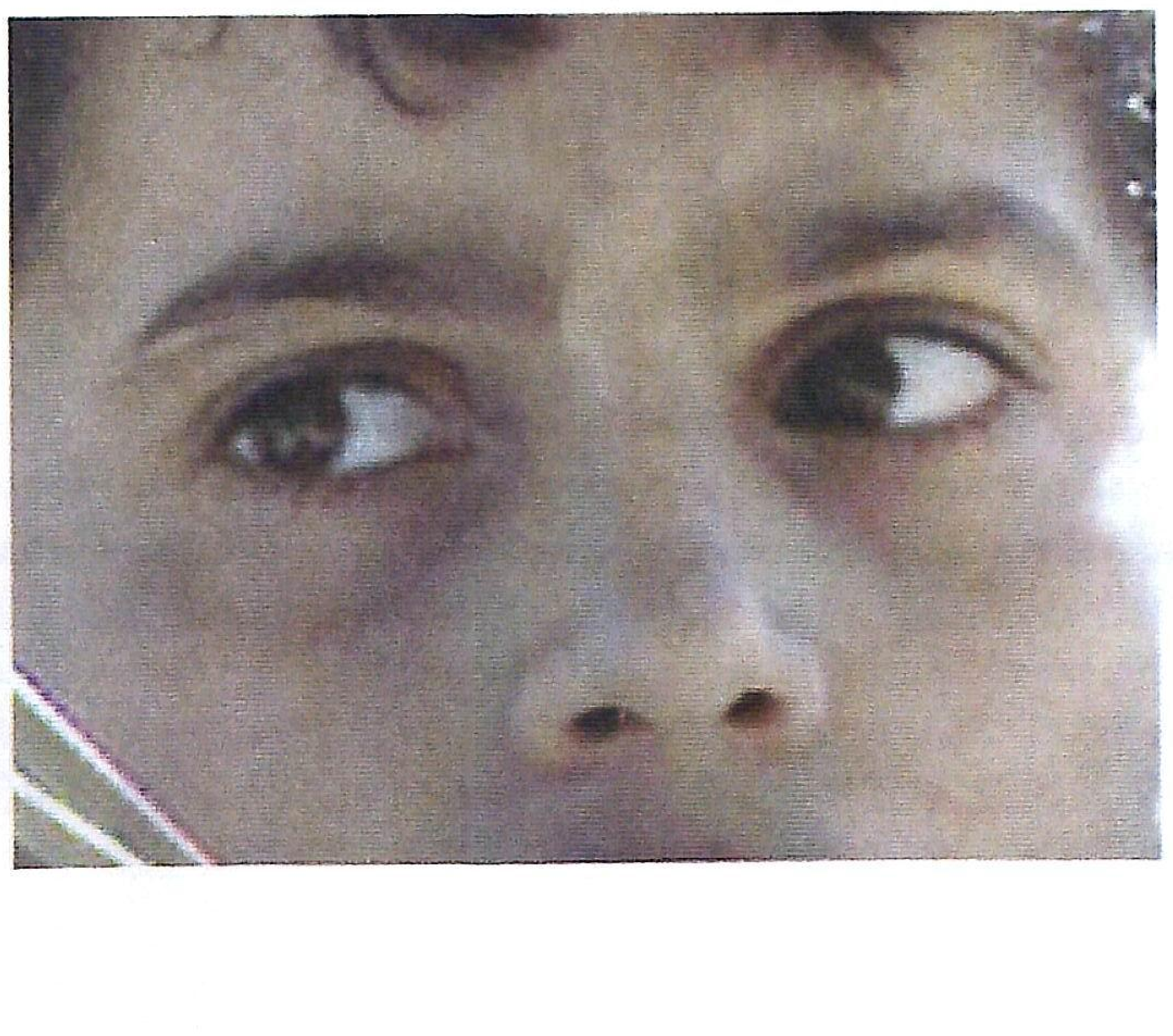

ما نعنيه بهذا، أن تطور علوم الدلالة والمعلومات والإعلام ونظرياتها قد وضع في يد المسؤولين عن الوسائط إمكانات لم تكن متوافرة في الماضي، إمكانات تجعل الخبر صادقا وكاذبا في الوقت نفسه، وتجعل التحليل صائبا وخاطئا في وقت واحد. ولم يعد الخيار بسيطا كما كان في الماضي بين خبر كاذب أو صادق، وتحليل صائب أو خاطئ، والفضل في ذلك يرجع إلى عدة أمور، منها القاعدة المعروفة في نظرية المعلومات والقائلة بأنه كلما تزايدت المعلومات في رسالة إعلامية تناقصت الاحتمالية، والعكس بالعكس. ومعنى هذا أن طوفان المعلومات يقلل من خيار تعدد احتمالات الفهم على هذا النحو أو ذاك، وتقليل المعلومات يزيد من تعدد الاحتمالات، أي يجعل المستمع أو المشاهد أقل قدرة على تحديد أي احتمال هو الأقرب إلى الصواب. الأمر الآخر يتعلق بالسياق، فقد يكون الخبر صادقا تماما، ولكن وضعه في سياق معين قد ينتج أثرا معاكسا، يضفي عليه مسحة من الكذب أو اللامعقول في أفضل الأحوال، ويجعل تصديقه محالا. وكذلك الأمر مع الأخبار الملفقة، فقد تأتي في سياق معين يكسبها مصداقية من نوع ما.

هذه التقنيات الإعلامية الجديدة التي تستخدم بمهارة، لا تمنح المشاهد أو المستمع ما يتوقع أن يكون خالصا وجاهزا، إما كذا وإما كذا، بل تتركه مع خيارات متعددة تخضع لمستواه الفكري ومدى وعيه ببنية الرسالة الإعلامية وأهدافها التي قد لا تكون معلنة، ومباشرة، أعني بالتحديد أن ما يتوهمه المشاهد أو المستمع أنه حقيقة خالصة، قد لا يكون كذلك إلا بفعل السياق الذي جاءت فيه، وفي اللحظة التي تلقاه بها، ومدى نجاحه في اللعب على ثوابته النفسية. خلال تغطيات أحداث الانتفاضة مثلا قد تنسب إلى المحتلين الصهاينة تصريحات مناوئة لشخص ما، فيتخذ هذا الشخص صورة البطل في ذهن المشاهد أو المستمع، من دون أن يدرك أن ثمة لعبة على سيكولوجيته الخاصة، القائمة على أن عدو عدوي صديقي، والعكس صحيح. وهي ثوابت إنسانية ساذجة تلعب عليها وسائط الإعلام.

أين الحقيقة إذن؟

في هذا الجو الذي تحول فيه الإعلام إلى أداة صراع فكري ووجودي، لم تعد الحقيقة تأتي إلا من هذا الوسيط الإعلامي أو ذاك. أي من جدير بالثقة أو ممن هو عرضة للشك، بل من المشاهد أو المستمع نفسه. إنه مطالب بالتحليل والإدراك، وعدم الخضوع للمقولات الجاهزة أو بعبارة أوضح، هو مطالب ببناء حقيقته الخاصة به، وإلا ابتلع أكاذيب الآخرين وهو يحسبها حقائق، وتجاهل حقائق خفية، وهو يحسبها أكاذيب. إن الإعلام في عصر الصراعات المحتدمة يرتدي فورا لباس المضلل الكبير، ويعود إلى مهمته العريقة هذه على رغم ما يقال عن التطور والتعدد والانفتاح، فقد أتاحت كل هذه الوقائع مساحة أوسع لقصف العقول والأذهان ◆

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فضائيات الصوت المرتفع.. عجزت عن اثبات الحقائق

لا شك في أن الإعلام هو اللمبة المضيئة، وهو النور الذي يكشف كل ما تم ويتم وسيتم في منطقة الظلام، وإن كان هذا الظلام طبيعيا في انتظار فجر يطل بين لحظة وأخرى، أو كان ظلاما متعمدا تحجب عنه أنوار وأضواء أو أي ضوء ينبثق من نور يسلط من أي مكان. فما أعوزنا في عالمنا العربي إلى هذا النوع من الضوء الذي يبدد ظلاما كاد يطال كل شيء ليخفي معه حقيقة واقعنا وحياتنا، قسوتنا وظلمنا. جرائم ترتكب في أرضنا وبحق أبنائنا وجرائم يرتكبها من يدعي الحق بنا وبأرضنا وبحياتنا.

ولعل ما حدث ويحدث في الأراضي الفلسطينية المحتلة، الذي اشتد بشكل ملحوظ في الفترات الأخيرة بعد أن اختلطت خيوط السياسة بحقوق الإنسان وتشابكت الأصوات المؤيدة والمستنكرة التي تحكي الحق والتي تنكره، التي تقول ما ترى والتي تقول ما تريد أن ترى بين من يقول ويحكي الواقع الأليم ومن يقول ويحكى الواقع كما يريد هو ومن منظوره الشخصي الخاص.

والإعلام العربي تعرض لأقسى وأدق الامتحان في تلك الفترة، وكانت تجربة التعامل مع هذا الحدث هي أفضل تقييم له كإعلام محترف أو إعلام ناقل أو إعلام مؤثر أو إعلام متأثر، ولا يختلف اثنان على أن الإعلام العربي، وخاصة الفضائيات العربية الخاصة والتابعة للسلطات تنافست في نقل ما استطاعت من صور لذلك الواقع، وحاولت جاهدة كل حسب ميزانياتها وقدراتها. ولعل ما يمكن أن نسجله في هذا الجانب نجاح بعضها، وخاصة القنوات الفضائية الخاصة بنقل الصورة كما هي وفي حينها، أسوة بالمحطات الفضائية الأجنبية، إلا أن الاختلاف هنا هو في كيفية التعامل مع المعلومات التي نجحت في نقلها، ولا يخفى علينا أن لكل محطة هدفا تسعى إلى الوصول إليه من خلال أسلوب تعاملها مع الحدث، إلا أن الملاحظ أن الفضائيات العربية اعتمدت، وما أكثر ما تتبعه في هذا الشأن، على أسلوب الرأي، أي أنها تتفنن في نقل آراء غالبا ما تعتمد على الشتم والهجوم القاسي، كما أن الأسماء المتداولة في مثل هذه الأمور متكررة، فأنت تسمعها في محطات فضائية تلفزيونية، وكذلك تسمعها في إذاعات عربية، فالأسماء نفسها تقريبا تستضاف في كل مكان، ومن ثم فإن ما نسمعه يدور حول النقطة نفسها.

كما أن ما يعيب الإعلام العربي أنه لا يبحث عن الحقيقة بشكل مبتكر ومتجدد، بل يكتفي في غالبيته بما ينقل إليه من الإعلام الغربي المتطور في هذا المجال، ويكتفي إعلامنا العربي في تبهيره بالصراخ والشتم والسب، والأهم من ذلك أنه لا يبحث أيضا عن الحلول، وهنا تكمن الخطورة، فحوادث الأراضي المحتلة وما حدث هناك من منعطفات مهمة في القضية الفلسطينية وما ينسجم عنها من تداعيات في غاية الخطورة، لم تبحث في الإعلام العربي إن كان في الفضائيات العربية الناجحة أو الإذاعات أيضا، فالإعلام لم يبحث عن الحلول المنطقية التي لا تخرج عن نطاق الواقع، يعني الحلول التي تأخذ في الاعتبار الواقع وليس الأحلام والمبالغة في هذه الأحلام، وهنا في نظري تكمن المصيبة والخلل في تعامل الإعلام العربي مع أزمات عالمنا العربي وكوارثه، فنحن أحوج ما نكون إلى النزول بمستوى طموحاتنا إلى ملامسة الواقع بكل ما يفرضه علينا من أمور قد نقبلها أو نرفضها، إلا أننا في النهاية ملزمون بالتعامل معها عن طريق التفكير فيها مسبقا والاستعداد لها.

أنا مشاهدة عربية متابعة ومهتمة على صعيد خبرتي الإعلامية أو على صعيد عروبتي، لم أستفد من كل ما تداوله الإعلام العربي، إن كان من خلال الفضائيات العربية أو الإذاعات فيما يخص الانتفاضة الفلسطينية الأخيرة التي هي امتداد لنضال فلسطيني طويل ومرير إلا في التعرف على جانب واحد، وهو ما يحدث هناك من انتهاكات إسرائيلية وفي إثارة العالم العربي لنصرة الأخوة الفلسطينيين في تسخين الشارع العربي بطريقتين: الأولى خروجه بمظاهرات تعبيرا عن رفضه لما يحصل هناك، وثانيا في بدء جولة ثانية من التبرعات الشاملة والضخمة، إلا أنني لم أستفد منه في إعانتي على رؤية ما يمكن أن تحمله الأيام القادمة، وما المنعطفات التي يمكن أن تؤدي إليها مثل هذه الأحداث ومدى خطورتها على عالمنا العربي وعلى كياننا، وكيف يمكن أن يكون عليه الوضع في المستقبل القريب ولأشهر قليلة مقبلة ولن أقول لسنوات، وهذا بالطبع يحتاج إلى تحليل ورؤية وإلى دراسة الواقع بتجرد، واقع قد لا نقبل به، الواقع رضينا أم أبينا، إلا أننا في عالمنا العربي وهنا الخطورة، نرفض أن نفكر إلا فيما يعجبنا، وما يصب في مصلحتنا، وإن كنا نعرف جيدا أنه ضرب من ضروب المستحيل، أو على الأقل صعب تحقيقه في ظل المعطيات المتداولة.

لقد عجز إعلامنا العربي عن خلق الحقيقة ونجح في تداولها ونقلها، فعلى رغم أن الحق الفلسطيني واضح ولا يحتاج إلى إثبات فإن إعلامنا لم ينجح للأسف في إثبات ذلك إلا لفئة المشاهدين العرب فقط، وهم لا يحتاجون إلى ذلك، أو غالبا ما يقاس نجاح الإعلام المرئي أو المسموع أو المقروء بقدرته على إثبات حقيقة ومعلومة تعتبر مثار جدل واهتمام في الوسط الذي نعيشه، ومن ثم نقل هذه الحقيقة من عالم الظلام إلى العالم الواضح بعد أن تسلط عليها الأنوار الكاشفة من كل صوب، ففضائح ووترغيت والرئيس كلينتون لم تنشئها سوى وسائل الإعلام، وهي التي نجحت بالفعل في إقناع العالم بحقائق كانت غائبة، فتفاعل معها بشكل طبيعي وكانت النتائج المطلوبة.

إن ما يحدث، وما زال، في الأراضي المحتلة يحتاج إلى تضافر جهود الإعلام العربي، وإن كانت المنافسة مطلوبة في سبيل الإبداع إلا أنه في حال وجود قضية وطنية ذات أهداف واحدة لا بد من توحيد الرسالة الإعلامية والهدف منها وتحديد الفئة المراد التأثير فيها على الأقل، فنحن حتى الآن لا نملك في العالم العربي، أداة إعلامية فاعلة تتحدث بلغة من تريد التأثير فيهم، لذلك فنحن لم ننجح إلا في التأثير في الشارع العربي عن طريق تعزيز الخلافات، والصراعات بين شعوب المنطقة عن طريق استصراخ كل شعب ضد الآخر، حتى بات إعلامنا العربي الناجح، للأسف، هو إعلام رفع الأصوات والتعدي على الأشخاص إن كانوا في موقع المسؤوليات الحكومية أو الأكاديمية أو المهنية، وهو ما نراه واضحا في تباري محطاتنا الفضائية في تبني البرامج الحوارية التي لا تسمع منها شيئا ولا تخرج منها بشيء بسبب الجو المكهرب بين الأطراف المتحاورة طوال الوقت.

مذبحة جنين ستستمر كلاما واتهامات يطلقها الفلسطينيون وينكرها الإسرائيليون مستخدمين كل وسائل التمويه والخداع والمماطلة لطمس كل أثر يدل عليها حتى لا يبقى إثبات ملموس، نحن نعرف جيدا أن المذابح وقعت وبكل قسوة ووحشية، ولكن الإعلام يحتاج إلى إثبات ملموس وإلى نضال في سبيل تحقيق ذلك والنجاح فيه، وهنا يكون الدور الأساسي لإعلامنا العربي، وهذا هو مقياس النجاح، كيف يكون ذلك؟ هذا سؤال يمكن لكل الفضائيات ووسائل الإعلام العربية أن تنجح فيه حسب المتاح لها.

المهنية الإعلامية والخبرة والتمرس في مجال الإعلام عملة نادرة في عالمنا العربي، والإعلام ليس وجها جميلا أو شعرا أو مسرحا أو ابتسامة مشرقة الإعلام هو من يحول الوجه القبيح إلى وجه محبوب، والشعر المنكوش إلى خصلات تلاحق الحقيقة والمعلومة المؤثرة، والابتسامة المخفية إلى إشراقة تعلوها النتائج الباهرة التي يطمح إليها كل إعلام مهني ومحترف، والتي تؤدي كلها مجتمعة إلى التأثير في المحيط بكل لغاته وانتماءاته وميوله وقناعاته لأنها تتعامل مع الحقيقة بتجرد ◆

إقبال الأحمد - الكويت

الممارسة اليومية للجيش الإسرائيلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نشيد المقاومة

ليس هناك
من مقام فعال إلا
للمقاتل في سبيل
حقوقه ووطنه والمقاتل
الفلسطيني تحول إلى رمز في
الآونة الأخيرة. إنه الرمز في
موضوعة الحرب والسلام. ولكنني
لا أزال مذهولا مما رأيته، من فظاعات
غير مسبوقة. هذه المجازر شيء شبيه
بمجازر صبرا وشاتيلا، لكنها ليست هي.
هذه المجازر شيء شبيه بمجازر دير ياسين
وكفر قاسم وبحر البقر وغيرها، ولكنها
ليست هي. هذه مجازر غير مسبوقة. لذا لا
أزال مذهولا منها، ومن قوة وبسالة المقاوم
الفلسطيني أمام الآلة العسكرية الصهيونية. ولا
أزال مذهولا من الموقف الأمريكي، الذي يدعو
الفلسطينيين إلى التعقل أمام اللاعقل
الإسرائيلي، وأمام هيجان الثور الإسرائيلي.

لا يزال الفلسطينيون داخل نشيدهم وداخل نشيد المقاومة العربية. نشيدهم هو الأبلغ، بعيدا من البهارات العقائدية والخطابية لأن الأخيرة هي التي سمحت لإسرائيل بترتيب فسحة الحرب الأخيرة في أجندتها. وإذ اجتثت إسرائيل بعض المخيمات، فإن هذا لا يحملني إلى التشاؤم المطلق، ذلك أن صمود المقاوم الفلسطيني كالدرس الدائم في مواجهة الكراهية والحقد الإسرائيليين، ولو أني أحسب أن الكراهية ستزداد عند الفلسطيني المستفرد، وأن حقده سيتضاعف من صمت العالم، ومن عدم اكتراثه بمصيره، فهو الذي أعطى العالم الكثير الكثير.

ستبقى شهوة الانتقام تكبر لدى الإسرائيليين، هكذا أحسب. إلا أن الفلسطيني المطرود من وطنه، والذي أعطى العالم درسا رهيبا في التسامح، حين عاد إلى وطنه مصافحا طارده وجلاده، متعاقدا معه على اختيار قيام علاقات تقوم على محاكاة دولة لدولة أخرى. هذا الفلسطيني تبدل. اختلف الأمر الآن، لأن لا شيء من الاتفاقات نفذ على الصعيد الصهيوني.

الفلسطينيون هم أبطال الدراما الجديدة إنهم
قرناء أبطال الدراما اليونانية، بل إنهم أصحاب
الدراما اليونانية الجديدة، تقلب عليهم الأوضاع،
يهجرون، ولكنهم كما في الدراما اليونانية،
يعودون لكي يستعيدوا ملكا هو حقهم، هو
وطنهم، هو تاريخهم وذاكرتهم وحياتهم.

لن يكبل الفلسطيني بعد عدوان شرس.
لأن الشراسة انتهت في استمرار عقدها
في سلسلة طويلة ثم إن مغامرة
التصادم الدائمة مع الفلسطيني
باتت مكلفة أكثر في حضور الحد
الأقصى في حياة الفلسطيني. لا
مبالغة في هذا القول، لأن
العلاجات تأتي من
التجارب وحدها.

مارسيل خليفة - لبنان

أناديكم
أشد على أياديكم
وأبوس الأرض تحت نعالكم
وأقول أفديكم
وأهديكم ضيا عيني
ودفء القلب أعطيكم
فمأساتي التي أحيا
نصيبي من مآسيكم
أنا ما هنت في وطني
ولا صغرت أكتافي
وقفت بوجه ظلامي
يتيما عاريا حافي
حملت دمي على كفي
وما نكست أعلامي
وصنت العشب الأخضر
فوق قبور أسلافي
أناديكم

ريما إبراهيم - لبنان

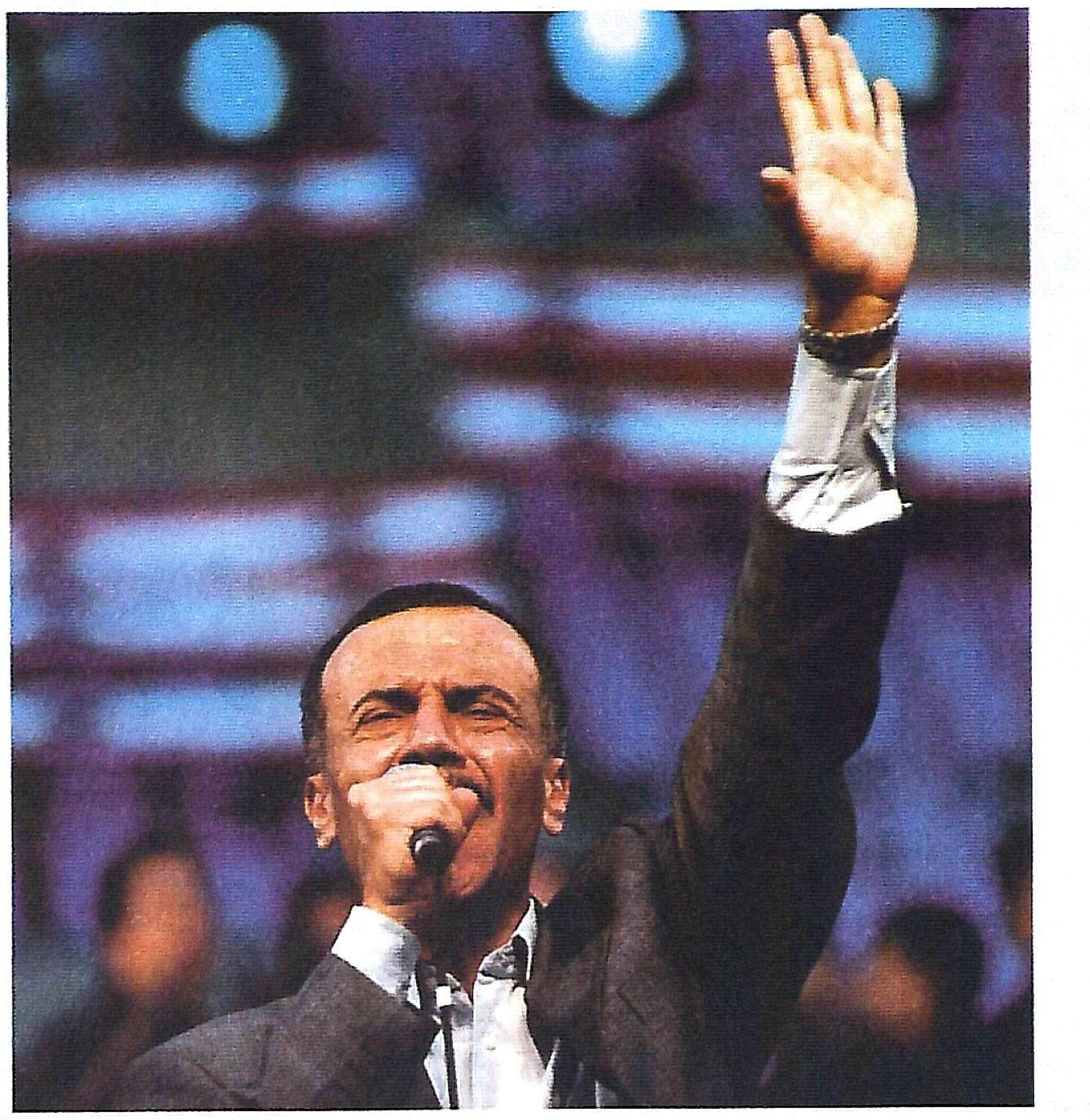

«أناديكم» ما زالت تحاصره

أحمد قعبور: الشهداء أكبر من التعبير عنهم بأغنية

«أناديكم» كانت صرخة الشاعر توفيق زياد التي أطلقها قعبور في وجه أعدائه، في حين يتكلم محمود درويش عن الدور المطلوب من المواطن العربي لعبه: استشهد اهتف عش انتفض، وذلك على لسان الممثل الذي يعلن استقالته ليفتش عن دوره الحقيقي، وتنتهي القصيدة لكنني أكملتها - كما يقول قعبور - أو رددت عليها بقصيدة أخرى اسمها «السجن» يقول فيها: تغير عنوان بيتي وموعد أكلي ومقدار تبغي تغير، وضعت القصيدتين في انسياب موسيقي واحد وقد قال لي محمود درويش أن الفكرة غريبة.

أنهيت الموسيقى ويبقى أن أسجلها وهذه المرة سأغني من دون كورس رغم أني كنت دائما أعتبر أن القيمة الانفعالية للغناء الجماعي أكبر، إلا أن الحالة هنا دقيقة وخاصة جدا.

أغاني أحمد قعبور، الذي يظنه البعض فلسطينيا، لا تزال الملاذ أمام الكثيرين في الأوقات العصيبة «أناديكم الضفة، ارحل» عدنا نسمعها ونغنيها وتستنهضنا وتشكل صرخاتنا في وجه كل الظلم كما كانت دائما. من يعرف أحمد قعبور ير فيه فنانا ملتزما صادقا مخلصا في كل عمل قام به، ويرى فيه إنسانا حساسا شفافا معنيا إلى أقصى الحدود بالقضايا الكبرى والصغرى، من رآه أثناء الحصار على فلسطين شعبا وسلطة، من رآه وسمعه يغني في الاحتفال التضامني مع الشعب الفلسطيني، الذي أقيم في المدينة الرياضية في بيروت، وشارك فيه الشاعر محمود درويش والفنانة ماجدة الرومي، لا يمكن أن يتهم هذا الفنان الملتزم بالتخلي عن النضال ولو ليوم واحد.

النضال الذي بداه في العام ١٩٧٥ بأغنية «أناديكم»، وكان عمره وقتها لا يتجاوز الثامنة عشرة، يكمله اليوم بأغنية «أناديكم» بناء على صراخ الجماهير. بين الأمس واليوم مرت سبع وعشرون سنة نضجت خلالها تجربته وتوسعت لتشمل أشكالا أخرى للنضال.

حول تاريخه وحاضره النضالي كان لجريدة «الفنون» هذا الحوار معه:

هل الفن هو وسيلة تعبير أم هوية بالنسبة إليك؟

تتطلب الاجابة دقة افتقدها هذه الأيام حيث اختلط الذاتي بالموضوعي، وأحيانا ضغط الموضوعي من القضايا الكبرى وضغط رؤية الناس لدوري كفنان أو كشخصية فنية يصل إلى حد الحصار مما يعذبني كثيرا على رغم فرحي لمعرفتي بأنني موجود في ذاكرة الناس، ولكن كما يرغبون وليس كما أرغب ولا أدري كيف يمكنني أن أقصر المسافة بيني وبينهم، فأنا مثلا بعد سبع وعشرين سنة، وفي يوم التضامن مع فلسطين وجدتني محاصرا حصارا جميلا بـ«أناديكم» و«الضفة»، أي بأول أغنيتين قدمتهما في حياتي، علما بأنه كان لدي شيء مختلف أقوله في هذا الاحتفال نتيجة تطور فني ووعيي السياسي ونضجي وتطور علاقتي بالقضايا الكبيرة، ولكن كان من المستحيل أن يعطيني الناس الفرصة لأقوله.

بالعودة إلى سؤالك أنا أرى مسافة بين الفن كوسيلة تعبير أو كهوية، فبالنسبة إلى التعبير الفني هو طريقتي في رؤيتي للقضايا ورؤيتي لنفسي.

لماذا تحس بأن الجمهور لن يعطيك فرصة لقول أشياء أخرى؟

بسبب التصنيف وهو أمر قاتل، لدي تحفظ كبير حول ما يسمى بالأغنية السياسية والملتزمة أو الوطنية، ولدي إحساس بأن الجمهور يصنف الفنانين إلى فنانين يرقصون على إيقاعاتهم ليلا عندما يكونون سعداء، وفنانين يصفقون لهم عندما يكونون مأزومين، وهكذا أصبحت أنا ومارسيل خليفة وزياد الرحباني وخالد الهبر الوكلاء الحصريين للقضايا الوطنية والاجتماعية والإنسانية، وهذا أمر قاتل لأن القضايا الوطنية لا تختصر بالتعاطي مع موضوع الوطن بالشعارات العامة: فلسطين، الجنوب، التحرير، المصير، رغم أني أستطيع التعاطي مع هذه المواضيع إلا أنني لست المنبر الجاهز دائما لتعبئة الناس في الوقت الذي أحتاج فيه إلى من يعبئني. وهنا أستطيع أن أمرر ملاحظة: أم كلثوم غنت «أصبح عندي الآن بندقية»، وهو لحن جميل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسرحية (كله في الزيبق) كلمات والحان قعبور

لمحمد عبدالوهاب وكلمات رائعة لنزار قباني، وهم ثلاثة من الكبار قدموا أغنية خاطبت قضية إنسانية وقومية كبيرة وهي لا تزال تُغنى، أم كلثوم نفسها غنت «بقى يقلي وانا أقله وخلصنا الكلام كله». فإما أن أم كلثوم كانت تعاني انفصام الشخصية، وهو أمر مستبعد، وإما أن الناس يريدون تصنيف الفنانين حسب أهوائهم السياسية الانفعالية العابرة، ومروحة الحياة واسعة ومملوءة بالتفاصيل، بحيث يجب ألا يصنف الفنان إلا بما يقدم من قيم جمالية وإنسانية حقيقية، فـ «أناديكم» لم تنجح لأنها أغنية وطنية أو لأنها قصيدة رائعة كتبها توفيق زياد. فلو كان لحنها رديئا لما غناها أحد، لذا فالأغنية الوطنية كما كل أغنية يجب أن تتوافر فيها شروط فنية وقيمة جمالية تسجل في المكتبة الموسيقية العربية.

سؤالك عن الفن كوسيلة تعبير أو هوية، كثيرا ما سبب لي أزمات بحيث أن الجمهور الذي يحبني يشعرني بتأنيب الضمير عندما أرغب في الغناء لزوجتي مثلا أو عندما أريد أن أغني في قالب ساخر حول طبيعة صمودي أحيانا، هنالك مواضيع تستحق الغناء عنها وهي جزء أساسي من العمل النضالي، وإذا كان لا بد من تعريف الأغنية الثورية، فهي التي تقدم جديدا سواء في خطاب وطني أو خطاب موسيقي بحت.

والمناضل أحيانا يحتاج إلى الرقص لينسى القضية، ولأن الحياة عزيزة عليه يحتاج إلى أن يتنفس حتى يستطيع أن يستمر في نضاله.

ختاما للموضوع أنا أومن بالأغنية الجيدة لأن هنالك الكثير من الأغاني الملتزمة الرديئة، كما هنالك الكثير من الأغاني العاطفية الجيدة، والتصنيف في رأيي هو تسخيف للعمل النضالي، فمثلا أغنية مثل «لو جمعنا دموع الأرض» أو «صبح الصباح» التي تحاول أن تلتقط ملامح أمل وصباح في أيام أصبحت صباحاتنا فيها بلا معنى، أحاول أن أغني للصباح في وجه طفولي يحاول استكشاف نفسه والناس والطبيعة في زمن فقدنا فيه الأمل، فمسألة البحث عن الأمل والحلم هي مسألة نضالية وإنسانية بحتة. قد يكون لها مفعول في المستقبل أكبر من مفعول «الضفة» و«أناديكم».

هل يكفيك نضالك بالفن أم تحس كبقية الناس بضرورة فعل شيء آخر؟

يجب أن نعترف بأن لدينا أزمة فكر، أزمة حركة تحرر عربية، في مقتبل العمر كنت أنتمي إلى حزب ينتمي بدوره إلى الحركة الوطنية التي كانت تحمل مشروعا تعتبره التغيير الحقيقي والمناسب للبلد حول هوية لبنان وطبيعة النظام السياسي ومحاربة الطائفية فيه، بالطبع لم تكن الأغاني التي قدمتها وقتها انعكاسا مباشرا لهذا الفكر لأنني حين كنت أغني لم يكن ذلك بقرار من المكتب السياسي لحزبي، كنت أغني لأنني كنت أحس بحاجة إلى الغناء وكنت أستند إلى فكر يدفعني ويشعرني بأن موقعي في الأغنية منسجم مع موقعي في الحياة السياسية والفكرية. أنا اليوم أعيش أزمة الفكر هذه، فأنا أنتمي إلى الجيل الذي رأى تكسر الأحلام وهزيمة المشاريع، أفتقد الحياة السياسية الحقيقية، والجماهير التي تصنع هذه الحياة لأني أحس أنها تدفع ثمن الهزائم وتعبر بانفعالات غالبا ما تطال شكل النضال لا جوهره.

هل كانت «حملت دمي على كفي» دعوة للاستشهاد؟ وأين أنت اليوم منها؟

هذه القصيدة كانت تشبهني وقتها، فأنا ممن حملوا السلاح وأدركوا في المواقع العسكرية ماذا يعني أن يحمل الإنسان روحه على كفه، لم تكن دعوة للاستشهاد المجاني، إذ يجب أن تفهم في سياق القصيدة التي كانت تلامس المشاهد التي رآها توفيق زياد وسنراها كما سبق أن رأيناها عندما رأينا الأب حاملا طفلته بين يديه (في السيارة التي قصفها الإسرائيليون أثناء عملية عناقيد الغضب عام ١٩٩٦) كان فعلا حاملا دمه على كفه وخجلت من نفسي وقتها لأنني غنيت «دمي على كفي».

محمود درويش قال في الاحتفال «عندما يتقدم الدم يتراجع الحبر» خجلا وإجلالا واحتراما، لذلك فإن أكثر اللحظات التي أكره فيها الغناء هي تلك التي يكون فيها عدد الشهداء أكبر من أن يعبر عنه بأغنية أو قصيدة، وهي اللحظات التي أحس فيها بحاجة إلى التأمل لأعرف كيف سأستنهض نفسي قبل استنهاض الآخرين، لم أعد أحس كما في السابق أن لدي وظيفة تعبوية.

هل هو انهزام أم نضج ووعي؟

هو وعي لأن الشاب منا عندما يبدأ العمل السياسي يعتقد أن الثورة آتية غدا، فأنا عندما غنيت «أناديكم» أحسست أن التغيير سيأتي في الغد، ثم اكتشفت أن الأمر ليس بهذه السهولة، وأن ثمة مراحل تاريخية يجب أن تمر، وأن ثمة أثمانا باهظة يجب أن تُدفع. هناك أغنية لمارسيل خليفة كتبها صديقنا الشاعر محمد عبدالله كنت أحبها كثيرا، واليوم أتوقف عندها «خفقا خفقا يقوم بواجبه القلب إنهم لا يتعبون».

لا يوجد إنسان لا يتعب، أنا أتعب والمناضل يتعب و الشهيد يتعب، نحتاج إلى الوقت كي نلتقط أنفاسنا ونلملم أفكارنا ونضالاتنا لنصنع نضالا واحدا ونطمح إلى التغيير في المستقبل خاصة إذا كنا على يقين بأن التغيير الآن مستحيل.

في فترة زمنية سابقة تعرضت لهجوم شرس من قبل جمهورك، في اللحظة التي أصبح فيها اسم أحمد قعبور معروفا، بسبب عملك في تلفزيون المستقبل الذي يملكه رئيس مجلس الوزراء اللبناني رفيق الحريري؟

عملي في تلفزيون المستقبل ترافق، مع الأسف، مع انهيار مريع لقوى حزبية لبنانية آسف عليها جدا لأن الحياة السياسية اللبنانية في حاجة إليها، وترافق كذلك مع حاجتي الفعلية إلى العمل لأنني عندما أذهب لأسدد قسط ابني في المدرسة لا آخذ جيتاري معي ليحل لي هذه المشكلة.

ويبدو أن «المناضلين» في حاجة دائما إلى من يحملونه مسؤولية فشلهم، وصادف أن عملي كان في محطة إعلامية يملكها رئيس حكومة أي رمز من رموز السلطة فدانوني بتهمة خيانة النضال، والعمل مع السلطة

„ أتمنى أن أغني لزوجتي وأولادي، لكن جمهوري يشعرني دائما بتأنيب الضمير إذا فعلت ذلك "

قدمت أغنية «القدس» التي لحنها والدي منذ ٥٥ عاما

مشاعر الأمة العربية واحدة، في هذه المحنة التي يمر بها الشعب الفلسطيني والأمة العربية كلها، القلوب يُدميها صمت العالم تجاه ما يحدث لهم، ويُدميها أكثر ما لم نقم به من دعم ومساندة لإخواننا المعذبين في فلسطين.

كلما ازداد العدوان على الشعب الفلسطيني، زاد عدد الشهداء وأمعن المجرمون في القتل والتشريد للنساء والشيوخ والأطفال، وآمنت بأن الفجر قريب. في وسط هذا الظلام والقبح، سيتحقق الأمل العربي والفلسطيني وستقام الدولة الفلسطينية، هذا حدس الفنان، أعلنه رغم كل المظاهر التي لا تشير إلى ذلك.

كنت أول فنان يقترب من الحدث الفلسطيني العظيم، فحاولت التجاوب مع الانتفاضة الباسلة بالفن، سلاحي الذي أملكه ولا أملك غيره، كان ذلك ممثلا بقصيدة «القدس» للشاعر الكبير الراحل محمود حسن إسماعيل، التي قام بتلحينها الراحل رياض السنباطي منذ ٥٥ عاما، وقد أعدت تقديمها فور اندلاع انتفاضة الأقصى تجاوبا معها، وإيمانا بأن الفن لا بد من أن يكون مواكبا ومعبرا عن الأحداث الكبرى في تاريخ الأمة.

يقول مطلع قصيدة «القدس»:

وعادت الطيور في المساء
فلم تجد في القبة الضياء
ولا صدى الترتيل والدعاء
فهزت الأوتار بالنداء
يا قدس يا حبيبة السماء
قومي إلى الصلاة
باركي الحياة

في مثل هذه الظروف العبثية، التي تتراجع فيها كل القوانين والأعراف، وتتراجع فيها الأخلاق والتراث الحضاري الإنساني المكتسب عبر رحلة البشرية كلها، وسط هذا التراجع الكامل، لا يبقى أمام الإنسان، سواء كان فنانا أو مزارعا أو باحثا إلا التوجه إلى الله سبحانه وتعالى، يستمد منه القوة والقدرة، ويستمد منه الإيمان: السلاح الماضي في مواجهة أعتى وأشرس الأعداء.

أحمد السنباطي - مصر

أسطورة لا تُقهر

«سلام على نبعة
الصامدين
تعاصت على معول الكاسر
وليس على غصن ناعم
رشيق يميل مع الهاصر»

رحم الله الجواهري على هذه الكلمات التي ترقى إلى الحكمة. فها هي نبعة الصامدين في فلسطين تتعاصى على معول المجرم شارون وعصابة المحتلين.

اننا نحيي إجلالا وإكبارا واعتزازا هذا الشعب البطل الذي يواجه آلة الحرب الكبيرة وأحدث تقنياتها من دون أن يركع. لقد أشاع المحتلون وعملاؤهم سابقا أن لهم جيشا لا يقهر، وقد قهر في عام ١٩٧٣، لكن الأسطورة الحقيقية التي لا تقهر حقا هي الشعب الفلسطيني. ومهما أسعفتنا الكلمات لوصف هذا الصمود البطولي وهذه المقاومة الباسلة، فلن ترقى إلى مستوى ما حدث في جنين ونابلس وبيت لحم و... و... وجميع المناطق الفلسطينية الأخرى. إننا، كشريحة ثقافية عربية داخل أقطارنا العربية أو خارجها، يجب أن نقوم بدورنا في هذه المعركة الشرسة ضد العدو، إذ لا تكفي الكلمات والمقالات التي تتحدث عن بطولات الشعب الفلسطيني أو مأساته فقط، إذ لا بد لنا من أن نقوم بدورنا، كل في مكانه، وبما يستطيع، فلكل دوره في النضال. ومن الأسلحة التي يخشاها العدو منا هي المقاطعة الاقتصادية، وأعني هنا مقاطعة كل ما له صلة بمنشأ الإنتاج الإسرائيلي والأمريكي وهو كثير. وليس ما يهمنا أن نطبق تلك المقاطعة على أنفسنا، بل لا بد من تحريض الآخرين عليها، وهي مهمة لا تتطلب منا أي تضحيات. فلنبدأ بأنفسنا أولا ولنحرض الآخرين على المقاطعة. لتكن كلماتنا تحرص على المقاطعة، لتكن أغانينا تحرص على المقاطعة، ولتكن ندواتنا تحرص على المقاطعة.

هولندا - حميد البصري

تخترق الحواجز والحدود

إن الأغنية الوطنية، وبالذات التي تعكس ما يجري في فلسطين، تنتشر كالنار في الهشيم، وتصل إلى كل الشعب العربي من أقصاه إلى أقصاه، وتخترق الحواجز والحدود وفيز الدخول إلى الدول العربية. من منا لم تهزه أغنية فيروز «إليك يا مدينة السلام؟، من منا لم تحركه أغاني مارسيل خليفة؟ كما أن هناك الكثير والكثير من الفنانين العرب الذين قدموا لخدمة القضية كل حسب إمكاناته المتاحة، الكل يقدم ويزرع الحماس وحب التضحية بالكلمة الصادقة، لأن ما يقدمه الفنان ما هو إلا نبض الشارع العربي وما لم يستطع قوله المواطن العادي والتعبير عما في داخله من مشاعر حزن على ما يحدث.

وبالنسبة إلى دور الفنان اليمني فهو لا يقل عن دور أي فنان عربي، وأنا من موقعي في استديو الربيع سجلت مجموعة كبيرة من الأغاني والأناشيد لفلسطين، لمجموعة من الفنانين والفرق الفنية، وكثيرا ما تجدني تدمع عيناي وأنا أسجل هذه الأعمال، وذلك من شدة تفاعل من يغني هذه الأعمال، لأنني أحس الصدق في كل ما يغنى لأجل فلسطين ولأجل كرامتنا المنسية، قدرنا أن نغني ونغني للحرب وللسلام للقبح وللجمال، وهذا أقصى ما نستطيعه كفنانين. ولا يمكن إنكار ما قدمه الفنان اليمني للقضية الفلسطينية مهما كان متواضعا، فلعله قد شارك في تحريك شيء من الحماس من أجل فلسطين العروبة والإسلام.

فؤاد الشرجبي - اليمن

مشهد من مسرحية «الزبيق»

وهو حال كل العاملين في تلفزيون المستقبل الذي أصبح التعامل معهم على أساس أنهم انتهازيون لا بشر، في حاجة إلى العمل ليأكلوا خبزهم كفاف يومهم.

قبل تلفزيون المستقبل كنت أعمل في «تلفزيون الجديد» الذي كان عندي رهان عليه أنا ومجموعة كبيرة من المثقفين والمبدعين أنه كان منبرا ديموقراطيا، لدينا الكثير مما نقوله عبره، لكنني فوجئت بأن هذا المنبر هو أكثر استهلاكية من كل التلفزيونات التي تلهث وراء الإعلان، ذلك بالإضافة إلى سوء معاملتي وتوظيفي واضطراري إلى الائتمار بأوامر أناس لم أكن أحترمهم فنيا على الأقل، مما دفعني إلى ترك هذا التلفزيون وقررت أن أعيش من موسيقاي وأغنياتي، لكنني فشلت وكان يجب أن أعمل فعملت.

وبدأت الإدانات وهذا يعيدنا إلى موضوعنا الأول، إذ حكم علي أن ألعب دور الشهيد وأن أظل مناضلا وجائعا ومتعبا، وكل ما علي أن أفعله هو الغناء للثوار الذين فقدوا ثورتهم «كثائر بلا قضية» وأقصد بكلامي العمل السياسي لا المقاومة.

لكنني واجهت هذه الإدانات بحب لأنني اعتبرتها نابعة من انفعالات أنانية سرعان ما همدت، وسرعان ما اكتشف الناس أن كل شخص مسؤول عما يقدمه، فمن الممكن أن نجد في تلفزيون يمتلكه أحد رموز السلطة من هو مناضل ومناكف وطامح للتغيير، إلا إذا اعتبرنا أن أحد المعتقلين السابقين والذي استشهد لاحقا كان يجب عليه ألا يعمل في تلفزيون «السلطة» وكان عليه أن يبقى عاطلا عن العمل كي يبقى مناضلا ولا تثبت وطنيته إلا إذا مات جوعا.

طبعا لو كنت أملك «استديو» أو لو كانت أمي أسمهان لكنت تفرغت للعمل الفني ولما كنت في حاجة إلى العمل في أي مؤسسة، لكني أحب أن أضيف ملاحظة وهي أن كل وسائل الإعلام التي عملت فيها من «صوت لبنان العربي» إلى «صوت الشعب» إلى «التلفزيون الجديد» وأخيرا «تلفزيون المستقبل» أستطيع أن أجزم بأنها كلها أخذت مني أكثر مما أعطتني.

حتى تلفزيون المستقبل على رغم انه هو الذي عرّف جمهور «أناديكم» على أحمد قعبور بعد إجحاف طويل بحقك؟

حتى تلفزيون المستقبل فأنا من «ورطه»

في صورة شعبية راقية ونبيلة، وهي التي أوصلت اسمي، أنا الذي كتب ولحن «لعيونك» ولم يطلبها أحد مني، أنا الذي شكلت قسما ثقافيا في التلفزيون أعد برنامجي «أبجد هوز» و«شرفات» معتقدا أنه يمكنني أن «أورطه» في جزيرتي، ولكني أصبحت وحدي جزيرة داخل التلفزيون لكن الحق يجب أن يُقال وهو أن هذا التلفزيون يتعاطى معي بصفتي فنانا لا مستخدما، وهذا أمر أحترمه كثيرا لأنه لم يسئ مرة احترامي كفنان فكنت دائما أعبر عن آرائي وأفكاري.

و«لعيونك» التي قامت الدنيا ولم تقعد بعدها هل تعبر عن أفكارك؟

توظيف «لعيونك» السياسي لا علاقة لي به أبدا، ولكن سأخبرك من أين جاءت فكرتها، في إحدى المرات كنت أنظر إلى صورة والدي المعلقة على الحائط، وكان عزيزا جدا علي، نظرت إلى عينيه فأحسست أنه يقول لي «روح شوف مستقبلك» بعد معاناة، فغنيتها لأولادي، للناس، وفي الوقت نفسه روجت للتلفزيون بغير الطريقة الساذجة نفسها «أحلى البرامج...» قلت «روح شوف مستقبلك...» كما لامست الحرب «عالماضي لا تنوح...» ولا أقصد أن ننسى الحرب وإنما «المستقبل لإلك» أي أنه جدير بالسعي إليه ونجحت لأنها لامست الخطاب الشعبي.

أخيرا بدات في التلحين للمسلسلات، أين تقع هذه الأعمال ضمن مسيرتك الفنية؟

قمت بتلحين الموسيقى التصويرية لمسلسل «البحث عن صلاح الدين» من إخراج نجدت أنزور، وقد عرض في شهر رمضان الماضي وأقوم الآن بالعمل على موسيقى مسلسل «أبوالطيب المتنبي»، وهذا شكل من أشكال التعبير الموسيقي أنا في حاجة إليه، فتأليف الموسيقى الدرامية يشكل تحديا بالنسبة إلي للتعبير عن إمكاناتي الموسيقية.

حصة الأطفال من أعمالك كبيرة على مستوى الأغاني أو المسرحيات، هل تنفذ مشروعا معينا من خلال عملك مع الأطفال؟

اتهمتني إحدى الصحافيات بالردة لأنني غنيت للأطفال، وأنا اعتبر أن ذروة العمل الإنساني الجمالي هو عملي مع الأطفال، وأعتبر أن أجمل ألحاني هي التي لحنتها لهم، ولكن للأسف ليست شائعة كما شاعت «أناديكم» أو «لعيونك»وعملي مع الأطفال يأتي ضمن مشروع، فإذا ألقينا نظرة على أطفال العالم العربي خاصة وأطفال دول العالم الثالث عامة، نجد أنهم يدجنون ويحملون صور القادة والزعماء ويهتفون بأسمائهم وهم لا يعرفونهم، فأطفالنا تستلب منهم طفولتهم، إما بالحروب وإما بالأنظمة المنفتحة على الولايات المتحدة بسعيهم وراء الهدية التي ينالونها لدى شرائهم «سندويتش الهامبرغر»، وإما بالأنظمة التي لا يوجد النضال فيها إلا على اليافطات والخطابات والمؤتمرات بإلباسهم الزي العسكري مع المعرفة المسبقة بأنهم لن يخوضوا أي معركة، لذلك قررت الدخول إلى عالم الأطفال كي استكشف عالمهم وأسعى معهم للوصول إلى طريقة لنفكر كيف نعيش طفولة ونرسم شمسا، كيف نتساءل عما وراء الجبل ومن أين تطلع الشمس، لأنني حين أعزز لدى الطفل قيمة السؤال أحاول ان ابني مستقبلا إنسانيا يطرح أسئلة موضوعية لا جاهزة، ويتعب لإيجاد إجابات حقيقية لا إجابات جاهزة تقدمها المؤسسة، سواء كانت وسيلة إعلام أو نظاما أو حزبا أو حتى عائلة، ومشروعي ينطلق من هنا، وقد عبرت عنه في أغنية من أحلى ما غنيت في مسرحية الزيبق، تقول الأغنية: أنا الزيبق، اسمي الزيبق أهلي سموني الزيبق، حظي قليل ظلموني كتير وأنا قلبي مثل الزنبق، ليس كلاما اعتباطيا فهذا الطفل حمل اسما تقبله، وحمل دورا ومسؤولية ويتحمل مشاكلنا وهو لا ناقة له ولا جمل.

ألا تعتقد أن هذا الكلام يشكل ترفا فكريا في حالتنا؟

”
حملت السلاح
وحاربت العدو،
ويومها أدركت معنى أن
يحمل الإنسان روحه
على كفه
“

ARCHIVE
http://Archivebeta.sakhrit.com

هذا ليس ترفا فكريا، فالمأساة الحقيقية اليوم في فلسطين، عدا الوطن والحقوق والمصير المستلب، هي عندما نرى طفلا يلغي كل طفولته ويواجه دبابة، وهذه ذروة البطولة وذروة المأساة في الوقت نفسه، هذه إدانة لكل العالم الذي وضع أطفالنا في موقع نضالي ليس لهم، أنا متأكد أن الطفل الذي يستشهد لا يفهم في السياسة، ولكنه يعرف أن البيت الذي رسمه سلب منه، وأنه يجب أن يواجه ليستعيده ويستشهد وهذه ذروة المأساة الإنسانية الكونية، وليس فقط على المستوى الفلسطيني، وأنا عندما أغني وأكتب وأتوجه إلي الأطفال أحاول أن أصوب إنسانيتهم وأضعها في موضعها.

كي لا تتهم بأنك ممن يلهون الأطفال عن هذه الحروب والمآسي ويرفهون عنهم كي يخلقوا جيلا غريبا عن قضيته، يجب أن نوضح أن أغانيك للأطفال لمن لا يعرفها تحمل رسائل لا تقل أهمية عن «أناديكم».

عندما نشرح للطفل ذي السنوات العشر القضية الفلسطينية واحتلال الجنوب ونهب مصادر الثروة العربية أتصور أنه لن يفهم، أما حين نتوجه إليه انطلاقا من عالمه نكون قد هيأناه ليفهم عندما يكبر كل تلك القضايا دون أن نؤجل طفولته مع الإشارة إلى أننا أمام الموت الذي يحاصرنا أحيانا نواجه بالحب والحياة، لأن من لا يحب حياته ولا يقدر قيمتها لن يناضل لاسترجاعها.

ماذا نفعل في مواجهة تعبئة أطفال العدو لكرهنا ولاحقا تدميرنا؟

إذا كانت الأنظمة والمجتمعات والأحزاب غير قادرة على مواجهة هذه التعبئة فمن المؤكد أن أطفالنا لن يتمكنوا من مواجهتها، ولن يكون الحل في تعبئة أطفالنا على الطريقة الإسرائيلية ولا في تأسيس مشهد عنصري آخر نحن أصلا ندينه.

ما العلاقة التي تربطك بكلمات أغنياتك؟

البداية كانت مع القصائد الموجودة في الدواوين التي كانت هي ملاذنا، وكان هنالك إحساس بضرورة قول شيء جديد، خاصة في ذلك الوقت العصيب الذي جاء بعد مخاض سنتين من المظاهرات القومية الوطنية والمطلبية والاجتماعية وأنا لست بشاعر فوجدت «أناديكم»، واعتبرت أنها الخطوة الجيدة التي يمكن أن أبدأ بها وفيما بعد، ثمة ما يجب أن يقوله الإنسان وليس فقط ما يقوله الشعراء على لسان الفنان، على رغم أن ذلك ليس خطأ، إذ يستطيع الفنان أن يغني لسميح القاسم أو محمود درويش، ولكنها تبقى قصيدة مغناة، لكن كما يشعر أحدنا أحيانا بحاجة للاستنهاض يشعر بحاجة للتعبير عن مرارة، عن انكسار معين نغنيه ولا نتغنى به، وأنا أحاول أن أغني للناس في حالاتهم كلها لأن الإنسان ليس لديه إحساس واحد ولا طبع واحد ولا نضال واحد، فأنا أحيانا أصل إلى ذروة الانكسار، فمثلا عندما وصلت الدبابات الإسرائيلية في عام ١٩٨٢ تحت شرفتي قال لي والدي: ظللت تنادي حتى جاء الإسرائيليون فبكيت ولم أفهم ما الذي حصل، وبعدها لحنت «شو بعاد» وكانت تشبهني «مثل اتنين عمفرق بيلوحوا» أحسست أنني بعيد عن قضيتي عن أملي وحلمي وصوتي وحبيبتي. بالمناسبة إذا أجرينا جردة على معظم أغنياتي نجد أن حالة النداء متمكنة مني:

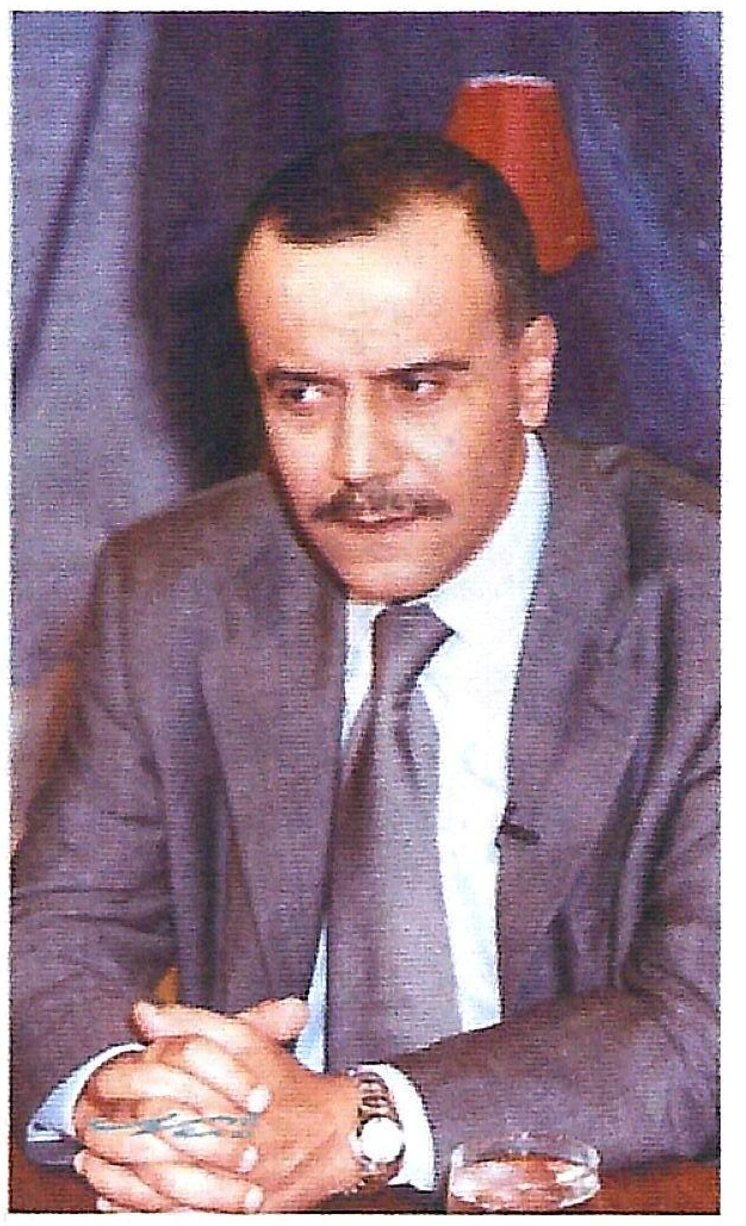

أحمد قعبور

«يا رايح صوب بلادي» «يا بيروت» «يا عشاق الأرض» «أناديكم» «اسمع» وكأنني على رغم كل ضجيج الشارع والشعارات وملايين اليافطات أحس بوحدة تكاد تلامس اليتم أحيانا، لذا أنادي ليس فقط الشعارات الوطنية، بل أيضا قيمي الإنسانية الدفينة، والتي أحسها تنتهك كل يوم، لذلك حاولت أن استكتب الأصدقاء في مواضيع تلامس أفكاري وعلى رغم أنني لا أملك صنعة الكتابة وجدت نفسي أكتب وإنما فقط لأغني ما كتبت مثل أغاني «يا رايح صوب بلادي» و«يا ستي ليكي ليكي» و«شوارع المدينة» التي كتبتها ولحنتها والتي ستجهز في خلال ستة أشهر وسأسمح لنفسي بأن استعرض هذه الأغنية التي تشبهني كثيرا وهي تقول:

بشوارع المدينة في ناس مغمضين ما بيمشوا إلا دغري أوادم مساكين مساكين مساكين

بشوارع المدينة في ناس خيفانين بيخافوا حتى يقولوا يا عمي خيفانين خيفانين خيفانين

بشوارع المدينة في مدينة عم بتموت ما بتشبه أي مدينة وما بتشبهك بيروت

بشوارع المدينة في عالم خيالات معمولة بس للزينة أو الذكريات

ناديني ولا تنادينا.. أناديكم

بشوارع المدينة أشد على أياديكم ناديني ولا تناديني

بشوارع المدينة في أنت وأنا قوليلي شوبنا

بشوارع المدينة ضيعنا العمر بمدينة مش لنا

كوني أنت المدينة مش قلعة مهدمي ابنيلي بقلبك بيت ولعيونك انتمي

أحيانا يوصلنا اليأس إلى التفتيش عن أوطان، فأمي في لحظة من اللحظات كانت وطني وأولادي، في لحظة أخرى كانوا صلتي بالحياة، وكي أخرج من هذا الإحساس كان يجب أن أعبر عنه، والفن يجب أن يدخل إلى عمق المشاعر مهما كانت سوداء فليست «شطارة» أن نكرر دائما «قوموا واصمدوا» لأن ذلك يصبح نفاقا.

لدي إحساس أنني سأرى على شاشات التلفزيون قريبا الراقصة فلانة «تهز» للانتفاضة وهذا ليس مطلوبا، فالمطلوب هو الدخول إلى عمق المشاعر بسوادها وبياضها وكل ألوانها لذلك أكتب انكساراتي وأحلامي، ولذلك لحنت «صبح الصباح» لأنني في حاجة إلى التنفس وإلى الغناء، إلى البيوت وديوك الحي، ولكي أذكر الناس بأن ثمة جمالا في مكان ما وهذه طريقتي في مواجهة الموت، وأنا أرى أن هنالك أوجها عدة لصراع الإنسان مع الوجود والقيم، أوجها عدة للتعبير ولا أريد أن أصبح الوكيل الحصري لأحد أوجه التعبير الذي يتجسد في الأغنية الوطنية.

أنا أعمل الآن على أغنية عاطفية تشبهني كثيرا وتشبه كل الناس اسمها «قبل الأولاد وبعد الأولاد».

تتحدث عن إنسان يأخذ استراحة بعد خمس وعشرين سنة ليعبر لزوجته عن حبه.

هذه أحاسيس إنسانية نحن في حاجة إلى التعبير عنها، تستفزني فأعبر عنها كما تستفزني أحاسيس أخرى، فأنا كنت أعتقد أنه من المستحيل أن أغني لقانا لأنني كنت أعتبر أن من غير الممكن أن تختصر قصيدة أو أغنية المجزرة الفظيعة إلى أن وقعت على قصيدة للشاعر طلال حيدر شعرت بأنها تلامس أحساسي فغنيتها:

قانا مثل هالقلب من كتر الغضب
طير قصايد من دهب
زهر أذان العصر بكروم العنب
واحترقت الدنيي متل حلقة قصب
فتح الجنوب الباب تيفوتوا العرب

لماذا لم تغن لمحمود درويش؟

شاركت مع الكورس في أغنية «سجل أنا عربي» التي لحنها غازي مكداشي عام ١٩٧٣ وغنيت مقاطع من «أمي» وهو النص نفسه الذي لحنه مارسيل خليفة في باريس في الوقت نفسه الذي قمت فيه بتلحينه في بيروت، فيما بعد استفزتني قصائد كثيرة لألحنها، إلا أن محمود درويش يتمتع بقدرة شعرية وإنسانية هائلة وقدرة غنائية شعرية خاصة في دواوينه الأولى، مما يجعل من الصعب جدا على الملحن أن يصنع غنائيته الخاصة أمام غنائية محمود درويش، فكنت كلما لحنت قصيدة أحسستها من تلحين محمود درويش وأحسست أن غنائيته تحطم غنائيتي إلى أن وقعت على قصيدة اسمها «ويسدل الستار» والتي ربما اسميها «لهذا أستقيل» لحنتها وربما لأول مرة حسب تقديري الشخصي استطعت مع محمود درويش أن أصنع غنائيتي الخاصة أن أحوله إلى شاعر فقط، وهي تجربة جديدة لأنني دمجت قصيدتين في أغنية واحدة لأول مرة تقول:

ولهذا أستقيل
عندما ينطفئ التصفيق في القاعة
والظل يميل نحو صدري
يسقط الماكياج عن وجه الجليل
ولهذا استقيل
أجد الليلة نفسي عاريا كالمذبحة
كان تمثيلي غريبا عن مواويل أبي ◆

> الطفل الذي يستشهد لا يفهم في السياسة، لكنه يعرف أن البيت الذي رسمه سلب منه

سنفضحهم في كل مكان

الحمد لله
أن الأحداث أثبتت
أن أغانينا وكلامنا
صحيح، عدنا مرة أخرى
إلى حقل العطاء العام،
فنحن كفنانين مهمومون
بقضايا الوطن، وكان اهتمامنا
منذ أول غنوة لنا عن فلسطين،
وقالوا لنا: «كفاية غنا الموضوع انتهى
من زمان». ولم نتوقف عن الغناء
للشهداء ولا للقدس ولا لشجر الليمون -
وعندما كانوا يخدعوننا بالسلام قلنا لهم:
هم يخدرونكم والنهاية معروفة فلا عهد
لليهود - وقالوا عنا من جديد: أنتم دعاة
عنف ودمويون وضد السلام. وضحكنا على
كلامهم لأنه كان أشبه بهلوسات غرقى يريدون
أن يتعلقوا بقشة في محيط.. وفجأة ثار إخواننا
وأولادنا الفلسطينيون رافضين الاستسلام
ورافضين تعدي الجزار شارون على المسجد
الأقصى وعلى القدس عاصمة فلسطين وأرض
العرب، وبدأت إسرائيل ترفع وتيرة العنف الذي
تحول إلى مجزرة، والمجزرة تحولت إلى كارثة إنسانية
نراها بالصورة. والسؤال الآن: هل استوعبنا الدرس
أم لا؟ إذا كنا استوعبنا الدرس فالأمل لا يزال قائما
وسنحلم ونتمرد ونقاوم ونقاتل وسنفاوض حتى ترجع
إلينا حقوقنا.. وإذا كانت الإجابة «لا» فقل على
فلسطين السلام.

الشارع العربي كله الآن غاضب وثائر -وكلنا ثائرون حتى النصر. والموت لإسرائيل وأمريكا ولكل من يقف ضد حقوقنا العادلة في أرضنا - وإخواننا المقاومون في فلسطين هم أملنا في النصر والتحرير.. ونحن لن نتفرج عليهم بل مستعدون للوقوف إلى جوارهم، أيدينا في أيديهم وسلاحنا إلى جوار سلاحهم. وأريد أن أسأل أمريكا هل من المعقول أن تحتل عصابة بلدا، وعندما نقاوم هذه العصابة المحتلة نصبح إرهابيين؟ وهل يعني هذا أنكم عندما قاومتم الاحتلال الإنجليزي كنتم إرهابيين؟.. وعموما لن يهمنا رأيكم لأن القضية واضحة وسنغني بالعربي وبالإنجليزي وسنفضحكم في كل مكان.

وحلمي أن يفهم الفنانون المصريون والعرب الحكاية بشكل صحيح، ويسألوا إيه يعني نغني لبعض كل يوم أغنية جديدة عن فلسطين. لا بد أن نخرج ونغني في أوروبا، ونفهم «الخواجات» يعني إيه فلسطين ومين أصحابها وننقل لهم مشاعرنا ونفهم الكل صالحهم وصالحنا.. المسألة ليست حماسا فقط.

محمد منير - مصر

ليس بالضرورة أن تكون هناك مذبحة حتى ننجز أغاني تواكبها

كل ما يحدث في فلسطين من دمار ومجازر، يستدعي من الفنان العربي التفكير والتأمل في علاقة الأغنية والموسيقى بالقضية الفلسطينية، إذ إن هناك الكثير من الانفعال. ربما نحن في حاجة إلى أن ننفعل مع ما نقوم به من عمل، لكننا في حاجة أكثر إلى التعامل بجدية وبعقلانية كبيرة مع قضايانا هذه. فهذه مسألة مصير وليس مجرد حدث أو موضوع نكتب عنه. عادة الأعمال التي تسيطر عليها الانفعالات، لا تصمد كثيرا أمام سطوة الزمن، إذ لا تلبث أن تذهب أدراج النسيان، وحتى إن أعيد بثها والاستماع إليها، فهي ستذكر فقط بتلك اللحظة من دون أن تضيف جديدا، لذلك ينبغي أن تستهدف أعمالنا الديمومة في وجدانات المتلقي، خاصة عندما تتعامل الأغنية مع قضايانا الكبيرة والمهمة والمصيرية كقضية فلسطين.

أغانينا الوطنية أو التي عن الانتفاضة والقدس، تعتمد بدرجة رئيسية على تفاعل الفنان مع قضاياه، كلنا تفاعلنا ونتفاعل مع ما يحدث. بعض الأغاني قد لا تكون فيها فنية، لكن فيها كمية من الانفعال، ومن الألم، والحدث الذي نشاهده، يجعل عند الشاعر أو الفنان أو الملحن، ردة فعل تولد هذه الأعمال داخل الفنان، ولكن مثلما قلت فنحن في حاجة إلى عقلانية في مسألة مخاطبتنا الآخر.

وبالتأكيد، فكلما جاء اللحن والجمل الموسيقية مستوعبة لهذه الهموم مجتمعة الهموم الفلسطينية والعربية وغيرها، وهذه الأحداث بشكل مميز، خطونا بشكل جيد إلى المستقبل وإلى أكثر الطرق اختصارا في التعريف بقضايانا.

لذلك أتمنى أن تكون هناك بصفة دائمة أعمال فنية عن أي قضية تمسنا، بصرف النظر عما هو جار الآن، يكون هناك ما يشبه التذكير للعالم بقضيتنا، ليس بالضرورة أن تكون هناك مذبحة حتى ننجز أغاني تواكبها. لا بد من أن تكون هناك أغان تظهر بين كل فترة وأخرى، أغان يعد لها بشكل جيد.

وعن جديدي فيما يخص هذه المسألة، فلدينا عمل فني حول الأحداث الأخيرة، أنا والفنان محمد عبده، في جدة، واسمه «نداء القدس»، تقول بعض كلماته:

صرخة القدس تنادي
فاسمعوا صوت النداء
إن يطل ظلم الأعادي
فلنصري موعد
الله أكبر أكبر على من طغى.

عبادي الجوهر - السعودية

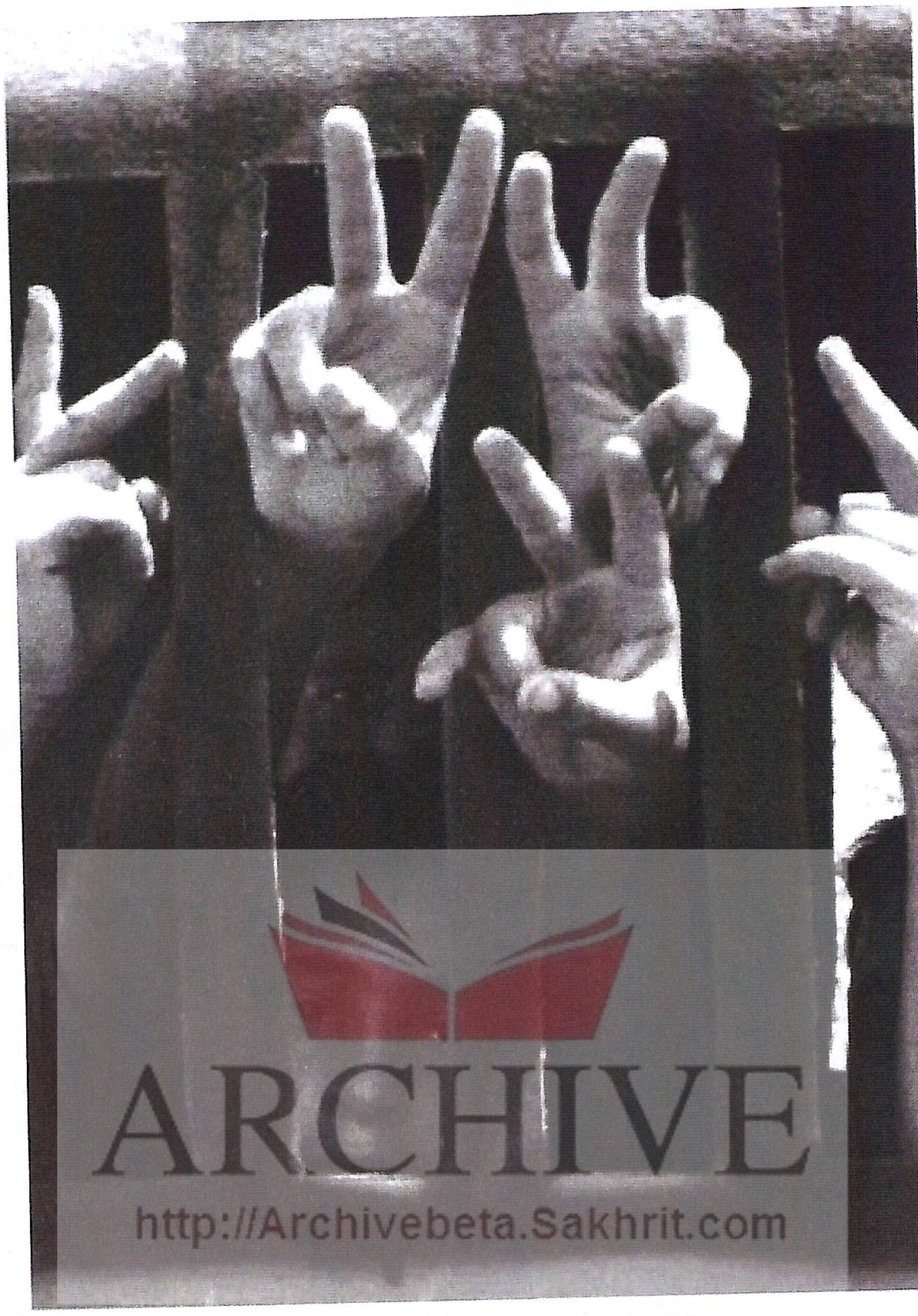

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لهم القدس والنصر

لا شيء أقوله أمام هذه الفظاعات. لذا سأهدي الفلسطينيين، ما كتبناه في القضية، وما نقوله دائما.

المأساةُ ارتفعت
المأساةُ اتسعت
وسعتْ
سطعتْ
بلغت حد الصلبِ
من صلبوا كل نبي
صلبوا الليلة شعبي
العاثرُ ينهضُ
النازحُ يرجع
والمنتظرون يعودون
وشريد الخيمة يرجع
يدخل آلاف الأطفال
من كبروا الليلة في الخارج
عادوا كالبحر من الخارج
أرجعُ في العتمة معهم
نصمد ونقاتل لا نرحل
ونقيم كشجر لا يرحل
تقفون كشجر الزيتون
كجذوع الزمن تقيمون
كالزهرةِ
كالصخرةِ
في أرض الدار تقيمون
وسلامي لكم
يا أهل الأرض المحتلة
يا منزرعين
بمنازلكم
قلبي معكم
وسلامي لكم
والمجد لأبطال آتين
الليلة قد بلغوا العشرين
لهمُ الشمسُ
لهم القدسُ
والنصر وساحات
فلسطين

منصور الرحباني - لبنان

الفنانون لن يحرروا فلسطين لكنهم يستطيعون تحريك المشاعر

الانتفاضة أراها، كما ينبغي أن يراها كل فنان عربي، فعلا من أفعال المجد والشموخ العربي، والأعمال التي قدمتها كانت القدس جوهرها، من أغنية «أطفال الحجارة» عام ٢٠٠٠، إلى «القدس تصيح» هذا العام.

ولو أن نقابات أو اتحادات الفنانين العرب تتفق على إقامة أعمال فنية لصالح فلسطين ساكون أول من يتقدم بعمله الداعم للانتفاضة، وهو جاهز، وأكون من المتطوعين يوميا في إقامة حفلات لدعم الانتفاضة ماديا ومعنويا، فالأطفال العمالقة علمونا كيف نعتز بأنفسنا، فهم الذين يحافظون على آخر خيط يربط العرب مع الكرامة.

لا أعتقد أن الفنان الجزائري غائب، فهو حاضر، على رغم أن حضوره محتشم، وهناك مسعى في إطار الجمعية الوطنية للفنانين المحترفين، التي أسسناها أخيرا، ونأمل الحصول على الاعتماد، للقيام بالواجب المنوط بنا إزاء قضايانا العربية.

لا نعتقد أن فلسطين يحررها الفنانون ولكنهم يستطيعون تحريك المشاعر لنصرتها، وذلك بتمجيد أبطال العمليات الاستشهادية، والانتفاضة ستستمر، ولا يمكن توقيفها، لأنها حركة شعب يريد التحرر من نير الاستعمار، وهو آخر شعب في العالم لا تزال أرضه مغتصبة.

إنني أناشد قيادات الأطر الفنية في وطننا العربي إلى تخصيص يوم، في كل قطر عربي، من أجل التعبئة، على أن يكون أسبوعيا، فالخطر الذي يهدد كياننا هو العدو الصهيوني، وهو خطر يتجاوز بكثير حدود الخريطة الفلسطينية، إنه يستهدف استئصال أجنة الآمال في الأرحام العربية بضرورة تحرير فلسطين.

وما دام العرب كلهم مستهدفين، فعلينا جميعا أن نتصدى لهذا الخطر، والوقوف مع فلسطين لا يعني التضامن مع شعب يباد فحسب، بل يعني الدفاع عن أنفسنا، لإثبات وجودنا في الوطن العربي.

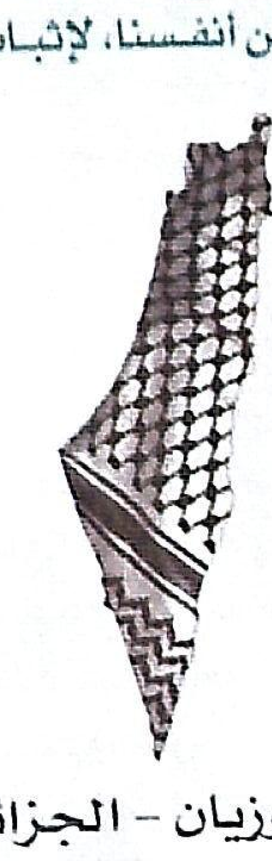

قويد بوزيان - الجزائر

الفن هو تعبير الإنسان عن ذاته، ودراسة الفنون الشعبية هي إحدى محاولات الكشف عن تلك الذات، الذي يتمثل في الإبداع الفني الذي يميز الإنسان في مجتمع ما عن غيره من المجتمعات الإنسانية، وقد ظهر الاهتمام بالتراث الفني وتسجيله والاعتزاز به، كظاهرة تراثية قومية، مع اليقظة القومية للشعوب في القرن التاسع عشر، حين برزت أهمية التراث الشعبي كأحد العناصر المهمة في الحفاظ على الروح القومية، من خلال الشخصية الثقافية المتميزة للمجتمع، وقد شجع هذا الاتجاه، الفنانين والمثقفين على دراسة التراث بمفهومه الواسع، والأخذ من عناصره لتدعيم إبداعاتهم والعمل على تطويرها، حتى أصبح الفن الآن علما قائما بذاته، يدرس المأثورات والإبداعات الفنية، والإنسان من حيث إنه كائن ثقافي.

د. عزالدين غربية - الكويت

متحف الآثار الفلسطيني - القدس

الفن الفلسطيني نموذج حضاري متميز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نشأ الفن منذ آلاف السنين نشأة طبيعية في حياة الإنسان، بعد أن استطاع توفير حاجاته الأساسية، من مأكل ومشرب ومسكن، وأصبح لديه في مرحلة العصر الحجري المتوسط (١٠,٠٠٠ - ٨٠٠٠ ق.م) متسع من الوقت للتفكير. وارتبط الفن في مظهره الأول بالسحر ارتباطا وثيقا، حيث كان الإنسان يحاول التعرف على الظواهر والقوى الطبيعية المحيطة به، والتغلب على عجزه عن فهمها، فرسم على جدران الكهوف صورا لبعض الحيوانات، ظنا منه أنه يستطيع بذلك السيطرة عليها.

تعرف هذه المرحلة في فلسطين بمرحلة الحضارة الناطوفية Natufian (١٠,٠٠٠ - ٨٠٠٠ ق.م)، وتنسب إلى وادي الناطوف الذي يقع على بعد ١٧ ميلا شمال غربي مدينة القدس في أواسط فلسطين تقريبا، وهي ذات خصائص حضارية متميزة، وقد عثر على عدة مواقع أخرى للناطوفية في فلسطين، من أهمها مدينة عنان Eynan ملاحة Mallaha في وادي الحولة إلى الشرق من بحيرة الحولة على أعتاب جبال الجليل، وفي منطقة جبال الكرمل قرب مدينة حيفا.

شكلت إنجازات الناطوفيين المتميزة في المجالات الاجتماعية والسياسية والعمرانية والفنية، الأساس المتين للتقدم الحضاري في الوطن العربي، ويقارنها بعض المختصين بالثورة الصناعية التي بدأت في القرن الثامن عشر الميلادي، إذ يتبين من النماذج الفنية التي عثر عليها في ملاحة (عنان) من المرحلة الناطوفية، أنها كانت من أوائل النماذج الفنية في منطقة الشرق القديم، وقد عبر إنسان ملاحة في هذه الفنون عن دوافعه الفنية، بما يضيف بعدا حضاريا جديدا إلى منجزاته الحضارية، فقد قدم إنسان ملاحة صورا فنية ذات خصائص هندسية وألوان متميزة، استخدم فيها الألوان الحمراء Red Ochre (أكسيد الحديديك) الأحمر في زخرفة بعض ما صنعه من عقود وأدوات زينة، كما استخدم هذا اللون في دهن جسمه أحيانا.

وعثر على آثار مماثلة للناطوفية في كل من سوريا ولبنان، مما دعا فريقا من المؤرخين إلى تعميم مصطلح الناطوفية على مواقع هذه المرحلة في بلاد الشام، حيث تميزت الحياة الناطوفية في فلسطين، وبلاد الشام، بمميزات تتمثل في تربية المواشي، والزراعة، كما تميزت بتطور كبير في المجال الفني الذي سبق اكتشاف الخزف، ويرى بعض المختصين وجود تشابه بين المواقع الناطوفية في فلسطين والمواقع الأثرية المماثلة في حلوان قرب القاهرة في مصر، وتبقى فلسطين الموطن المميز لهذه الحضارة في المنطقة.

وتشير الأدلة الأثرية إلى استمرار هذه الظاهرة الحضارية عبر العصور الحجرية في فلسطين، فقد كشفت الحفريات الأثرية في أريحا الأثرية - تل السلطان - عن أبرز المعالم الحضارية للعصر الحجري الحديث في فلسطين، وذلك بالعثور على مدينة متكاملة اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا، وقد اعتبرها المختصون أول نواة لحكومة المدينة التي ظهرت بعد ذلك.

يقع تل السلطان الأثري على مسافة أكثر من كيلومترين إلى الشمال من المدينة الحالية، ويبلغ ارتفاعه نحو ١٨ مترا وأبعاده حوالى ٣٠٠ متر في ٢١٦٠ مترا، ويشغل مساحة حوالى أربعة هكتارات، وبالقرب منه يوجد نبع ماء يعرف بعين السلطان - على مسافة ستة أميال شمال البحر الميت. وفي مجال الهندسة والبناء تعتبر أريحا - تل السلطان - أقدم مدينة بالأسوار والأبراج الدفاعية في الشرق العربي، وربما في العالم، حيث اكتشفت مدينة تتمتع بأنظمة، إلى جانب نظام دقيق لتزويد المدينة بالمياه، وإن الأسلوب الهندسي الذي اتبع في بناء السور والأبراج من الحجارة وكيفية الاتصال بينها، وإحاطة أسوار المدينة بخنادق من المياه، إلى جانب تخطيط المدينة، يعد نموذجا هندسيا مميزا في هذه المرحلة من الزمن.

تشير الأدلة التي تم الكشف عنها في عدة مناطق في فلسطين، وتعود إلى هذه المرحلة، وحفظت في متحف الآثار الفلسطيني، إلى أن

مقبض منجل من العظم على شكل حيوان - الحضارة الناطوفية - ١٠١٠ ق.م

تمثال لطائر من العظم - الحضارة الناطوفية - ١٠١٠ ق.م

الفنان الفلسطيني قد أنجز أعمالا فنية متميزة، من رسم ونحت وتصوير للمظاهر الطبيعية المختلفة، فصنع التماثيل الإنسانية والحيوانية والأقنعة، مستخدما في ذلك مواد مختلفة، منها العظم والطين والحجارة، والأصداف، والخشب، والعاج، التي تعد من أبرز النماذج الفنية التي أنجزها إنسان ما قبل التاريخ في الوطن العربي القديم، كما عثر في بعض كهوف الكرمل على عدة نماذج فنية للنحت على الحصى الكلسية والعظم تمثل الإنسان والحيوان، ومن بين المعثورات تمثال صغير من العظم يعد من أفضل الأمثلة المعروفة للفن التشكيلي في فلسطين.

ساعدت حياة الاستقرار التي عاشها الإنسان الفلسطيني في العصور الحجرية، قبل العصر التاريخي، حوالي الألف الثالث ق.م، في تجميع خبراته، وتحقيق عدة مظاهر ثقافية متميزة في مجالات متعددة، وخاصة في المجالين الديني والفني، ثم انتقالها في شكل تقاليد حضارية متوارثة في عصور ما قبل التاريخ، وامتدت وتطورت مع التطور الحضاري الكبير الذي حققه الإنسان الفلسطيني عبر التاريخ.

وفي العصر التاريخي حوالي الألف الثالث ق.م، توصل الإنسان إلى معرفة الكتابة والتسجيل، وصنع التمائم من مواد مختلفة، كالطين والعظم وغيرها، في صورة تماثيل وجسدها وشكلها في صور مختلفة، كي يلتمس رضاها ويحصل بوساطتها على الحماية من الأشياء التي يخشاها، فقدسها وخصص لها أماكن (معابد) لإقامتها، وقدم لها القرابين والنذور، وأطلق عليها أسماء خاصة تجمع فيها صفاتها، مثل إله الخصب والإنبات، وإله المطر، وإله العواصف، وإله الحب وإله الحرب وغيرها.

وقد تضمنت تركة الفنان العربي الكنعاني (الكنعانيون هم سكان فلسطين، نزحوا إلى فلسطين مع مطلع العصر التاريخي، حوالى الألف الثالث ق.م، واستقروا فيها، وعرفت باسمهم كنعان، وأقاموا فيها حضارة متميزة ذات أصول عربية، والفلسطينيون الآن هم أحفاد الكنعانيين) في العصر التاريخي، تشكيلات وتحفا فنية متعددة، حيث صنع المجوهرات من الذهب ومن الفضة، ومن النحاس والبرونز، كما صنع التماثيل والأقنعة وأدوات أخرى من الطين والفخار، ومن العظم، ومن الخشب، ومن العاج، ومن مواد أخرى حصل عليها من بيئته، أو استوردها من الخارج.

تعود الأصول الأولى للفكر الفني العربي الكنعاني، في العصر التاريخي، إلى الفكر الفني لسكان كنعان القدماء، وعلى الرغم من

البرج الدائري في أريحا - تل السلطان - ٨٠٠٠ ق.م

تمثالين من النحاس - تل جديدة - ١٨٩٩ - ١٩٠٠ ق.م

لوحة برونزية حفر لأمرأة كنعانية - ١٤٥٠ ق.م

احتفاظ الفكر الفني الكنعاني في بادئ الأمر بعدد من العناصر الأولية المتصلة بحياة البادية في شبه الجزيرة العربية في شكل تقاليد وعادات معينة، مما كانت تمارسه القبائل في شبه الجزيرة العربية، إلا أن الباحث يستطيع أن يلمس في الفكر الفني الكنعاني انعكاس جميع الظواهر الحضارية المستقلة والمتوارثة. كما يستطيع الباحث أن يتبين من خلال المظاهر المختلفة لهذا الفكر، أن عملية الاتصال والتجانس الحضاري والفكري كانت تدريجية بين العناصر العربية (السامية) المستقرة في العراق وسوريا ولبنان وكنعان، وبخاصة منطقة الهلال الخصيب والعناصر العربية الوافدة من الجزيرة العربية على مر العصور.

وتشير الأدلة الأثرية إلى أن الكنعاني قد أبدع في مجال الصناعات الفنية العاجية، وقد أنتج نماذج عديدة، تعد من أبرز الفنون في الشرق الأدنى القديم، فقد عثر في مجدو (تل المتسلم)، التي تقع على تل يرتفع ما بين ٤٠ و ٦٠ مترا عن السهل المجاور، لعله طريق جنين حيفا، وتبعد سبعة عشر كيلو مترا عن جنين، على نماذج متميزة منها كمية كبيرة من العاج كانت في قصر المدينة، تحمل رسوما متنوعة ويبدو بعضها متأثرا بثقافة المناطق المجاورة، في مصر وسوريا والعراق.

حفظت جميع الآثار التي اكتشفت في فلسطين حتى عام ١٩٤٨ في متحف الآثار الفلسطيني في القدس، الذي أقيم عام ١٩٣٠، فوق تلة في موقع كرم الشيخ، قبالة الزاوية الشمالية الشرقية لسور المدينة القديمة بالقرب من باب الساهرة في القدس، وقد افتتح رسميا عام ١٩٣٨ وعرف في حينه باسم متحف روكفلر، نسبة إلى المليونير الأمريكي الصهيوني الذي تبرع بإنشائه.

كان المتحف، منذ إنشائه، تابعا لإدارة الآثار الفلسطينية، التي أسستها حكومة الانتداب البريطاني عام ١٩٢٠ برئاسة جون جارستانج Jhon Garstang من جامعة ليفربول، وكان لهذه الإدارة مجلس استشاري أعضاؤه من البلدان الغربية، ومن بينهم الصهيوني جوزيف كلاوسنر Joseph Klausner الذي كان يمثل مصالح اليهود في المجلس.

استمر المتحف على ذلك الوضع حتى سنة ١٩٤٧، حين فصلته السلطات البريطانية، وجعلته تحت إشراف هيئة دولية تضم ممثلين عن بريطانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة، وهي الدول التي لها مدارس ومراكز للبحوث الأثرية، وتقوم بنشاط أثري واسع، وتدعم أطماع الصهيونية في فلسطين، وضم إلى هذه الهيئة

عضوان عربيان وممثل عن الجامعة العبرية.

وإلى جانب المقتنيات الأثرية في المتحف، توجد مجموعة من المقتنيات الأثرية الإسلامية، من أهمها: غرفة معادة البناء من الفن العربي، عليها قبة مزينة بألواح من القيشاني المربع، ومعرض للفن العربي يضم فخاريات وأعمالا نحاسية عليها تزيينات كتابية إلى جانب عدد من الحلي. وخشبيات محفورة من القرن الثامن، نقلت من المسجد الأقصى، ونماذج من منحوتات عثر عليها في أثناء الحفريات التي جرت في قصر هشام بن عبدالملك في خربة المفجر. كما توجد مجموعات إسلامية أخرى في المتحف الإسلامي في القدس.

ويضم المتحف مكتبة متخصصة، أسست عام ١٩٣٨م، تحتوي على عدد من الكتب والمخطوطات الخاصة بتاريخ فلسطين وآثارها وآثار البلدان العربية المجاورة، كما تحتوي على رسوم وصور خاصة بالمكتشفات والمواقع الأثرية في فلسطين، وكان بها عام ١٩٤٨ أكثر من ثلاثين ألف مجلد، تتوزع لغاتها بين العربية، والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، وبها صالة للمطالعة تحتوي على كتب مرجعية ودوريات وموسوعات، تمد الباحثين بالمصادر والمراجع التاريخية عن فلسطين والمنطقة.

ويوجد في المتحف قاعات للاجتماعات والمحاضرات، حيث كان المتحف ودائرة الآثار الفلسطينية يقدمان خدمات تاريخية وثقافية إلى الباحثين والزوار، وينظمان محاضرات كل عام تقريبا، عن نتائج التنقيبات الأثرية في فلسطين، وعن نتائج التنقيبات التي كانت تتم في البلدان العربية المجاورة.

ومع انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين عام ١٩٤٨، وقيام دولة لليهود في الأراضي التي احتلوها في فلسطين، أصبح متحف الآثار الفلسطيني في القدس، تابعا بالتالي للمملكة الأردنية، وفي عام ١٩٦٦ ضم المتحف إلى دائرة الآثار الأردنية وأصبح اسمه «المتحف الفلسطيني».

المتحف في ظل الاحتلال الصهيوني

في أعقاب الحرب الإسرائيلية العدوانية على الأقطار العربية المجاورة عام ١٩٦٧، واحتلال اليهود لما تبقى من فلسطين، أي قطاع غزة، والضفة الغربية بما فيها القدس، استولت السلطات اليهودية على المتحف وأسمته متحف روكفلر، وجعلت من المتحف مقرا لإدارة الآثار الإسرائيلية، ونقلت السلطات اليهودية معظم مقتنيات المتحف إلى متاحف أخرى داخل فلسطين المحتلة، ثم عمدت إلى إعادة عرض ما تبقى من آثار المتحف عرضا يخدم الأهداف الإسرائيلية، فغيرت الشروح التاريخية الأولى لكثير من الآثار، في محاولة للتقليل من أهمية تراث الشعب الفلسطيني وإبراز تراثهم المزعوم.

كما أخفت السلطات الإسرائيلية الآثار المهمة من المتحف، وخاصة ما يتصل منها بالعهد العربي الكنعاني، مدعية أنها تحتفظ بها بصفة مؤقتة، من دون أي اكتراث بالقوانين الدولية، أو قرارات اليونسكو في هذا الشأن.

وفي عام ١٩٧٢، أصدرت السلطات الإسرائيلية المحتلة دليلا جديدا للمتحف الفلسطيني تحت عنوان متحف روكفلر بأورشليم القدس، وتضمن تفصيلا لقاعات العرض تحت اسم إدارة متحف إسرائيل.

كان المتحف الفلسطيني يضم المقتنيات الأثرية التي عثر عليها في الأراضي الفلسطينية، منذ بدأت عمليات الكشف الأثري الميداني، أي في أعقاب إنشاء صندوق استكشاف فلسطين في لندن عام ١٨٦٥ إلى عام ١٩٤٧، وتعود هذه المقتنيات إلى مختلف العصور، بدءا من عصور ما قبل التاريخ حتى العصور العثمانية المتأخرة.

إن دراسة النقوش والمسلات والكتابات والأشكال، والتماثيل التي عثر عليها من العهد الكنعاني في عدة أماكن من أرض فلسطين، وغيرها من الأقطار العربية المجاورة، يشير إلى أن الفن الفلسطيني، كغيره من فنون الأقطار المجاورة في الوطن العربي، يتصل بالظواهر الطبيعية للبيئة ويعبر عن الظروف الاجتماعية، ويرتبط ارتباطا وثيقا بظروفه الاقتصادية، وبتطوره الثقافي، واحتياجاته الحياتية، مما يشير إلى اتفاق معظمها في أهدافها.

وقد تطور الفن مع تطور الإنسان الحضاري، حيث اتجه الفنان إلى محاولة التقليد المتعمد لمظاهر الطبيعة، محاولا تجسيد شعوره نحو الجمال والتعبير عن خياله، ودخل في مجال الفن التشكيلي، وأصبح الفن يحكي أبرز المظاهر الثقافية للإنسان، ويحتل مكانة متميزة في ثقافة الشعوب.

ترجع أهمية دراسة الفنون الشعبية إلى أنها محاولة للتقليد المتعمد، في عالم جديد يتمثل في الخيال والجمال، وتعبر عن ممارسة الإنسان لقدراته العقلية، والمادية، وتذوقه الأخلاقي والفني لجوانب الحياة في بيئته، التي تعبر عن ذاته في كل معرفة وخبرة مارسها، سواء كانت من نتائج تجاربه وتصوراته، أو أنها انتقلت إليه وعايشها وامتزجت بممارسات حياته اليومية، وتظهر بالتالي في انماط سلوكه وعاداته، وفي نظمه الاجتماعية، فالفن كاللغة صفة مميزة للبشر، وثقافتهم تمدنا بصورة واضحة عن أهم المظاهر الحضارية للمجتمع، وتطلعنا على أبرز إنجازاته الثقافية.

يتبين من المقتنيات الأثرية الفنية في متحف الآثار الفلسطيني، أن الفن الفلسطيني، كفن سائر شعوب العالم، غني بالفنون التي تلعب دورا في توجيه مسيرة الشعب الثقافية، وتعبر عن أفكاره وأمانيه ومشاكله وأحاسيسه، إلا أنه يتميز بعدد من النماذج الفنية المتصلة بالنحت والبناء، كما يتفق الفن الفلسطيني في أساسياته مع تراث الأمة العربية في أرجاء الوطن العربي، لكونه تراث أمة واحدة، وإن تنوعت بعض الألوان بسبب البيئة الجغرافية، إلا أنها تلتقي في إطار ثقافة مشتركة ومعتقدات واحدة إلى حد كبير ◆

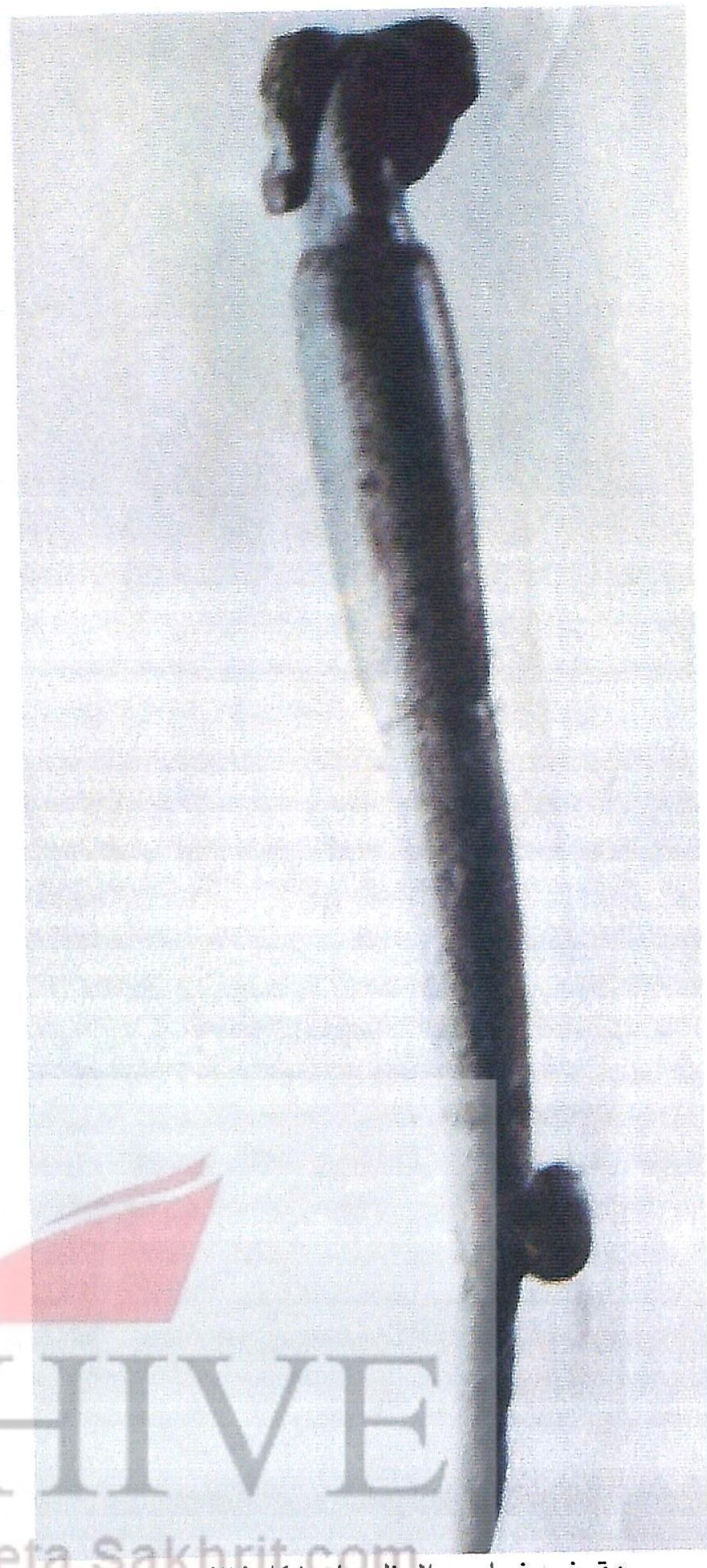
مقبض منجل من العظم على شكل غزال - ١٩٢٨

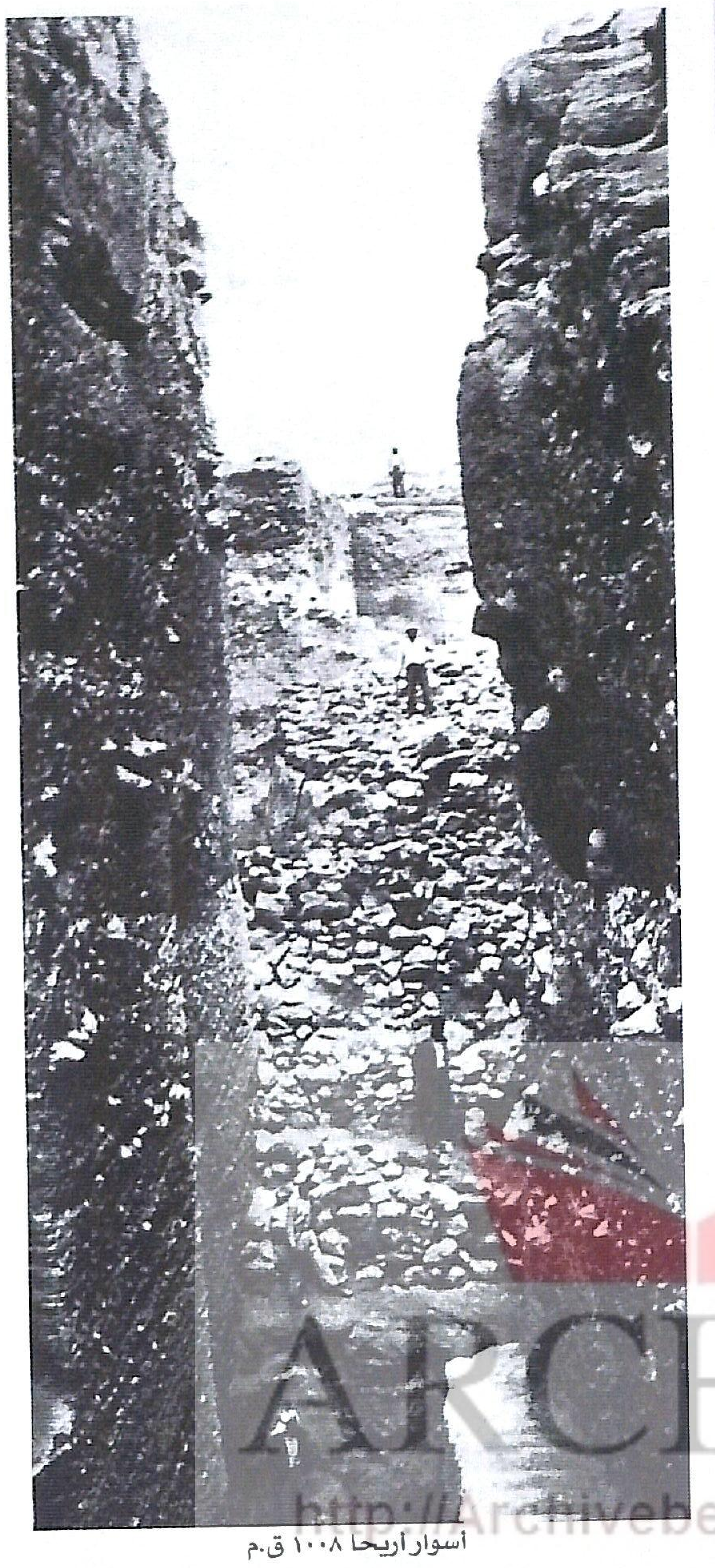
أسوار أريحا ١٠٠٨ ق.م

رسم زخرفي بالألوان - المرحلة الغسولية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

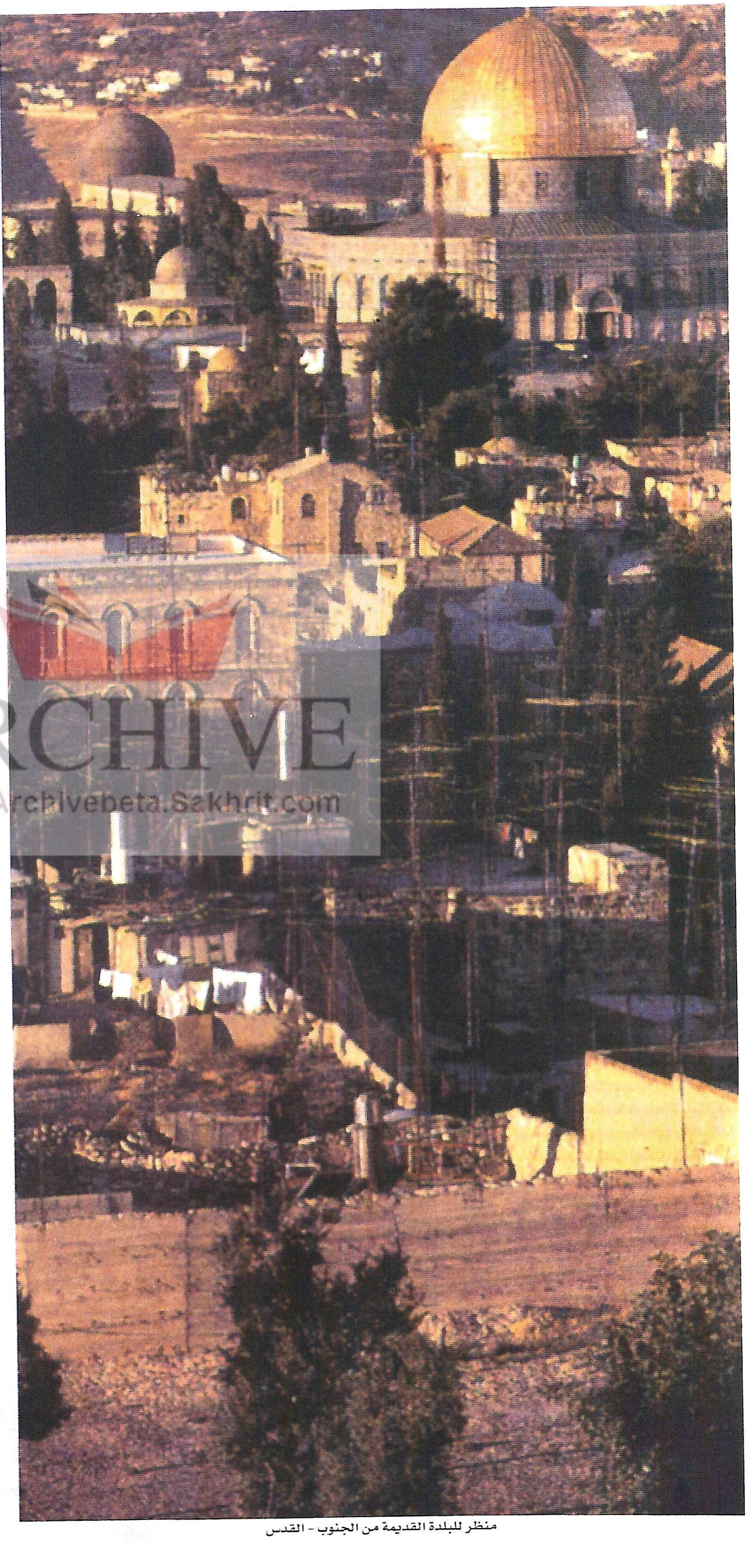
منظر للبلدة القديمة من الجنوب - القدس

ينص قانون حماية المصادر الثقافية في الحرب، الذي أُقر في لاهاي عام ١٩٥٤ على أن «تدمير المصادر الثقافية لأي شعب يعني تدميرا لكل الإنسانية».

أخذ رئيس وزراء حكومة العدو الصهيوني شارون هذه الاتفاقية مع غيرها من اتفاقيات حقوق الإنسان والمدنيين وأسرى الحرب، وضمها إلى طابور قرارات مجلس الأمن، وألقى بها تحت حذائه قبل أن يعطي موافقته لجنرالات عصابته بتدمير الشعب الفلسطيني، ومسح هويته وإلغاء حضارته وتراثه.

انتهت الهجمة البربرية. مؤقتا. وبقيت الآثار والأشجار والأحجار تروي قصة النازيين الجدد، في نابلس وبيت لحم وكنيسة المهد وجنين وطولكرم، وغيرها من المدن التي تئن تحت وطأة الاحتلال.

جريدة «الفنون» تلفت النظر في هذه المقالة إلى إنقاذ «الحجر» الفلسطيني الذي يروي تاريخ الأجداد وحضارتهم.

د. شادية طوقان - فلسطين

التراث العمراني الفلسطيني..

رمز الهوية وشاهد الحضارة

تزخر أرض فلسطين بثروات لا تضاهى من الآثار والصروح العمرانية، تتوجها أقدس المعالم الدينية من مساجد وكنائس تميز تاريخها بعمق جذور حضارتها، مما دفع البعض إلى وصف التراث الفلسطيني بـ«نفط» فلسطين.

وخير شاهد على تلك الحضارة وذاك التاريخ ما نجده في كل مدينة وقرية فيها، من شمالها إلى جنوبها، ومن قمم وسفوح جبالها ووديانها إلى رمال صحاريها من آثار نادرة ومخلفات تراث، تعود إلى العصور البرونزية والكنعانية والرومانية والبيزنطية والحقب الإسلامية المختلفة. ويحكي كل حجر قصص الأجداد وابتكاراتهم وإبداعهم، كما يسطر ملاحم كفاحهم ضد غزاة طمعوا خلال الحقب الزمنية المختلفة في السيطرة على الأرض المقدسة، غير أن إرادة الشعب تمكنت، في كل مرة، من دحرهم وحماية ثرى الوطن.

وبالإضافة إلى أهمية فلسطين الدينية والروحية المتجسدة في صروحها التاريخية، المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة وكنيسة القيامة والمهد، وغيرها من المساجد والجوامع والزوايا والكنائس والأديرة، يميزها أيضا ما لديها من موروث عمراني وحضاري في العديد من مراكز المدن التاريخية مثل القدس ونابلس وبيت لحم والخليل، إضافة إلى ما تبقى من القرى والمواقع التاريخية الأخرى.

تعد المراكز التاريخية - المعروفة بالبلدات القديمة - في مدن فلسطين مناطق عمرانية وحضرية حية تساهم، كغيرها من أجزاء المدينة الحديثة، في النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والفنية والثقافية للمدينة. والارتباط بين المواطن وبلداته القديمة في فلسطين ارتباط وطني مفعم بالرومانسية، والعلاقة اليومية علاقة طبيعية حميمة، لم تتأثر بالتطور العمراني والتقني في الأجزاء الحديثة من المدن. وعلى رغم الأوضاع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي تعانيها كل المناطق في فلسطين. فما زال السكان يتجهون إلى مراكز مدنهم التاريخية، ويعتمدون عليها لتلبية احتياجاتهم التجارية والدينية والثقافية والاجتماعية.

وقد نشأت في معظم المدن التاريخية في فلسطين مراكز ومؤسسات متخصصة في الحفاظ على التراث والتوعية بأهميته. وتقوم منذ سنوات بترميم وتأهيل المباني التاريخية منها.

وقد قامت مؤسسة التعاون، وهي من كبرى المنظمات المدنية التنموية في فلسطين منذ تأسيسها في سويسرا عام ١٩٨٢، بإيلاء اهتمام خاص لموضوع الثقافة والهوية في معظم مدن ومراكز تجمع الفلسطينيين. وفي عام ١٩٩٤ تبنت برنامجا خاصا لإعمار البلدة القديمة في القدس، كان ثمرة الجهود والتطلعات المشتركة بينها وبين الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي. وفي مطلع عام ١٩٩٥ أسست مؤسسة التعاون مكتبا فنيا خاصا للبرنامج يعمل بدعم وإشراف اللجنة الفنية للإعمار، التي تشكلت من أعضاء من مجلس أمناء المؤسسة متخصصين في مجالات مختلفة، في الهندسة والتخطيط والتاريخ والاقتصاد. لقد كرس المكتب الفني أعماله لحماية التراث الثقافي والحضاري في البلدة القديمة، وتحسين ظروف السكان المعيشية، ومساندة المؤسسات الأهلية المقدسية، لتتمكن من تطوير خدماتها والنهوض بمهامها. ويعتمد البرنامج منهجا علميا وفق المقاييس والمعايير الدولية للحفاظ على التراث، مع مراعاة المحتوى التاريخي للمدينة، وأهميتها الدولية كمدينة مدرجة على لائحة التراث العالمي.

ومن أبرز أهداف البرنامج ما يلي:

- الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية في البلدة القديمة في القدس.
- دعم وحماية المجتمع العربي والهيئات المحلية في البلدة.
- الحفاظ على التراث العمراني وصيانة الآثار والمباني التاريخية.
- تحسين الأوضاع المعيشية والبيئية للسكان.
- إحياء الحرف والصناعات التقليدية عبر تدريب مجموعة من الحرفيين المحليين على أعمال الترميم والصيانة.
- توفير الحماية القانونية للممتلكات العربية المهددة بالاستيطان.
- إحياء القاعدة الاقتصادية والاجتماعية بخلق فرص عمل، وتشجيع فرص الاستثمار، وتفعيل النشاطات الثقافية والسياحية.
- التوعية الجماهيرية لسكان البلدة القديمة بأهمية الحفاظ على التراث، وتشجيعهم على المشاركة في أعمال الترميم والصيانة.

وقد تمكن المكتب الفني، في أثناء تنفيذه للبرنامج خلال السنوات الماضية، من التعرف على العديد من المشروعات التي تعد ذات قيمة كبيرة، وتشكل أولوية لعمله في الفترة المقبلة. فعلى رغم الإنجازات التي حققها، إلا أن الجهود تظل متواضعة ما يعكسه واقع البلدة القديمة من حاجة ماسة إلى الوقوف على حالة الكثير من المباني والصروح التاريخية والدينية، التي تشكل جزءا مهما من طابع المدينة المهددة، إضافة إلى ما تعكسه المباني السكنية من احتياجات ملحة، يفتقر إليها سكان البلدة. ومن هذا المنطلق، تستمر مؤسسة التعاون في تنفيذ البرنامج من خلال المزيد من المشروعات ذات الطابع الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، وستنفذ مشروعات عديدة من أبرزها ترميم وتطوير دار الأيتام الإسلامية، ترميم وإحياء سوق القطانين، إنشاء مركز المخطوطات في الأقصى الشريف، تطوير وحماية مباني محيط الحرم الشريف التي تضم المدرسة المنجكية والمدرسة الغادرية، ترميم وتأهيل المدرسة الجوهرية ورباط الكرد، وترميم المكتبة البديرية، والاستمرار في مشروعات الإعمار الطارئ لترميم المنازل والمباني المهددة. وقد طورت المؤسسة منظورها البرامجي ليتركز العمل على العناصر الرئيسية الأربعة التالية:

أولا: الإعمار الشامل: إحياء المناطق السكنية المهددة سياسيا والمتدهورة فيزيائيا، حيث يشمل ترميم المساكن والأحواش السكنية وتأهيل خدماتها، كما يشمل التطويع الوظيفي للمباني التاريخية والدينية من خلال ترميم المباني التراثية والتاريخية، خاصة تلك المتاخمة للحرم الشريف، وتأهيل خدماتها وتطويعها وظيفيا لاستخدامات حديثة، تساهم في إحياء البلدة القديمة اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا.

ثانيا: بناء قاعدة معلومات وتطوير خطة الإحياء: تطوير الأرشيف والمكتبة وبنك المعلومات والتوثيق والنشر والإعلام اعتمادا على المسوحات والأبحاث، والاستمرار في تطوير خطة الإحياء مع التركيز على المناطق المهددة.

ثالثا: التدريب: الاستمرار في برنامج تدريب المهندسين والمقاولين والحرفيين بعقد دورات وورش عمل يشارك فيها خبراء محليون ودوليون.

رابعا: التوعية الجماهيرية: الاستمرار في برنامج التوعية الجماهيرية وتوجيه السكان، وإشراك المدارس والمؤسسات المحلية والدينية.

وخلال السنوات الماضية، نفذ

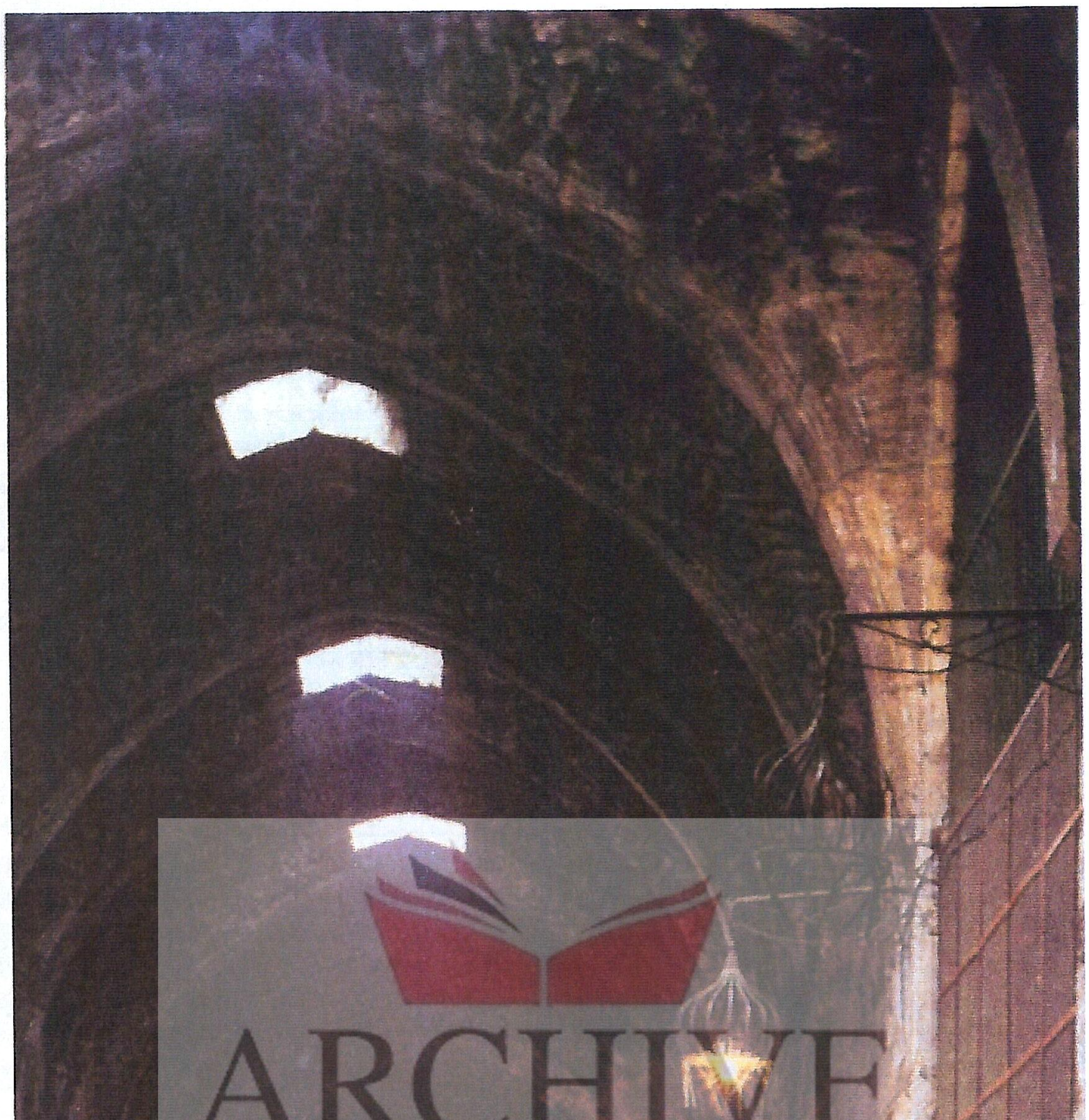
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سوق القطانين

"دمرت قوات جيش العدو الصهيوني ما يزيد على ١٥٠ موقعا في البلدة القديمة في نابلس، وأكثر من ٢٥٠٠ منزل، إضافة إلى تخريب شبكات البنية التحتية التي يعود بعضها إلى العصر الروماني"

المكتب الفني حوالى مئة مشروع وبرنامج فرعي، شملت إعمار وترميم مبان سكنية وتاريخية وثقافية ودينية، على رغم الكثير من المعوقات نظرا للحالة المتدهورة لمعظم المباني والصروح، والضغط المتزايد لاحتياجات سكان البلدة، وافتقارهم إلى الخدمات الضرورية التي تأثرت بشكل مباشر بالأوضاع السياسية، التي تستهدف تهويد البلدة وتفريغها من سكانها، وذلك بالإضافة إلى العديد من المسوحات والدراسات والأبحاث ذات العلاقة، وقد أصدر المكتب الفني في نهاية العام الماضي كتاب «القدس تراث وحياة»، يعرض خطة شاملة لإحياء البلدة القديمة مبنية على دراسات قطاعية متكاملة لأوضاع البلدة القديمة، واقتراحات لتطويرها وإحيائها. كما يقوم البرنامج بتنفيذ برامج التدريب والتوعية الجماهيرية في مجال الحفاظ على التراث. ومن الجدير ذكره أن المكتب الفني ينسق مع عدد من الهيئات والمؤسسات المحلية، المنظمات الدولية والعربية، ويسعى إلى تطوير الشراكات المحلية والدولية مثل منظمة اليونسكو لضمان نجاح وديمومة العمل. وتستمر المؤسسة في تنفيذ البرنامج من خلال مصادر تمويل عربية ودولية لتمكنها من تنفيذ مشروعات جديدة، تتجاوب مع الاحتياجات الملحة للبلدة وسكانها.

وبدأت المؤسسة أخيرا في اتخاذ الخطوات اللازمة لتطوير المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس، ليصبح معهدا للحفاظ على التراث في المراكز التاريخية المختلفة في فلسطين.

وشهدت الأسابيع الماضية تطورا خطيرا وتصعيدا في أعمال التدمير والتخريب، التي قامت بها قوات الاحتلال خلال اجتياحها للمدن الفلسطينية، حيث تم التركيز بالهجوم على المواقع التاريخية فيها. وقد عانت البلدة القديمة في نابلس بشكل كبير القصف الجوي لمبانيها التاريخية، من مساجد وكنائس ومصانع الصابون التقليدية والحمامات، وكذلك العديد من المباني السكنية التي شيدت منذ مئات السنين.

وقد دمر ما يزيد على ١٥٠ موقعا بالكامل منها ١٠٠ مبنى سكني، كما دمر ما يزيد على ١٠٠٠ مسكن بشكل خطير وحوالى ١٥٠٠ مسكن بشكل جزئي، إضافة إلى تدمير شبكات البنية التحتية التي يعود بعضها إلى العصر الروماني، وكذلك الممرات والأسواق التجارية.

وقد ساهمت الأحداث المؤسفة الأخيرة في المدن الفلسطينية خاصة نابلس وبيت لحم في الإسراع نحو هذا التوجه، حيث اعتمد مجلس أمناء

ترميم دار منصور - بيت لحم

"ما تبقى من تراث فلسطين خير شاهد على تاريخها وحضارتها المتعاقبة التي نمت على أرضها المقدسة، وتدمير هذا التراث يعني طمس الذاكرة ومسح الهوية الفلسطينية"

مؤسسة التعاون، في اجتماعه السنوي خلال شهر مايو الماضي، إعلان إنشاء المعهد الفني للحفاظ على التراث، والذي يشمل وحدة خاصة لتنفيذ برنامج إعمار البلدة القديمة في القدس، إضافة إلى وحدات ترميم وتأهيل المدن والمواقع التراثية الأخرى في فلسطين. وسيشمل المعهد قسما لتدريب الفنيين والحرفيين على أعمال الترميم، وآخر للتوثيق والأبحاث والتخطيط، وكذلك سيستمر العمل في برامج التوعية والمشاركة الجماهيرية في عملية الحفاظ على التراث.

ربما يعجب البعض أن نتحدث اليوم عن تدمير الحجر في الوقت الذي تتجه فيه الأنظار لإنقاذ البشر، ولكن الهجمة مستمرة ليس على الحجر والبشر والشجر، بل على تاريخ الشعب الفلسطيني وحاضره ومستقبله.

ما تبقى من تراث فلسطين هو شاهد على تاريخها الغني، وعلى الحضارات المتعاقبة التي نمت وتطورت على أرضها المقدسة، بل هو شاهد على عمق جذور أبناء شعبها. وتدمير هذا التراث يهدف، بشكل مباشر، إلى طمس الذاكرة ومسح الهوية الفلسطينية، فالصراع أساسا ليس على مساحات أرض فقط، بل أيضا على إزالة أي دليل على ما جرى على مدى العصور على هذه الأرض، وعلى محو بصمات الأجداد والآباء.

وأهم من ذلك كله، أن التراث الثقافي في فلسطين، كغيره من آثار ومدن ومراكز تاريخية في العالم، هو ملك للعالم وللإنسانية، وحمايته والحفاظ عليه أمانة تسلمناها من الأجداد لنسلمها للأجيال القادمة.

وقد انشغلت المنظمات الدولية، منذ منتصف القرن الماضي، في سن القوانين المختلفة لحماية التراث العالمي، ولتوعية الشعوب والحكومات المختلفة بأهمية هذا التراث ومسؤوليتها في الحفاظ عليه خاصة في حالات الحرب. وقد نص قانون حماية المصادر الثقافية في الحرب الذي أقر في لاهاي عام ١٩٥٤، على أن: «تدمير المصادر الثقافية الخاصة بأي شعب هو تدمير للمصادر الثقافية لكل الإنسانية، حيث إن كل الشعوب تساهم في ثقافة العالم...».

ويأخذ الحفاظ على التراث في فلسطين بعدا وطنيا، يدفع العديد من المؤسسات الأهلية والحكومية والأفراد إلى بذل جهود مضاعفة، للعناية بالممتلكات الثقافية في القدس ونابلس وبيت لحم والخليل وغيرها، ليس فقط لحماية كنوز ورثناها من آثار ومبان تاريخية وصروح عمرانية ودينية، بل لإبقاء شواهد تاريخنا ورموز هويتنا، وضمان وجودنا واستمراريتنا على هذه الأرض المقدسة ◆

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

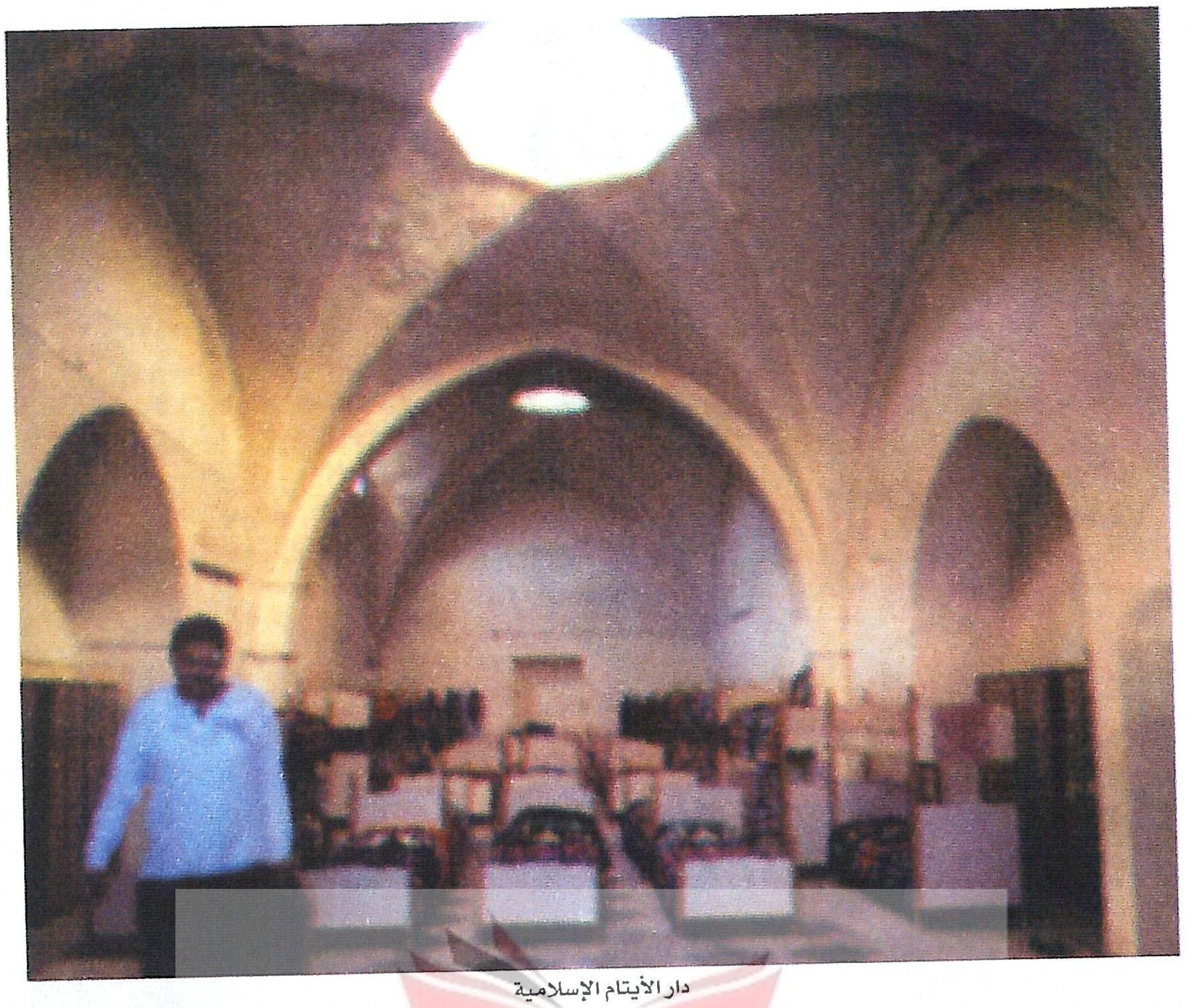
دار الأيتام الإسلامية

دبابات العدو تدفن بيوتنا

أنقذوا بيت لحم

يستمر كابوس الاحتلال الإسرائيلي الشيطاني للمدن والقرى الفلسطينية تحت النظرات المحدقة من قبل ما يدعى بالعالم المتحضر، بينما نحن ننوح مفجوعين على شهدائنا الذين حرموا من حقهم في الدفن الذي يليق بهم، وبينما نتحمل النظر العاجز إلى أولادنا الجرحى الذين حرموا من الحصول على الرعاية الطبية، وننظر ونشاهد بيوتنا ومدننا التي هي ماضينا وحاضرنا المحير المليء بالوعود، نراها تدفن تحت دبابات العدو الإسرائيلي، نرفع صوت الاستغاثة والاحتجاج للمجتمع الدولي ليتخذ موقفا إيجابيا في تأييد المواطنين الفلسطينيين لاسترجاع حقوقهم، ولاسترجاع المؤسسات الفلسطينية والحياة الفلسطينية بأكملها.

إن الأحداث في الأشهر القليلة الماضية، وعودة الإسرائيليين إلى اجتياح المدن الفلسطينية، والأسلوب العدواني الذي لا حد له ضد مواطنينا الفلسطينيين، يثبت أن العدوان الإسرائيلي على حياتنا وملكياتنا عبارة عن حرب متواصلة لا تنتهي، لها هدف وضيع ألا وهو محق الفلسطينيين وإبادة هويتنا الجماعية.

منذ عام ١٩٩٨ بدأ التبرع والمساهمة في مشروع تأسيس «بيت لحم ٢٠٠٠»، وذلك لإصلاح وترميم تلك المدينة التاريخية العريقة التي شهدت ميلاد المسيح عليه السلام، وذلك بغرض المحافظة على مراكزها القديمة، وإعادة إحياء الثقافة والتراث فيها.

إن الاجتياح الحالي والمستمر لبيت لحم والمدن المجاورة لها، والتخريب المصاحب للممتلكات العامة من قبل قوات العدو الإسرائيلي، تسبب بأضرار مروعة لمنشآت بيت لحم ٢٠٠٠ والتي تعتبر مفخرة للفلسطينيين ولجميع المدن والمنظمات التي ساهمت في هذه المنشآت.

نحن نُحيل هذا الدمار الذي حل بتلك المدن إلى ضمير العالم ليرى التدمير الذي أصاب أحياءها، وذلك الهجوم على كنيسة المسيح التي هي من أكثر الأماكن المقدسة لدى المسيحيين في جميع أنحاء العالم، والتي تعتبر أحد معالم آثار العمارة البيزنطية.

ونحن نُحيل ما حل من دمار بالمدن والقرى الفلسطينية الأخرى، والتخريب المنظم لمعالمنا التاريخية، وتخريب الأماكن الإسلامية والمسيحية المقدسة من قبل قوات العدو الإسرائيلي إلى ضمير العالم عله يستيقظ من غفوته.

وقد بدأنا عن طريق الدعم من قبل الدول والمكاتب التجارية الدولية، بدأنا عملية المحافظة على تراثنا وحمايته من أي عمليات تدمير أخرى، ولقد بدأنا هذا المشروع في المباني القديمة والتاريخية في منطقة بيت لحم، وقد استهل العمل بطريقة موحدة لتطوير المجتمع، والتي من الممكن أن تصلح لتكون نموذجا للمدن الفلسطينية الأخرى.

لقد أعيق هذا المشروع بشكل وحشي عن طريق التدمير الإسرائيلي المدروس لمدننا الفلسطينية، لذلك يجب ألا نسمح لخطة العدو الإسرائيلي بأن تعمل على تخريب هذا المشروع وتشتيته.

إن الهجوم الإسرائيلي الهمجي على خطتنا لإعادة بناء وتنظيم المدن الفلسطينية يستحق احتجاجا عنيفا من المجتمع الدولي، ومن المكاتب التجارية الدولية المسؤولة عن المحافظة على التراث الثقافي في جميع أنحاء العالم.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

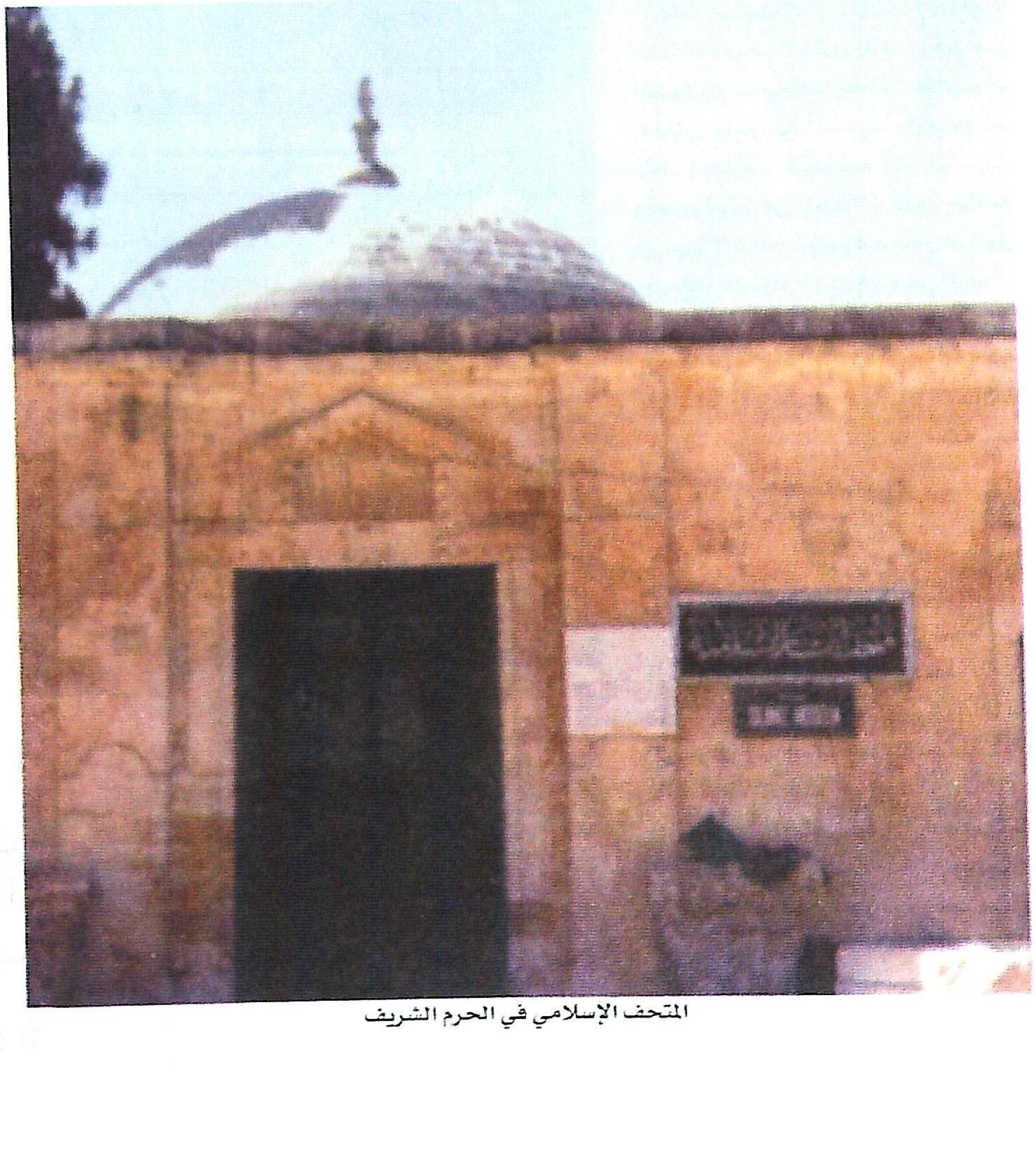
المتحف الإسلامي في الحرم الشريف

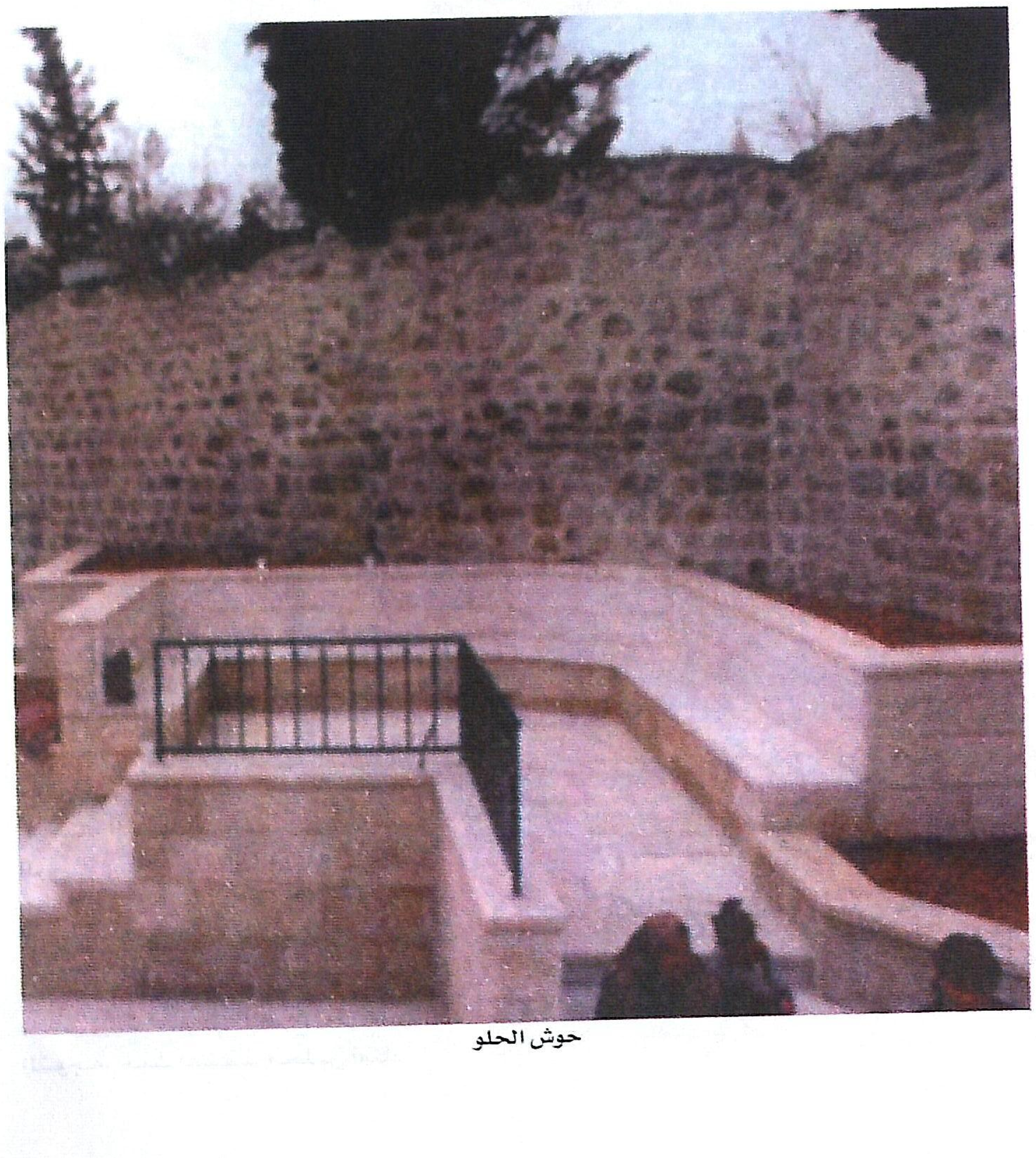
حوش الحلو

شهداء.. شهداء

في
أحد أيام ١٩٧٧
طبعنا ٨٠ ألف
نسخة من كتاب
«فلسطين بوابة مصر
الشرقية» للكاتب
عبدالعال الباقوري، وأوضح
هذا الكتاب - الذي شاركت
في إخراجه وطباعته في ٢٤
ساعة لا أكثر - عدم انفصال
قضية فلسطين عن قضية مصر
الأمنية أو قضايا العرب
الإستراتيجية.

ومنذ عشرات السنين ينتج الشعب الفلسطيني محصولا وفيرا من الشهداء، شهداء كل عام، كل شهر، كل أسبوع، كل يوم، كل دقيقة، شهداء في الأعياد، في الاحتفاليات، في الأزمات، في الأفراح، شهداء في المآتم، شهداء بالليل، بالنهار، بالظهيرة.

عندما رأيت صورة آيات الأخرس، سالت دموعي ولم أستطع إيقافها، تخيلتها تمارس حياة جميلة، تتزوج، تعطي الحياة طفلا جميلا وطفلة أجمل، ثم تكبر وتربي أحفادها، سيدة ذات شعر أبيض يتوّج حياة حافلة، تجلس أمام زيتونة في تلك الأرض المقدسة، وتتذكر شريط حياة حافلا.

لقد ضحت آيات الأخرس بكل هذا، وأرسلت رسالة بدمها، رآها بعض من لا يرون ولا يفكرون ولا يفهمون ولا يعلمون ويغالطون، رأوها إرهابية!

ذات يوم، رسمت أشلاء تحمي قبة الصخرة، وحين شاهدت تلك اللوحة في أيام الانتفاضة الأولى، وضعتها في صدر معرضي وعرفت أن الأشلاء وهي أشلاء سوف تدافع عن هذا الوطن المسمى فلسطين.

أرى أن علينا جميعا واجب العمل، نعمل كما يجب من أجل أن تتحقق قوة وقدرة عربيتان، نستطيع بهما أن نحسم مصالحنا، أن نحصل على حقوقنا، ألا نكون الفريسة الجاهزة لجميع أصحاب الأطماع، مثلما نحن السوق الجاهزة لاستقبال المغامرين واللصوص والمستعمرين، ومثلما نحن المواد الخام المنهوبة من قبل قطاع الطرق.

إن مقولة: الأوراق كلها أو ٩٩
في المائة منها بيد الآخرين، ما
هي إلا خدعة مضللة، وكذبة
كبيرة اخترعناها لنضحك
بها على أنفسنا لنقنع
أنفسنا بالهوان، وهذا
عين التقصير، وليس
أشد من الكذب
على نفس
جريحة!

عدلي رزق الله - مصر

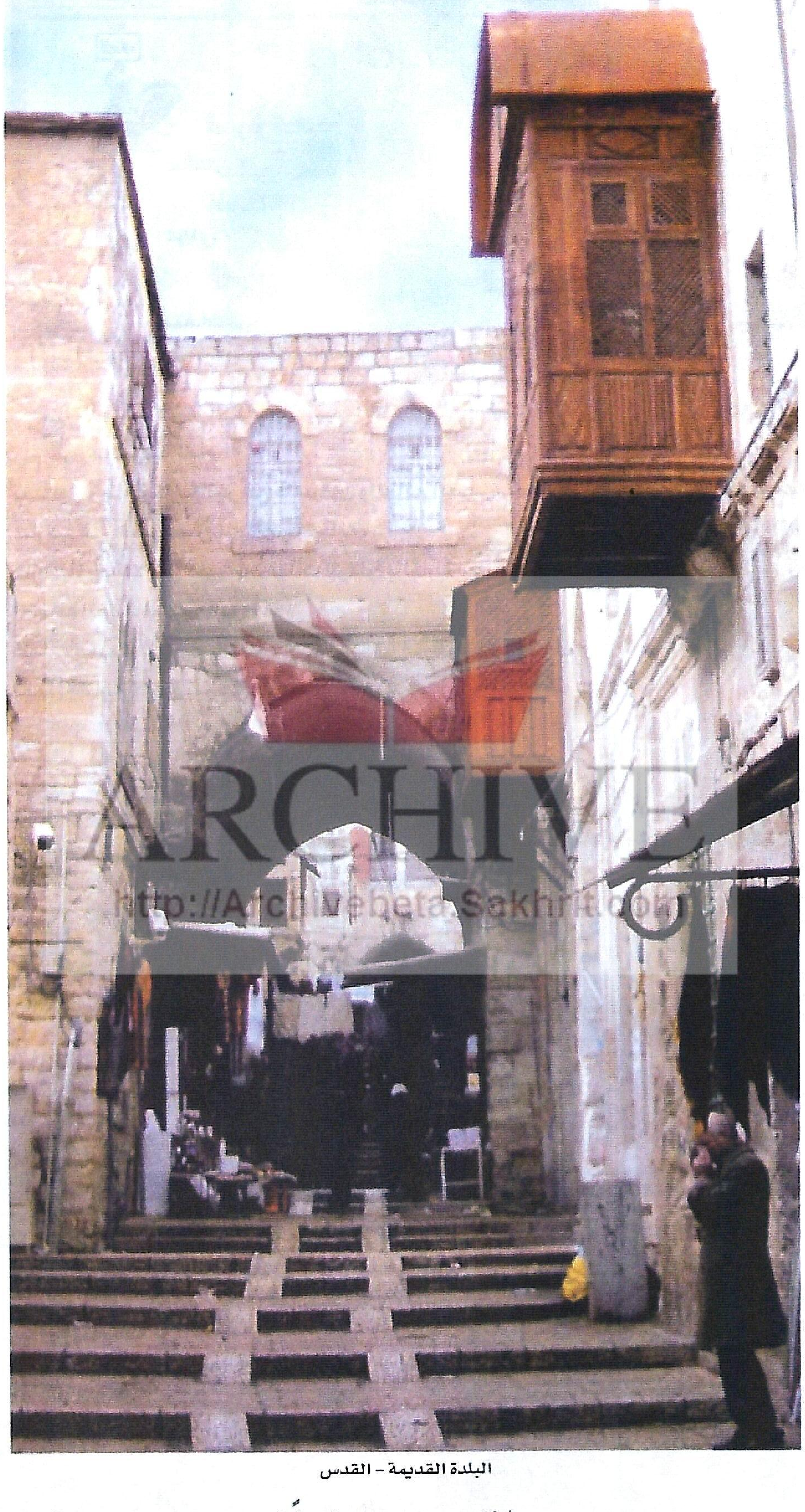

البلدة القديمة - القدس

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ماذا سيحدث غداً؟

ضيّعتنا الفرقة والخلافات، وعلى الجميع أن يسألوا أنفسهم ماذا سيحدث لنا غدا، فالدور الآن على فلسطين، والكل على القائمة، وأقول لكل العرب: الخطر قادم، وإذا لم نتوحد فكلنا ضائعون لا محالة... علينا أن نتعلم من التاريخ، وأن تحكمنا النظرة المستقبلية، وأن نقوم بعمل ما، فإسرائيل الكبرى في الطريق، ومشروعها يجري قدما، علينا أن نتخلى عن هذا الموقف السلبي، موقف من لا حيلة له لأن نحن لدينا عقول ناضجة، وما ينقصنا هو التخطيط واتفاق الفكر وتضافر الجهود.

أما بالنسبة إليّ كفنان، فقد شاركت الفلسطينيين همومهم منذ بدايتي الفنية، وما زلت أشاركهم الهم نفسه فقضيتهم هي قضية العرب والمسلمين جميعا، والفنان، كما هو معروف، أول من يتأثر بما يدور حوله، وقد حدث ذلك، وما زلت متأثرا بالفجيعة اللا إنسانية التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال.

عبدالله القصار - الكويت

هل رأيت

هل رأيت
من قبل
مدينة تستحمّ
بالدماء...؟!
هل سمعت
جرس كنيسة
يجهش بالبكاء...؟!
هل رأيت
في الزاوية طفلا
أسندته رصاصة في الصدر
إلى الجدار...؟!
هل سمعت بيوتا
تستغيث بأهلها
من الدمار...؟!
هل... وهل... وهل...؟!
ما عدت أبدا أحتمل»

هذا واحد من المقاطع الكثيرة التي دأبت في كتابتها في الأيام الأخيرة، كي أفرّغ من خلالها كل مشاعر القهر والحزن والألم التي انتابتني وأنا أشاهد العدوان الظالم الذي يتعرض له شعبنا العربي في فلسطين الأبية الصامدة.

حملتُ الريشة والألوان، والتجأت إلى اللوحة، علها تنقذني مما أعاني، فخذلتني، ووقفت عاجزة أمامها. تكررت المحاولات وتكرر إخفاقي، فالمصيبة أكبر من أن يختصرها خط أو شكل أو لون، والظلم السافر الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني لا يتصوره عقل، ولا يفسره منطق إنساني. فالقتل والتدمير والتشريد والمجازر التي تقشعر من هولها الأبدان، تشكل انتهاكا جائرا لأبسط حقوق الإنسان التي يتشدق بها إنسان العصر المتحضر.

ألا يخجل العالم الحديث من هذه المأساة الدامية التي تحدث على مرأى ومسمع منه؟! وأين العدل الذي يتغنى به، وهو يكيل بمكيالين ويجاهر بازدواجية أحكامه...؟!

أنا لا أقدم شهادتي هذه على ما يجري، كفنانة تشكيلية أو كاتبة، بل كإنسانة ترى أن الإنسان الذي اكتملت به الخليقة وصيّره الله تعالى سيدا على كل مخلوقاته، تدمّر حياته، فيُقتل ويهان ويتعرض لأقسى صنوف الظلم والإذلال على أيدي العصابة الصهيونية التي يتزعمها الإرهابي شارون، بطل مجازر صبرا وشاتيلا من قبل.

ومما يحز في القلب ويدميه، ويعز على النفس ويشقيها، الإحساس بالعجز أمام آلامهم التي لا طاقة لإنسان على احتمالها، إذ لا نملك إلا أن نغضب، وأن نحتج، وأن... من دون أن نتمكن من مسح دمعة طفل، أو تضميد جرح مصاب، أو رفع قبضة تراب من حفرة تجهز لتكون مثوى لجسد شهيد قدم حياته ثمنا لوقفة عز وكلمة حق.

بسمة النمري - الأردن

ما الذي يمكن أن أصوره؟

الصورة
حقيقة الزمان
والمكان وذاكرتهما.
وهي الشاهد الوحيد
والمؤثر على البشاعة
والوحشية الصهيونية. دم في
كل مكان، دم يملأ فضاء الصورة
ويحاصر بقية الألوان التي
تنسحب من المشهد في الحضور
الطاغي للأحمر، فما الذي يمكن أن
أصوره؟! بسمة توشك أن تزول لأم
تعرف مصير طفلها... زهرة بيضاء،
صفراء، حمراء... لا أدري. إنهم يغتالون
الزهرة، لكنها ستنبت مرة أخرى من كل
يد صغيرة أو كبيرة يقطعونها... ستنبت
على رغم أنوفهم.

كلما نقلت إلينا وسائل الإعلام مشهدا من مشاهد البطولة والصمود والتحدي والمقاومة، رأيتني هناك، حيث جثة الشهيد المحروقة أو المتعفنة تضيء كالياقوت وروحه أيضا شفافة ونبيلة، هذه رؤيتي البصرية، على رغم اعترافي بأنه ليس هناك من إبداع أمارسه في ظل المخطط البشع لقتل الأمة والقضاء عليها.

ألتقط صورة بعدسة الكاميرا: دمعة، صرخة، أنينا، دماء... أتراجع خائفة. هل هذا ما كنت أريده أو أسعى إليه؟ إنها البشاعة تنطق وتملأ المكان بالرعب، الصمت لم يعد صمتا في الصورة، فلقد تحول إلى لغة أبلغ من الكلام، وأبلغ من اللغة.

الصورة تُحنط المشهد، ليبقى ماثلا في الذاكرة، ولكن، ماذا سأقول للأجيال اللاحقة، وللزهور البريئة التي تنمو؟ ماذا أقول لمن يقاومون بأجسادهم ويقدمون أرواحهم فداء للوطن وللقضية، في جنين الأسطورة ونابلس وقرى أهلي؟ أي كلام سيسعفني أمام الطفل الذي يقف حاملا حجرا في يده مقابل دبابة أو مجنزرة؟ إن الصورة الأكثرصدقا والأكثر تعبيرا عما يحدث هي تلك التي يختزنها ذلك الطفل في ذاكرته، والتي تمنحه القوة والإصرار والتحدي ورفض الاستسلام، تمنحه القدرة على المواجهة والانتقام من عدوه، الذي شرد شعبه وهدم بيته وقتل إخوته.

الصورة ستبقى وثيقة دامغة
على وحشية الصهيونية،
وعلى صمت الإنسانية
حيال ما يجري، وهي
التي تؤكد عدالة
قضيتنا وحقنا
المسلوب.

أميرة الحمصي حجيج
الجمعية الأردنية للتصوير

رسامة الكاريكاتير الفلسطينية «أمية جحا»

القتل يلاحقها عبر الإنترنت!

ميس العثمان - الكويت

يبدو أن عمليات التشويش والتضليل لم تقتصر فقط على صفحات الجرائد والمجلات، لتخمد الأصوات الداعمة للانتفاضة الفلسطينية والحق العربي، بل تجاوزت كل ذلك إلى صفحات الإنترنت، وتحديدا إلى أعمال الفنانين الفلسطينيين المدافعين عن قضيتهم السياسية عبر الشبكة الإلكترونية. فها هو موقع الفنانة أمية جحا رسامة الكاريكاتير الفلسطينية يتعرض يوميا للهجوم من بعض العناصر المدسوسة المناهضة لقضية الشعب والحق المغتصبين، فيملأون لها صفحات المنتدى في موقعها بأبشع الألفاظ وأقذع أنواع السباب والشتائم، حتى أنها نوهت في موقعها بمحاربتها اليومية لكل تلك العبارات المعادية للدين الإسلامي وكل الألفاظ التي تتطاول على الرسول الكريم، وتعتذر من زوار الموقع عن الحرج الذي يتسبب فيه الموقع لهم- كمسلمين- وللدين الحنيف.

ولدت «أمية جحا»، في مدينة غزة العام ١٩٧٢، وتخرجت من قسم الرياضيات في جامعة الأزهر في غزة، وهي عضو في جمعية «ناجي العلي» للفنون التشكيلية في «رام الله» في فلسطين، وعضو في illestration agency للكاريكاتير في المملكة المتحدة.

فازت «أمية» بجائزة الصحافة العربية لأفضل رسم كاريكاتيري للعام ٢٠٠٠ في الإمارات. وتأتي مشاركتها في دعم القضية الفلسطينية عبر موقع الإنترنت الخاص بها www.omayya.com، الذي تعرض فيه عددا من الرسومات الكاريكاتيرية الداعمة لفلسطين والانتفاضة.

يتميز الموقع الإلكتروني بالترتيب والتنسيق، فيحتوي على عدد من الوصلات «Links» التي تمكن المتصفح من الولوج إلى ذلك العالم الرحب، عالم الكاريكاتير الساخر الناقد للأوضاع كافة.

يبدو تأثر الفنانة «أمية جحا» واضحا بالفنان «ناجي العلي» وبخطوطه الكاريكاتيرية المعبرة عن سمات الإنسان الفلسطيني العربي المسلم، الذي يدافع عن أرضه ضد الإرهاب الإسرائيلي، لذلك وصلها العديد من التهديدات عبر الإنترنت بسبب الرسومات التي تراها معبرة عن كل ما يجول في ضمير الأمة العربية، يطغى على لوحاتها عنصر يبقى ثابتا ليجمع بين أفكار اللوحات وهو «المفتاح»، رمزا للعودة!

بلا شك، إن رسام الكاريكاتير الناجح، هو الذي يستخدم ريشته صوتا يعبر من خلاله عما يعانيه الإنسان، دفاعا عن حريته ومطالبة بحل مشاكله العالقة، اجتماعية كانت أو سياسية ◆

ولدت في مدينة غزة بتاريخ ١٩٧٢/٢/٢. متزوجة وحاصلة على جائزة الصحافة العربية لعام ٢٠٠١.
تعد أول رسامة كاريكاتير في فلسطين والعالم العربي، تعمل في صحيفة سياسية يومية.
شاركت في العديد من المعارض المحلية.
فازت بالمرتبة الأولى على محافظات الوطن بالكاريكاتير في مسابقة الإبداع النسوي التي أقامتها وزارة الثقافة الفلسطينية مارس ١٩٩٩.
عملت معلمة للرياضيات لمدة ثلاث سنوات ثم استقالت عام ١٩٩٩ لتتفرغ للعمل الفني.
تعمل رسامة كاريكاتير في صحيفة القدس اليومية منذ سبتمبر ١٩٩٩.

omayya@omayya.com

الصورة لا تعرف الحياد

المصـــوَر ليس
مـحـايدا، إلا إذا تحـوّل إلى
أعمى.
المصــوَر منحـــاز إلى العين، إلى
الكاميرا، وهذه ترى وتقول ما ترى.
ترى تفـاصـيل، وتحـدد رؤيتـهـا، وتنـتـقل
وتتـجـاوز كل شيء. لديهـا الجرأة، وهذا مـا يغـيظ
أحيانا.

المزيف في الصورة هو الإطار.

داخل الإطار: الصورة لحظة زمنية. خارجه: هي امتداد زمني لا محدود، وحقيقة لا محدودة، قتل لا محدود، وبكاء أيضا.

المساحة المتروكة للمشاهد هي مساحة التأويل. والتأويل هو إثارة السؤال: متى، وكيف؟ ماذا بعد هذه اللحظة؟ وماذا بعدها؟

الصورة تقود المخيلة إلى مساحات شاسعة، إن لم تكن في قلب الحقيقة، فهي في دوائر حولها.

إن كان المشاهد مرهفا وحساسا، سيحس بأن وجهه مليء بالدم، فالدم في الحالة الفلسطينية سينفر من الصورة إلى وجهه، لأن المشاهد بالنسبة إلى الصورة هو المحايد الوحيد.

ليس من حيادٍ في الصورة.
ليس من حيادٍ في الحقيقة.
ليس من حيادٍ في الدم.

عرفنا أن هناك كتابة بالدم، وأناشيد بأصوات مجروحة، وأن الكلام يمكن أن يكف عن الكلام في هول الفاجعة. لكن مجددًا نعرف كم هي الصورة مخضّبة بالدم.

عرفنا أن الكتابة تنتهي بنقطة آخر السطر، لكن الصورة لا تنتهي.

منذ رؤيتي الأولى - المحفورة في ذاكرتي البصرية - لمجازر صبرا وشاتيلا (وهي أول صور حصلت عليها، وما زلت أحتفظ بها كألبوم شخصي)، والمشهد نفسه يتكرر: حجم هائل من الدم، وأكثر منه ومَض القذائف والانفجارات التي تترافق مع ومض آلات التصوير. ولا ترتفع الراية إلا بارتفاع هرم الشهداء.

في الصورة يكف الكلام، وتبدأ الصورة نشيدها، وتقول ما لا يمكن أن يقال، ويفر الدم من زواياها ليغطي الصحيفة أو الجدار أو وجه المشاهد، ولربما يغطي ضمائرنا.

من شاتيلا إلى جنين... تتشابه الأزقة.

من شاتيلا إلى جنين، يندفع الشهداء والجرحى، البيوت وأهلها، العربات المعطوبة. يندفع الطفل الذي يحرس بيته في غيبة أبيه. المسيح وحواريوه، يقفون جميعا أمام المصورين مبتسمين:

صوّرونا، فلم ينتصر رصاصهم.

تخرج الصور لتملأ الصحف والمجلات والذاكرة المشكوك في صلاحيتها:

صورة: أجساد ممزقة تُحيل فراغ الغرفة المثقّبة إلى ما يشبه العرس.

صورة: أنقاض إسمنتية اختلط معها اللحم البشري. تظهر قدم بشرية من بينها لتلقي التحية وتعلن رايتها.

صورة: أنقاض إسمنتية أخرى لبيت آخر. يتدلّى من بقايا سقفه حبلان. طفلان من المخيم ذاته يحوّلان الحبلين إلى ما يشبه الأرجوحة، يلعبان لعبتهما ويحرسان البيت.

صورة: ومض القذائف والرِصاص يضيء أبراج كنيسة المهد، فتتحول إلى ما يشبه ملاكا مضاء بقذيفة.

صورة: قذيفة مجهولة العيار والحجم، تخترق جدار منزل، تفتح فيه شباكا إضافيا. تظهر منه مكتبة مرتبة بعناية.

صورة: ثلاثة جنود «إسرائيليين» أمام أحد المحال.
اثنان منهم يقفان، بينما تتمدد أمامهما جثة
فلسطيني، الثالث يبتعد عنهما حاملا كاميرا،
يحاول التقاط صورة تذكارية.
صورة... صورة... صورة...
اختزال الحقيقة: مثل طبعة
القدم، أو قناع الموت.

صالح حمدوني - الأردن

تنويه: كتبت هذه المسرحية بعد العدوان الأخير على الشعب الفلسطيني، وعلى رغم خلوها من أي إشارة إلى الأحداث، إلا أن دلالاتها لا تحتاج إلى شرح أو تعليق، وخصوصا إزاء ما حدث بشأن لجنة تقصي الحقائق حول مخيم جنين، التي تقدم صورة عن العدالة النهائية كما تصورها هذه المسرحية!

علاء الدين كوكش - سورية

مسرحية تبحث عن عنوان!

شخصيات المسرحية:

- زوجة القتيل
- القاتل
- القاضي
- المحامي ١
- المحامي ٢
- كاتب المحكمة
- محلفون ستة، إضافة إلى الحاجب والشرطي وجمهور من المتفرجين.

(قاعة محكمة - منصة القضاء ويجلس الكاتب على طرفها - منصة المحلفين وخلفها ستة كراسي عليها المحلفون، طاولة خلفها زوجة القتيل، طاولة ثانية خلفها القاتل وبجانبه محاميه) يدخل القاضي

الحاجب: **(يصرخ)** محكمة **(يقف الجميع)**

القاضي: **(وهو يشير إليهم بالجلوس)** بدأت الجلسة. **(ينظر تجاه طاولة الزوجة فلا يجد محامي الدفاع)** أين محامي الدفاع؟

الزوجة: مع أنني زوجة القتيل يا سيدي، ولكن لم يرض أحد أن يتبنى قضيتنا.

القاضي: **(للشرطي الذي يقف أمام الباب)** اقبض على أي محام تجده خارج باب المحكمة وائت به إلى هنا... **(يخرج الشرطي)** أيها الكاتب أعلن القضية!

الكاتب: القضية مرفوعة من زوجة القتيل ضد القاتل.

محامي المتهم: إنني أحتج على هذه التسمية يا سيدي.

القاضي: أي تسمية؟

محامي المتهم: تسمية القتيل والقاتل، ففيهما حكم مسبق في القضية.

القاضي: وماذا تقترح؟

المحامي: الأصح أن تكون قضية المنقتل ضد المدافع عن نفسه.

القاضي: ماذا تعني بالمنقتل؟

المحامي: زوج هذه السيدة هو الذي أراد أن ينقتل وهو الذي كان يلحق بمسدس موكلي أينما اتجه، وسترون إثبات ذلك في مرافعتي، ولكنني أطلب شطب التسمية السابقة...

القاضي - الاعتراض مقبول **(للكاتب)** اشطب التسمية السابقة واكتب قضية المنقتل ضد المدافع عن نفسه.

(يدخل الشرطي وهو يمسك برجل رث المنظر)

الشرطي: لقد وجدت هذا المحامي في المقصف المجاور للمحكمة.

القاضي: **(للمحامي)** اجلس وتابع ما يجري.

المحامي ٢: مرك يا سيادة القاضي... **(ويبدو السكر الخفيف على لسانه)**

القاضي: **(للمحامي ١)** تفضل وقدم مرافعتك.

المحامي ١: **(وهو يقف ويتحرك نحو منصة القضاء والمحلفين)** سيدي القاضي، السادة المحلفون... نحن الآن أمام قضية بدأت عادية ولكنها انتهت بشكل غير اعتيادي... لقد بدأت بخلاف بين شخصين على أرض وانتهت بجريمة قتل... ولكن غير الاعتيادي في الجريمة أن القتيل كان هو القاتل (همهمة من الحضور، فيتابع مؤكدا) نعم القتيل هو القاتل، وموكلي الجالس أمامكم كان مدافعا عن نفسه وسأقول لكم كيف تم ذلك... في صباح ذلك اليوم وكان مشرقا، صحا موكلي من نومه وقال لنفسه: لم لا أذهب وأحل المشكلة بيني وبين جاري بالحوار والتفاهم؟ واتخذ قراره ولبس ثيابه وذهب إلى بيت هذه المرأة وزوجها. دق الباب بلطف شديد وفتح له الزوج الباب وحين رآه أخذ يصرخ في موكلي: لا... لا... لا

وكان موكلي يقول له بلطف: نعم... نعم... نعم

المحامي ٢: ماذا يقصد بترداد لا... لا... لا؟

المحامي ١: كان يقصد يا عزيزي... لا لن أتفاوض معك... وهنا لا بد لي من الاعتراف وبأسف بأن موكلي قد وقع في الفخ.

المحامي ٢: أي فخ؟

المحامي ١: الفخ الذي نصبه له جاره وهو يقول لا... كان يقولها وهو يتراجع داخل منزله، مما كان يضطر موكلي إلى متابعته واللحاق به ليتحاور معه... وعندما وصلا إلى غرفة النوم، وكانت هذه الزوجة موجودة في سريرها، استل زوجها مسدسه من الخزانة.

الزوجة: هذا كذب... كذب يا سيدي القاضي. إن زوجي لا يملك أي مسدس.

المحامي ١: سوف أقاضيك لاحقا بتهمة الشتم... أنا لست كاذبا.

القاضي: **(يتدخل)** هل لديك دليل على أن المسدس ملك لزوجها؟

المحامي ١: **(يأخذ ورقة من أمام طاولته)** نعم يا سيدي القاضي... هذه وثيقة تثبت أن المسدس من نوع ميركا، وبالرقم المثبت عليه، ملك لزوجها **(يعطي الوثيقة للقاضي)**

الزوجة: هذا افتراء وتزوير.

القاضي: هل لديك إثبات أن المسدس ليس لزوجك؟

الزوجة: وكيف يمكن أن آتي بإثبات مثل هذا الأمر؟... ومن أين لي أن آتي بوثيقة على أن زوجي لا يملك مسدسا؟

المحامي١: ولكننا نحن نملك الوثيقة.

القاضي: **(وقد كان ينظر في الورقة)** الوثيقة صحيحة ولا غبار عليها **(يلتفت إلى الكاتب)** أطلع المحلفين عليها ثم ضمها إلى الإضبارة... **(ثم للمحامي ١)** تابع.

المحامي ١: ساعتها أدرك موكلي اللعبة كلها... بإمكان زوجها الآن أن يطلق عليه الرصاص ويقتله، مدعيا أنه قد تهجم عليهما واقتحم غرفة نومهما وسيصدق الجميع... لذا بادر موكلي إلى انتزاع المسدس منه بسرعة.

الزوجة: هذا كذب... لقد اقتحم علينا المنزل شاهرا مسدسه وبدأ في إطلاق النار.

القاضي: **(يقاطعها)** لا تقاطعي المحامي... حين يأتي دور محاميك في الكلام يمكنك أن تتحدثي **(ويلتفت إلى المحامي)** تابع

المحامي ١: وبعد أن أخذ المسدس منه قال له دعنا نتفاوض

المحامي ٢: في غرفة نومه؟!

المحامي ١: ألم أقل لك إن موكلي قد وقع في الفخ **(ثم يتابع مرافعته)**

ولكن زوجها صرخ لا وهجم عليه وهو يقول له لن أتفاوض معك، وهنا أترك الكلام لموكلي لكي يصف لنا ماذا تم بعد ذلك...

سيدي القاضي، سادتي المحلفين أرجو متابعة رواية موكلي باهتمام وإصغاء، فعندما رواها لي لم أتمالك نفسي من البكاء... **(يخرج من حقيبته علبة محارم ورقية ويبدأ في توزيعها على القاضي والمحلفين وهو يتابع حديثه)** بكيت... بكيت بشدة حتى أنني لم أستطع النوم

مطلوب عمل فني عربي كبير لنصرة فلسطين

من الصعب الحديث

عمّا عاناه الشعب الفلسطيني طيلة نصف قرن من الاحتلال، أو عما يعانيه اليوم من مجازر وإبادة متواصلة، وتشريد دائم. وما تقوم به إسرائيل، يتجاوز ما كان يدعيه اليهود من تجاوزات الألمان في حقهم، خلال الحقبة النازية.

هناك فاشية جديدة ينظر إليها المجرم شارون، والعالم كله شاهد على الفظائع والجرائم التي ترتكب في حق شعب أعزل، يقاوم آخر احتلال في العالم.

وعندما ترى طفلا فلسطينيا يدافع عن أرضه بحجارة، في مقابل دبابة وطائرة والمدافع والصواريخ موجهة إليه، تتأكد من مدى فاشية الكيان الصهيوني، وتدرك من الإرهابي: صاحب الحجر أم الصاروخ والطائرة والدبابة؟ ولهذا، علينا كفنانات وفنانين أن نسارع للوقوف إلى جانب الانتفاضة، كخيار شعبي وحيد لتحرير الأراضي العربية المحتلة.

وعلينا، بالاقتداء برجال المسرح العربي أمثال الفنان نور الشريف، الذي قدم عملا رائعا وهو «لن تسقط القدس».

لا شك في أن الشعب الفلسطيني في أمس الحاجة إلينا بمختلف فئاتنا وشرائحنا، من موسيقيين ومغنين وتشكيليين وكاريكاتيريين وسينمائيين ومسرحيين، لتجسيد معاناته ونضاله في أعمالنا الفنية.

لقد تألمت، أشد الألم، حين شاهدت تلفزيونات العالم تتحرك لجمع التبرعات للشعب الفلسطيني، بينما بعض أجهزة التلفزة العربية غائبة.

وأدعو كل الاتحادات الفنية في الوطن العربي إلى عمل مشترك كبير لنصرة فلسطين، وسأكون في طليعة المتطوعات، لأنه لا خيار لنا سوى القيام بواجبنا كفنانات وفنانين، في التصدي للهمجية والبربرية الإسرائيلية، والخذلان العربي للقضية الجوهرية وهي فلسطين.

دليلة حليلو - الجزائر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في تلك الليلة... (**يعود نحو موكله**) تفضل يا عزيزي وارو لهم ما حدث معك.

القاتل: عندما هجم علي قلت لنفسي لأطلق رصاصة تحذيرية في الهواء، صوبت المسدس أعلى كتفه وأطلقت وعندما رأى أنني لم أصوب عليه قفز سريعا إلى الأعلى فأدخل الرصاصة في كتفه وصرخ، ثم هجم علي مرة أخرى فأطلقت رصاصة ثانية في الهواء تحذيرا له ولكنه انقض على الرصاصة وأدخلها في كتفه الآخر...

المحامي ٢ : ما هذا؟... لديك زوج أسرع من الرصاص...

المحامي ١ : أكمل يا عزيزي أكمل.

القاتل : عندها قلت له أرجوك دعنا نتفاوض، قال: لا. وهجم علي. قلت لنفسي لأصوب نحو الأسفل، وأطلقت إلى الأرض طلقتين، ولكنه كان أسرع مني فتلقف الرصاصتين في قدميه... حزنت وتألمت لذلك وقلت له: يا عزيزي ابتعد عن الرصاص أرجوك... قال: لا، لن أبتعد.

المحامي ٢ : رجل عنيد.

القاتل : قلت له وأنا أبكي: أرجوك يا بن عمي أنا لا أريد قتلك... أنا أحبك ولا أريد أن أقتلك من أجل شيء تافه.

المحامي ١: (**يبكي بصوت عال**) يا الله كم تأثرت لهذا المشهد... حتى هوليوود لم تستطع أن تصور مشهدا عاطفيا مثل هذا... اكمل يا عزيزي أكمل.

القاتل : عندئذ صرخ فيَّ وقال لا تقل تافه... قلت له: يا حبيبي حياتك أغلى من الأرض وعاد إلى الصراخ مجددا لا لا لا...

قلت له والدموع تنزل من عيني، حياتك عندي أغلى من الأرض كلها... ولكي أؤكد لك ذلك سوف أفرغ طلقات المسدس في الهواء، أطلقت طلقتين في الهواء، ولكنه كان أسرع مني فالتقط الرصاصة الأولى بيده اليمنى والرصاصة الثانية بيده اليسرى... بكيت بشدة وأنا أرى الدماء تنزف منه...

المحامي ١ : (**يبكي بصوت عال يجاريه فيه بعض المحلفين والكاتب، بينما يمسح القاضي دموعه بصمت**).

القاتل: التفت إلى زوجته وكانت لا تزال جالسة في سريرها، وقلت لها أرجوك أقنعيه بالابتعاد عن الرصاص فأنا لا أريد سوى إفراغ المسدس من طلقاته ثم أعيده إليه فارغا...

الزوجة : (**تقاطعه**) أنت تكذب... تكذب

القاضي : (**يقرع المنصة أمامه بالمطرقة الخشبية**) للمرة الثانية أحذرك من أن تقاطعي المتكلمين.

الزوجة : ولكنك أنت تأثرت بكذبه وبدأت بمسح دموعك.

القاضي : أنا بشر من لحم ودم، أتريدين مني أن أكون مجردا من العواطف؟... ولكن اطمئني لن يتأثر حكمي وحكم المحلفين بعواطفنا أو مشاعرنا الشخصية (**يلتفت إلى المحلفين**) أليس كذلك؟

محلفة : (**تجيب وهي تبكي بحرقة**) لا يا سيدي القاضي... لن نتأثر أبدا (**وتجهش بالبكاء**).

القاضي : تابع يا بني تابع.

القاتل : وبدلا من أن تهدئه زوجته صارت تحرضه علي وتقول له اقتله... اقتله، نظرت في وجه زوجها فوجدته يحدق فيَّ بقسوة وعنف... تأملت في عينيه فرأيت فيهما قرارا بقتلي... نزلت دموعي من عيني وأخذت أبكي وأنا أقول له لا تقتلني يا بن عمي... أرجوك ألا تقتلني... ولكنه صرخ بقوة كالهنود الحمر وهجم علي... أغمضت عيني واستسلمت لمصيري... ولكن غريزة الدفاع عن النفس ضغطت على المسدس لتنطلق الرصاصات المتبقية... فتحت عينيَّ بعد ذلك لأجده على الأرض جثة هامدة... التفت إلى زوجته وقلت لها أنا آسف واتجهت إلى مخفر الشرطة القريب وسلمت نفسي (**يخيم الصمت على المحكمة، بينما يجلس القاتل ويقف المحامي**).

المحامي ١ : وهذا أكبر دليل على شهامته... لم يهرب ولم يختبئ، وإنما سلم نفسه إلى الشرطة مؤمنا بأن الحق إلى جانبه والعدالة سوف تأخذ مجراها... لقد كان زوج هذه السيدة بعد أن جرد من سلاحه يحاول عامدا متعمدا أن ينقتل داخل بيته وفي غرفة نومه كي يلصق التهمة بموكلي على أنه القاتل... ترون إذن يا سيادة القاضي أن الحق معي حينما طلبت تغيير تسمية القضية إلى المنقتل ضد المدافع عن نفسه.

القاضي : نعم، معك حق.

المحامي ١ : (**وهو يتحرك نحو القاضي والمحلفين**) إنني أطلب من هيئة المحكمة اعتبار المنقتل مذنبا باعتباره حرض موكلي ودفعه إلى الضغط على زناد المسدس وإطلاق النار منه... كما أطلب اعتبار المنقتل مذنبا بجريمة إلقاء الرعب والهلع في قلوب الآخرين.

القاضي : من هم؟

المحامي ١ : موكلي والسيدة زوجة المنقتل... فعندما ذهبت الشرطة لاستجوابها احتبس لسانها ولم تستطع النطق بكلمة... (يخرج ورقة من الإضبارة) وهذا تقرير من لجنة من الأطباء النفسيين يبين فداحة الأضرار التي ألحقها المنقتل بموكلي (**ويعطيها للقاضي الذي يعطيها للكاتب كي يمررها على المحلفين**).

إنني أثق يا سيادة القاضي في عدالة محكمتكم وشكرا.

(**يعود نحو طاولته، بينما تصفق له المحلفة ومعها بعض المحلفين**).

القاضي : (**يقرع المنصة بمطرقته الخشبية**) يمنع التصفيق داخل المحكمة...

(**ثم يلتفت للمحامي ٢**) هل تريد أن تقدم مرافعتك؟

المحامي ٢ : (**وهو يقف**) لا يا سيدي... لا أستطيع تقديم مرافعة أمام هذه الحقائق الدامغة.

القاضي : ألديك شيء تضيفه؟

المحامي ٢ : إنني أطلب لهم الرأفة.

الزوجة : ولكن يا سيدي القاضي...

القاضي : (**يقاطعها**) ترفع الجلسة للتداول (**يخرج القاضي والمحلفون**).

(**تتلاشى الإضاءة عن المسرح ويبقى هناك ضوء مسلط على الزوجة التي تعود للجلوس مطرقة براسها بإحباط ويأس... ثم تغيب الإضاءة عنها بالتدريج ليغرق المسرح في الظلام...**).

لحظات ..

(**نسمع صوت قرع المطرقة الخشبية للقاضي، فتعود الإضاءة إلى المسرح تدريجيا، يعود المحلفون للجلوس**).

القاضي : (**للمحلفين**) هل توصلتم إلى قرار بالإجماع؟

المحلفة : (**وهي تقف**) كلا لم نتفق يا سيدي القاضي.

القاضي : أنت ما رأيك؟

المحلفة : مذنب.

القاضي: المحلف رقم ٢.

المحلف ٢: (**وهو يقف**) مذنب.

القاضي : المحلف رقم ٣.

محلف ٣ : (**وهو يقف ولكنه يصمت**).

القاضي : ما قرارك؟

المحلف ٣ : غير.

القاضي : (**يقاطعه بالخبط على المنصة ثم يقول له**) أكمل.

المحلف ٣ : غير.

القاضي : (**يقاطعه ايضا**) قلت لك أكمل دون إعادة.

المحلف ٣ : مذنب.

القاضي : المحلف رقم ٤.

المحلف ٤: (**وهو يقف... يقول بتلكؤ**) غير.

القاضي : (**يقاطعه أيضا بالخبط على المنصة**) هدوء... أكمل.

المحلف ٤ : مذنب.

القاضي : المحلف رقم ٥.

المحلف ٥ : مذنب.

القاضي: محلف رقم ٦.

المحلف ٦ : مذنب.

القاضي: (**يقرع منصته**) قرار الحكم... نحن قاضي محكمة العدالة النهائية نحكم على المدافع عن نفسه بالبراءة ونحكم على المنقتل... بالإعدام شنقا حتى الموت.

الزوجة : ولكنه ميت الآن يا سيدي.

القاضي: هذا لا يكفي... يجب أن يعاقب.

الزوجة : كيف؟

القاضي: هل دفنتموه؟

الزوجة: نعم.

القاضي: انبشوا القبر... أخرجوا جثته وعلقوها على المشنقة لمدة سبعة أيام كي يراها القاصي والداني... وكي يكون عبرة لغيره... رفعت الجلسة.

المحامي ١ : تحيا العدالة النهائية (**ويردد معه الجميع**) تحيا العدالة النهائية.

(**يتجه الجميع عدا الزوجة نحو القاضي ويرفعونه على أكتافهم والمحامي يهتف وهم يرددون معه: تحيا العدالة النهائية... تحيا العدالة النهائية... حتى يخرجوا من المسرح**).

(**تبقى الإضاءة مسلطة على الزوجة التي تقف وتتجه إلى منتصف مقدمة المسرح... تنظر في الجمهور مليا... ثم تردد بصوت محايد**)... العدالة النهائية. يظلم المسرح مع الموسيقى

- النهاية -

السلام لا يفرض على أحد!!

لا نستطيع أن نفصل أي حركة من حركات الشعوب عن تاريخها الطويل أو ذاكرتها التي كونتها عبر تاريخها وما حدث وما يحدث وما سيحدث في المستقبل ليس وليد لحظة، إنما هو نتيجة لتاريخ طويل يعود في القدم إلى المنشأ الأول، إلى الهوية وإلى أحقية هذا الإنسان في هذه الأرض والتاريخ - الزمان والمكان. إن الحجر الواحد الذي ترميه يد طفل هو صرخة عمرها بالتالي آلاف السنين: من الحق التاريخي والإحساس بالأخطاء والقهر، كما أن الحجر دائما يرمى إلى الأمام، ولهذا فإن المسألة برمتها تتعلق بالمستقبل. المستقبل القريب والبعيد الموغل في القدم، لأن الحق واحد، والأرض واحدة، والإنسان واحد، والسلام لا يفرض على أحد حيث لا شروط له، ولا يصدر من طرف واحد كي لا تميل كفة العدالة الإنسانية المرتكزة أساسا على الحق التاريخي.. هنا في أرض فلسطين حيث الكثير من الحضارات الأولى عصارتها ستبقى، وهذ العصارة وهذا الجوهر المتأجج سيبان لتألق المستقبل الذي أومن إيمانا مطلقا أنه لا بد من أن يكون للسلام الحقيقي فيه دور بارز، وإلا فلن ينتهي هذا الصراع إلى الأبد. إن إصرارنا وعزمنا على التمسك بهويتنا وتاريخنا، هو إصرار حياتي ومستقبلي وليس متحفيا ينظر إلى الماضي وحسب. وإن هذا الإصرار هو الذي يدفعنا إلى الاستمرار على رغم هذه المرارة التي يعانيها الإنسان العربي جراء الضغوطات المحلية والعالمية، ولكن الأمل يبقى بأننا نستطيع أن نحافظ على مواقفنا بكل قوة، ونضع وعينا في ثلاجة المستقبل التي تحمي الوعي. الماضي كان لنا يوما. ولكن ليس علينا أن نقف عند حدوده، بل علينا أن ننطلق بكل تفاؤل على رغم كل شيء إلى أننا نستطيع وبكل إرادة أن نخطو باتجاه المستقبل. وعلى رغم كل الإحباط والمرارة والشعور بقلة الحيلة، فإن الاستمرار على مواقفنا وحقوقنا، هو الذي يؤدي إلى تعميق هذه الإرادة التي من دونها لن نستعيد أي حق، ولن نوقف أي مجزرة!

جهاد سعد - مخرج مسرحي - سوريا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحيانا تكون المصادفة هي المحرك الأول لأخطر الأحداث أو أجملها. وها هي المصادفة التي ساقت جان جينيه المسرحي الفرنسي المشهور، إلى بيروت عام ١٩٨٢، لتكون السبب في خروجه بنص درامي يوثق مجزرة صبرا وشاتيلا في عمل وصفه من داخله بأنه «ولادة بعد الرعب». وها هو النص ذاته، بعد رحيل كاتبه بسنوات، يلتف حوله مخرجون عديدون، ليشهروا في وجه العالم (المتحضر) شهادة أحد أبنائه على وحشية أولئك الذين يصرون على مساندتهم والوقوف إلى جانبهم، وتبرير جرائمهم باعتبارها دفاعا عن النفس! وهنا قراءة في نص جينيه، الذي ربما لا يعرف عنه الكثير من العرب شيئا، ضمن أشياء كثيرة تخصهم ولا يعرفونها!

عبده وازن - لبنان

«أربع ساعات في شاتيلا»

جان جينيه.. شاهدا على المجزرة

لم يكن الكاتب الفرنسي جان جينيه يدري أن النص الذي كتبه عن مجزرة صبرا وشاتيلا تحت عنوان «أربع ساعات في شاتيلا» سيجذب الكثيرين من المخرجين المسرحيين الذين ما برحوا يلجأون إلى تلك «المشاهدات» التي كتبها جان جينيه للتو، حينذاك، بعد زيارته الشهيرة للمخيمين في التاسع عشر من سبتمبر ١٩٨٢، وكان قد مضى على المجزرة ثلاثة أيام. كانت مصادفة تاريخية حقا: كان جان جينيه يزور بيروت في مطلع الخريف برفقة السيدة ليلى شهيد عندما وقعت مجزرة صبرا وشاتيلا في ظل الاحتلال الإسرائيلي لمدينة بيروت، ولم يكن منه إلا أن غامر بالدخول إلى المخيمين بعدما وقعت المجزرة وانسحب المجرمون تاركين وراءهم تلالا من جثث الأبرياء، من نساء وأطفال وشيوخ، وعندما عاد جان جينيه من حقل المجزرة طلب من أصدقائه أن يتركوه وحيدا قائلا: «يجب أن أنسحب، يجب أن أبقى وحيدا». ولم تمض بضعة أيام حتى عاد جينيه إلى باريس حاملا في عينيه تلك المشاهد المروعة، وفي أذنيه صمت الجثث الصارخ، وفي وجدانه ذلك الألم الشديد.

في إحدى نهايات نص «أربع ساعات في شاتيلا» يدور حوار صغير بين الراوي ونفسه: «هل رأيت؟ نعم. هل ستكتب ما رأيت؟ نعم!». هذا الحوار يجري بعدما كتب جان جينيه نصه الذي ما برح صعب التصنيف، هل هو نص درامي أم انه أقرب إلى المونولوج الذي تتقاطع فيه بضعة أصوات؟... لم يشأ

جان جينيه في أحد مخيمات عمّان

الكاتب أن يصنف هذا النص البديع الذي كتبه بعد انقطاع سنوات غير قليلة عن الكتابة. فهو أراده شهادة حية على تلك المجزرة الرهيبة التي يستحيل وصفها، لكن النص كان بمثابة ولادة بالنسبة إلى جان جينيه كشخص شاهد تلك الجثث وعاش صمتها وموتها وتخثرها تحت شمس خريفية. إنه «ولادة بعد الرعب، بعد رائحة الجثث المتحللة» كما يشير الراوي، حينذاك لم يعد الموت قضية فلسفية أو مسألة ميتافيزيقية، ولا مجرد مجاز أدبي أو كتابة، أصبح الموت حقيقة اليمة ومأساوية. فالجثث المتراكمة أعطت معنى حسيا للموت، معنى حقيقيا وليس مجردا، معنى مأساويا وليس فرديا.

كانت مصادفة كبيرة حقا في حياة جان جينيه ومسيرته وتجربته؛ فهذا الكاتب، الذي أحب الفلسطينيين وأيد القضية الفلسطينية، شاء القدر أن يجعله شاهدا على تلك المجزرة التي حلّت بهم، وبدت نموذجا للقتل الجماعي الذي طالما تعرض له الشعب الفلسطيني، كان جان جينيه مصابا بسرطان في الحنجرة، وكان يعاني هجره الكتابة عندما وجد نفسه فجأة في بيروت، بل في المخيمين، هو الذي عاش سنوات مع الفلسطينيين بدءا من العام ١٩٧٠ في مخيمات جرش واربد في الأردن، وأعجب ببسالة الفدائيين وكتب عنهم، لم يصدق ما شاهده في صبرا وشاتيلا.

كان أكثر ما جذبه إلى الفلسطينيين تحولهم من «منفيين

بالقول والفعل

مما لا شك فيه
أن دور الفنان العربي بشكل عام، والكويتي بشكل خاص مهم وحيوي، فيما يتعلق بالوقوف مع الشعب الفلسطيني البطل، ومساندته في الدفاع عن حقه في الوجود، وفي إقامة دولته الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس. ونحن، كأفراد ومؤسسات، عبرنا عن مواقفنا الداعمة للشعب الفلسطيني قولا وعملا، وتمثل ذلك في البيان الذي يعد من أوائل البيانات التي صدرت عن جمعيات النفع العام، وهو بيان الاتحاد الكويتي للمسارح الأهلية، الذي ناشدنا، من خلاله، كافة قوى الخير المحبة للسلام نصرة الشعب الفلسطيني، ووقف الهجمة الشارونية البربرية على مناطق السلطة الفلسطينية، التي طالت الفلسطيني جسدا وبناء ومؤسسات، ولحقت بكل المقاتلين والمدافعين عن أرضهم وحقهم في الوجود. كما أعلنا وقفتنا الصريحة والواضحة في تأييد الفلسطينيين في حقهم المشروع، في الذود عن حريتهم والدفاع عن أنفسهم. وعملنا أيضا من خلال اللجان الشعبية، على المستوى الفردي، لدعم صمود الشعب الفلسطيني عن طريق المساهمات التي قد نخجل من ذكرها، ولكنها تعبير المقل تضامنا مع هذا الشعب البطل. وكذلك عملنا سوية معا كافة النقابات والاتحادات العربية التي نرتبط بها، بإصدار بيانات خاطبنا من خلالها كل دول العالم، ومن بينها الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن، وقادة مؤتمر القمة العربية الذي انعقد في بيروت، لدعم الفلسطينيين في معركتهم، كما قمنا، عن طريق الاتحاد العام للفنانين العرب، ببث رسائل عبر الإنترنت إلى جميع المؤسسات الفنية في العالم لفضح ما تقوم به سلطات الاحتلال في الأرض المحتلة.

فؤاد الشطي - مخرج مسرحي - الكويت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولاجئين إلى ثوريين مصممين على استرجاع هويتهم وأرضهم»، كما يقول في كتابه الشهير «أسير عاشق»، وكان معجبا جدا برمز الفدائي ذاك، الذي يغامر بحياته من أجل قضيته، فيذهب «تحت جنح الظلام لإلقاء قنابل أو زراعة ألغام في إسرائيل. رحلة قد يعود منها ويكون كمن عاود الصعود من الجحيم، أو قد لا يعود». وجان جينيه الذي كان يكره الغرب ويؤيد حركات التحرر في العالم أجمع، كان يجد في إسرائيل صورة للغرب المزروع في العالم العربي، وهو يقول في هذا الصدد مخاطبا الفلسطينيين: «إسرائيل هي الغرب مزروعا في بلادكم، لذلك فإن عدالة القضية في حالة المقاومة الفلسطينية بديهية بالنسبة إليّ»، ولم يتوان جينيه في وصف إسرائيل بـ «بؤرة الرأسمالية الغربية».

غير أن علاقة جينيه بالفلسطينيين وانبهاره بالعمل الفدائي لا يرجعان إلى عدالة القضية الفلسطينية فقط. فالكاتب الذي كان يعتبر نفسه ابن العار لكونه نشأ بلا أم ولا أب، أو مجهول الأب، بعدما توفيت أمه وهو طفل، وجد في القضية الفدائية (وكذلك في قضية الفهود السود في أمريكا) نوعا من «الكفارة» لا عن ذنوبه هو، وإنما عن ذنوب أبيه المجهول وأمه التي رحلت مبكرا، وعن ذنوب المجتمع الذي جعل منه ضحية بامتياز. ولذلك وجد جان جينيه في العمل الفدائي شيئا من الفعل الميتافيزيقي. فالفدائي الذي طرد من أرضه وفقد بيته وأهله غدا أشبه بالبطل التراجيدي الذي يتحدى القدر ويدفع من دمه وجسده ثمن ذلك التحدي.

اعتمد جان جينيه شخصية الراوي في نصه، لكن من غير أن يفصله عن الكاتب الذي يتحدث بصيغة ضمير المتكلم (الأنا)، ومن غير أن يدمج أيضا شخصية الراوي في الضمير المتكلم دمجا شديدا. فالراوي الذي يسرد تلك المشاهد الأليمة هو أقرب إلى الشبح الذي يحدث الجمهور أو (القراء) عن الأشباح التي تتملكه، وهي طبعا أشباح تلك الجثث التي رآها ممددة أو مقطعة الأوصال. إنها الجثث التي يحاول أن يدخلها إلى الذاكرة قبل أن تجرفها الجرافات وتمحو صور المجزرة. كأن الراوي رجل يتنقل بين الجثث التي ظل يصر على أنها جثث أصدقائه، جثث الفلسطينيين الذين عاش معهم. كان يرى في الجثة الممددة تاريخا وجدانيا أو ذاكرة وجدانية، هكذا لم تعد الجثث تخيف. ما يخيف هو القتل أو المجزرة التي حولت الأجساد الحية إلى جثث تتكلم بصمت.

مشهد من مسرحية «أربع ساعات في شاتيلا»

حتى الرائحة الكريهة المنبعثة من «أشلاء الجثث» تحمل في طياتها صراخا طويلا، يقول جان جينيه: «كنت، بلا شك، الوحيد، أقصد الأوروبي الوحيد، مع بضع فلسطينيات عجائز ما زلن يرفعن خرقة بيضاء ممزقة مع بضعة فتيان فلسطينيين عزّل، ولو لم يكن هؤلاء الأشخاص الخمسة أو الستة هنا حين اكتشافي هذا المخيم المهدم وجثث الفلسطينيين الممددة السوداء والمنفوخة، لأصبحت مجنونا. ترى هل أصبحت مجنونا؟ هذا المخيم المهشم والمهدم أنقاضا الذي أبصرته أو ظننت أنني أبصرته... هل حصل كل هذا حقا؟».

لم يستطع رائد مسرح «القسوة» أن يستوعب ما شاهد، هو الذي عاش حياة ملؤها العنف والألم، والذي كتب نصوصا تفيض بالرفض واللعنة، شيء من العبث يمتزج مع الرعب، شيء من الرهبة التي تفوق الوصف... فماذا يعني أن يكتشف الراوي نفسه في حقل مزروع بالجثث؟ الجثث أينما نظر، الجثث حتى لو أغمض عينيه! الجثث تمتد في متاهة مشهدية لا باب فيها ولا نافذة! الجثث تطفو على سطح البئر الكامن في الداخل، في عمق الذات، في الروح! يقول جان جينيه في نصه: «كيف كان الجلادون القتلة؟ من كانوا؟ أراهم ولا أراهم. إنهم يفقأون عينيَ، ولن تكون لهم هيئة إلا تلك الهيئة التي ترسمها أوضاع القتلى الممددين وأحوالهم وحركاتهم الغريبة، القتلى الذين يحوم حولهم تحت الشمس سرب من الذباب، أما العبثية أو السخرية السوداء فتتجلى في ذلك الشيء الوحيد الحي في المخيم المدمر: «ساق من بلاستيك زهرية اللون». أجل انها الساق الوحيدة التي لن يصيبها التخثر لأنها تحمل عبر البلاستيك ذكرى إنسان كان هنا ومات أو رحل!

إذا لم يشأ جان جينيه ان يكتب نصا مسرحيا بل نصا دراميا يقترب من المونولوج وقد قسمه إلى ستة أجزاء، واللافت أن الجزأين الأول والثاني يدوران حول المجزرة، فيما الأجزاء الأخرى تستعيد صور الفلسطينيين المناضلين والفدائيين، كما عرفهم جان جينيه، في السبعينيات في أوج نضالهم. فمواجهة الجثث والمجزرة لم تكن إلا بالعودة إلى الماضي، الماضي القريب الذي صنعه الفدائيون ببسالتهم وتضحياتهم. وهكذا يتقابل في النص زمنان: زمن المجزرة والجثث والقتل وزمن الفداء والبطولة، وإن بدا العنوان «أربع ساعات في شاتيلا» وكأنه عنوان تحقيق صحفي فإن النص يبتعد عن التقريرية المباشرة وعن «البروباجندا» السياسية ليمسي شهادة حية، أدبية أو شعرية، عن المجزرة، عن الضحايا الأبرياء، بل عن القتلة الجزارين الذين أراقوا الدماء وقطعوا الأصابع والأيدي ورموا الأطفال والنساء والعجائز جثثا تتحلل تحت الشمس.

أما جان جينيه فيصف هذا النص البديع قائلا: «إنه نوع من حكاية صغيرة كتبتها، حكاية لم أكتبها انطلاقا من أفكاري، حكاية كتبتها بكلمات هي كلماتي ولكن لأحكي عن حقيقة ليست حقيقتي». ولعل هذا النص الذي كتبه جينيه أعاده إلى عالم الحياة بعد أن اجتاز الكابوس، مثلما أعاده إلى عالم الكتابة بعد أن انقطع عنها سنوات. والنص هذا أعقبه كتاب جان جينيه الشهير «أسير عاشق» الذي كان آخر كتاب له قبل رحيله عام ١٩٨٦ وقد أغمض عينيه من غير أن يبصره مطبوعا ◆

المسرح أداة مقاومة!!

المسرح ما زال،

وسيظل، الفعل الإبداعي الأول المؤثر في بني البشر، لأنه الانعكاس الأقرب لكل قضايا الشعوب، فكم من عرض مسرحي كان نواة لثورة، وكم من عرض مسرحي هيج مشاعر الجماهير لتصحيح أوضاع خاطئة والأمثلة كثيرة... وظل المسرح يطور من تجاربه ومدارسه ليواكب التغيرات التي تحدث للإنسان، وتؤثر في حياته سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، وما فتئ المسرح يقدم الحلول والمعالجات بل ويبسط النظريات الفلسفية الصعبة ليستوعبها الإنسان العادي ... وفي أكبر القضايا التي مرت بالشعوب، نرى المسرح هو السابق بتفاعله مع القضية والمشكلة، بل وفي بعض الأحيان هو المثير لها حتى في أوج الحروب والصراعات، يكون فن المسرح أداة مهمة قبل وأثناء وبعد الأحداث لنقد الظلم والدمار، ولا تخلو حضارة من الحضارات السابقة واللاحقة حتى اليوم، من إرهاصات مسرحية أو تكوينات مسرحية تعبيرية، لأن المسرح يظل الفعل التسجيلي القوي لأعظم الملاحم البطولية والمآثر الإنسانية، فالمسرح اليوناني ما زال مؤثرا بملامحه وصراع الخير والشر فيه حتى اليوم. وأعتقد أن درجة التأثير التي يحدثها المسرح ما زالت محتفظة بقوتها السابقة، على رغم تطور وسائل الاتصال الجماهيري والإعلامي، إلا أن المسرح ينفرد بالمباشرة الصادقة والتوصيل بالإحساس البعيد عن التكنولوجيا المعقدة. فالصورة الحية والحوار الحي المباشر يصلان بسرعة من دون وسيط إلى المتلقي. أما عن رأيي وشهادتي كفنان وإنسان حول الوضع الراهن في فلسطين، فإن ما يحدث هو ظلم بلا حدود وإجرام لا مثيل له... حرب إبادة في حق شعبنا الصابر هناك، مجازر بلا رحمة وتدنيس لكرامة الإنسانية جميعها، وهأنذا أبدي الرأي وأنا عاجز كغيري من المواطنين العرب والمسلمين، فأي شهادة نقولها والعالم يشاهد ويسمع، لقد تجمدت الدموع في العيون وتحجرت المشاعر في القلوب... ولأن أضعف الإيمان أن نغير المنكر الذي نراه بألسنتنا وقلوبنا، فسنظل هكذا حتى يقيض الله لنا ظروفا نستطيع عبرها أن نغيره بقوتنا وسلاحنا ومالنا، لكي تظل القدس لنا أو نموت شهداء في سبيلها.

خالد البحري - فنان مسرحي - اليمن

أم كروم!!

ذل السلاح أمام تحدي البشر

هل نستطيع أن نكون مثل أم كروم؟!

من أم كروم هذه...؟

أم كروم امرأة لو وقعت عليها العين أيام صباها لشهقت العين شهقة تجعل السماء تفتح في رأسك، كأنها انفتحت في ليلة القدر، هذا منديلها الأبيض يتجلى على رأسها كلون عربي يتراقص ويمتد على طول الساحل الفلسطيني، حتى أن البحر المتوسط سمي الأبيض نسبة إلى منديل أم كروم، وجبل الكرمل الأخضر سمي الأخضر نسبة إلى ثوبها، والضياء وجهها، وعيناها الشمس ونورها وشعاع القمر البدر يلمع من نواجذها، وها هي - قدماها تنغرزان في الطين - تسير في اتجاه الشمال، وكثيرا ما سافر أقاربها إلى الشمال، وها هو ذا الدم يسيل ويسير حتى غير لون تراب المرج الشمالي، وغير اسم لون البحر ذاك فصار البحر الأحمر، وهدير بحر عكا صوتها منذ سكنت عكا بجانب البحر من دون خوف أو وجل...

هل تتحدث عن فلسطين؟

لا... ولكنني أتحدث عن امرأة فلسطينية عادية، طبيعية، كانت في سالف العصر وذاك الزمان صبية من صبايا فلسطين، التي أحبت مناضلا، وتزوجا في مغارة، بعيدا عن أعين أصحاب الطرابيش، تزوجا سرا، وغنيا في صمت وفي السر، وتوالجا بالسر وبالصمت، وغادر العريس يحمل روحه على كفه، لعله يعود منتصرا.

ولم يعد طبعا.

كانت أم كروم... في نهار من نهارات فلسطين القديمة العتيقة، وقد حبلت وتوحمت وأنجبت طفلا، وهي لم تر زوجها منذ تلك الليلة، وأطلقت اسم والد زوجها على ابنها، وها هو ذا الولد في الشهر السابع من عمره، وها هي تغني لابنها أغاني ربما ترسخ في ذاكرته، حتى يكبر، وحتى يتحرر الوطن.

كانت تهدهده في ساحة الدار، وتغني له عن السيف العربي والعباءة العربية التي تتطاير على ظهور الفرسان فوق خيولهم كأنها بساط الريح... وتحكي له عن الغبار الذي يتطاير من تحت حوافر الخيول ليكون أسود في وجوه الأعداء، وليكون جحيما عليهم، وتعلمه أيضا، غدا عندما يكبر سيغدو رجلا حكيما يتعلم الحكمة من الكبار، وشجاعا يستطيع أن ينزع الحق من فم الوحش، حتى لو كان الوحش يعيش في وادي الأموات.

ها هي تغني له كأن شفاهه مثل قرص العسل، وإذ بالباب يدق، إنها ليست مثل دقات الأحباب الغياب الأياب، قالت لنفسها لا والله إنها ليست دقة الحبيب ولا دقة عدو، ولكنها كانت دقة مخيفة مرعبة جعلت القلب يزيد من ضرباته ودقاته، وانتفض الدم في سائر حنايا الجسد، كيف وصلت حتى الباب وسألت وتلقت الجواب، وعلمت أن الجزار صاحب الطربوش الطويل قد جمع شباب البلاد كلهم، ووضعهم في القطار وسيذهب بهم الآن إلى الشمال.

ومن الشمال جزر وذبح الكثير، لا بل الملايين من الأرمن، وأرسلهم من دون وطنهم إلى الجنوب.

لا تدري أم كروم كيف وصلت إلى هناك، حيث القطار سيسير الآن، وضعت منديلها الأبيض في فيها، حزمت أطراف الثوب في يدها، وانطلقت من دون وعي منها حافية القدمين، حيث كان زوجها الذي لم ير ولده هناك.. محشورا محشواً في داخل القطار مع الشباب مثل السمكة في علبة (السردين) وصلت إلى هناك ... رجال كبار، عواجيز نساء ورجال وملابسهم البيضاء، أطفال صغار، بكاء، نواح، صراخ، أصوات إطلاق نار، وكرابيج تلوح في الفضاء كأنها الأفاعي...

أم كروم، كيف اخترقت تلك الأسيجة البشرية، وأقدام الخيول تتراكض هنا وهناك، والقطار سيسير، وها هو ذا يسير؟ نادت بأعلى الصوت زوجها، والقطار يسير بطيئا... نادت بكل ما تملك من قوة الصوت الهادر، سمعها زوجها، أطل هناك من بين الرجال، أطل هناك والقطار يسير... رأته... ركضت هناك، لقد أقسمت أم كروم قائلة إنها لا تدري كيف وصلت إلى حيث زوجها، وأعطته ولده ليحضنه، ليقرأ في أذنه شيئا لتكتمل دائرة الحب والعطف والحنان، والقطار يسير ويسرع... تُمسك المرأة بقضبان عربات القطار، ضغط الشباب، أدخل الرجل مع طفله إلى الداخل، فكل يريد أن يودع أمه أو أباه أو زوجته أو ولده، والقطار يسير، والمرأة تمسك بقضبان عربة القطار الذي ازدادت سرعته، وازدادت الطلقات فوق رأسها كثافة، وزادت سرعة الخيول، وسرعة الكرابيج والخيول تتقدم وتتأخر، والمرأة ما زالت تمسك بقضبان العربة، والقطار يسير مسرعا، تعرّقت الأيدي، أبقت واحدة، جففت الأخرى، أمسكت بها، جففت الثانية، تعرقت الأولى، هكذا والقطار يسير، والأقدام العارية (الحافية) يسيل منها الدم، وإصابة هناك في القدم، وسوط على الكتف والثوب يمزق والمنديل الأبيض، هناك وحده تطاير وتهاوى على الأرض وداسته الأقدام.

والقطار يسير.. ويسير.. ويسير..

وسقطت المرأة حينما لم يبق لها إلا أن تمسك بآخر قطعة حديد في آخر ذيل العربة الأخيرة، حتى فقدت وعيها وكان الوقت.. صار ليلا، سقطت على الأرض، تدحرجت وهجعت هناك.

وراح القطار.

راح وذهب في رحم الليل الوحشي...

واختفى القطار حتى لم نعد نسمع صوته

صمت.. سكون.. هدوء..

لا شيء إلا صوت الصمت

وصوت أنفاس تلك المرأة الفاقدة الوعي هناك

ها، وماذا بعد...؟

استيقظت بعد أن مرت الليلة مثل السحاب، فوجدت المرأة نفسها وحيدة، وحدها، هي والأرض الخضراء في المرج هناك، والسماء الزرقاء الموشحة بغيوم بيضاء، ونظرت أم كروم إلينا وأكملت حكايتها وبيدها قطعة ثوب تطرز عليها رسومها وبيدها الإبرة، وهناك بجانبها خيوط بكل الألوان، خيوط بلون الليمون، خيوط بلون الزيتون، خيوط بلون الليل والنهار وبلون الدم والذهب والفضة.

أم كروم التي هاجرت إلى لبنان عام ١٩٤٨.

أم كروم التي ما زالت صامتة وهي تنظر محدقة إلى أيام الصبا، وهي الآن في الثمانين، وحفر الزمن أخاديده في وجهها.

ماذا نفعل يا أم كروم؟

ماذا حدث لتلك المرأة؟

قالت أم كروم: منذ ذلك اليوم وتلك المرأة تعمل بعزم أكيد لا يثنيها أي شيء، عن الأمل في عودة ابنها على الأقل وزوجها.

أم كروم تلك المرأة قالت تلك الحكاية عام ١٩٨٢، وتوالت الأخبار عن صبرا وشاتيلا.

وها هي أم كروم تحضر الآن في جنين...

حتى قالت إن قطارا من الدبابات داس جثث الجرحى والأحياء، وحولتهم إلى قطع، حتى لو قطعونا يا بني، فإننا سنعود بقدرة القادر، وتلتئم القطع ونعود أحياء في الجنة وفي أحشاء الأمهات، لا بد من أن تعود الروح إلى جسدها.

وكيف ذلك يا أم كروم؟

انظر إلى هذا «التطريز» إنه فلسطين، هذه ألوانها، مثلما تعملون في مسرحكم، لا تنسوا تلك الألوان ولا تنسوا ذلك الأمل، فقط إن لم تستطيعوا أن تفعلوا شيئا بالفعل لمقاومة الاحتلال بالسلاح نفسه فقط.

اذكروا فلسطين بكلمة، بصورة، بقصيدة، بحركة، بإشارة بإيماءة، بلون، بابتسامة، بدعاء.

ماذا نفعل أمام هذه الملاحم التي تسطر بالأرواح وبالدماء الفعلية، وليست خدعا مسرحية أو سينمائية أو سياسية.

هل لا بد من... من ماذا؟!

سيأتي الطفل من رحم التراب إن ماتت أمه ومات أبوه، سيأتي الطفل معجونا متكونا في ذلك التراب والدم، وسيقوى وسيكبر وسيكون فارسا.

ولكن هكذا ستعود الحكاية من جديد.

إذن لا بد من إرادة من حديد لتفل ذلك الحديد القاتل.

والفن؟!

لا بد أيضا إن لم (تكفر) بكل الفنون، ولكن ذلك أضعف الإيمان.

وما هو؟

قصيدة أو حكاية أو قصة أو رواية أو مسرحية ولوحة، وليكن العنوان هناك عربي فلسطيني حدث له.

ماذا حدث؟

أعملوا الخيال الفني

أعملوا الخيال

وليولده ذلك الأمل الذي لا يزال منذ كانت فلسطين...

منذ كان ذلك الأمل العربي

بأن تكون الأرض العربية

كما يجب أن تكون... أنتم أيها الفنانون...

وأنتم تحترقون في الشمس هناك

اجلسوا... علي حافة الشمس وتحدثوا عما تشاهدون هناك...

فلتكن أقدامكم في النهر المقدس، ورؤوسكم في السماء السابعة، ولتكن أصابع كف يدكم اليمنى تغازل مياه بحر تطوان، ولتكن أصابع كف يدكم اليسرى سعف نخل الخليج، وها هو الظهر ضوء بالشمال العربي، موجه إلى حيث ذلك الجنوب العربي، والعين مكحولة، بعيون أم كروم.

أم كروم ها هي تطرز راية الحرية العربية بألوانها المعجونة والمنسولة، ومن بين فتافيت العظم، تشكل إكليل الغار والانتصار ◆

خالد الطريفي - الأردن

ARCHIVE
http://Archivebeta.sakhrit.com

المسألة تخصك

لا شك في أن انتفاضة الشعب الفلسطيني الشجاعة ظاهرة رائعة ومؤثرة في كل العالم العربي، لأنها انتفاضة إستراتيجية تدعو كل الشرفاء في العالم إلى اليقظة والانتباه.

هي انتفاضة لها مضمونها السياسي والنضالي والثقافي والحضاري، إنها كلمة «لا» في وجه من قالوا «نعم»، كلمة لا مجسدة وفاعلة ومدوية في ظل الذل والحصار والاستعمار والاستعلاء والتبعية. وقد كان لهذه الانتفاضة البطلة أثرها الكبير في كل شعوب العالم حتى الشعب الأمريكي نفسه، بعد أن رأينا المظاهرات تجتاح العالم تطالب بالسلام، ووقف هذه المجازر البربرية الوحشية.

وأعتقد أن صدى وتأثير تلك الانتفاضة سيمتد ليشمل جميع أنواع الفنون، وستكون أشبه بالدوائر التي تتسع كلما ألقيت حجرا في الماء، وقد وصل صداها بالفعل إلى مجال الموسيقى والغناء والمسرح، وستصل حتما إلى السينما والتلفزيون، وإلى الدراسات الاجتماعية والسياسية في الجامعات ومراكز الأبحاث.

وقد شاهدنا بعض هذه الآثار الفنية أو الأصداء في المجال الفني، وننتظر مزيدا منها، فيسجل المسرح والسينما والتلفزيون حتما هذا الحدث العربي الكبير والإنساني الشامل في الفن.

وأتذكر الآن آخر أعمالي المسرحية وهي «ثورة الحجارة»، ونشرت منذ عدة شهور في القاهرة، وقام الفنان سعد أردش بإخراجها وقدمها شباب مسرح الإسكندرية القومي، بعد أن ضم إليها مشاهد من مسرحياتي السابقة مثل «النار والزيتون»، وهي مشاهد تسجيلية للانتفاضة بكافة أشكالها السياسية والإنسانية، وهي تنتمي إلى المسرح السياسي، وقد كتبتها بالأسلوب الحداثي نفسه الذي كتبت به «النار والزيتون»، و«عودة الأرض».

أدعو من خلال «ثورة الحجارة» جميع الشعوب العربية للمشاركة في فعل أي شيء من أجل مساندة القضية الفلسطينية، وأنهيها بأغنية تقول: «المسألة تخصك وتخص جميع الناس».

وأرى أن دور المبدع في هذه المرحلة هو رصد وتسجيل تلك الأحداث المأساوية في ذاكرته فور انفعاله بها، ويعود إليها ليكتب رأية فنيا فيما يحدث الآن.

صحيح أن الفن لا يستطيع أن يغير الواقع المأساوي، لكنه يدعو إلى التغيير ويجيش العواطف لحثها على الفعل والمقاومة، هذه المقاومة التي تشد أزر المناضلين وضحايا العدوان، لذلك أطالب بترجمة كل الأعمال الفنية التي تدور حول القضية الفلسطينية وأن تعرض في جميع أنحاء العالم، لأننا للأسف الشديد نُكلم أنفسنا، فنريد الآن الخروج إلى جميع أنحاء العالم بفننا لنعرض عليهم قضيتنا وهي قضية عادلة، وهذا أسلوب حضاري يفهمه الغرب، وأتصور أن هذا هو دور الفضائيات العربية، فهل يقومون به أم نظل -كما نحن- كسالى وعجزة عن إيصال صوتنا إلى جميع أنحاء العالم؟!

ألفريد فرج - مصر

نداء استغاثة!

شهداء، حصار، نداء استغاثة... نداء استغاثة... «النصرة منك يا الله»... وتقفز في اتجاه السماء... تحاول أن تقترب أكثر من القريب.

شهداء... مداهمات واعتقالات... شهداء... حصار حبيس، نداء استغاثة... شهداء... أطفال... حصار... لجنة تقصي الحقائق!

نداء استغاثة... الشارع العربي...

وبدأت الألفية الثالثة...

أفغانستان، فلسطين، محور الشر...

وبدأنا نرى في أفغانستان مباني، وأسواقا، دور سينما، وقاعات فارهة للاجتماعات...! هل ظهرت هذه المعالم فجأة، هذه الأيام، أم أنها كانت مستترة هناك؟!... نداء استغاثة

من المؤكد أن هذا مجرد هذيان...

هل يعقل أن يكون لدى الفلسطينيين كلّ هذه الأرواح القابلة للإزهاق... هل يملكون حقّا كلّ هذا الكمّ من الأشلاء؟؟

ها هم الرهبان يخرجون من الباب العتيق يحملون جثة رفيق، رفيق جوع وعطش، لم يتسن له أن يهضم العشاء الأخير، فقد كان العشاء سريا هذه المرة أيضا، وكان يهوذا ينتظر الجثمان أمام الباب، طلب من الرهبان أن يرفعوا قميص الشهيد من بعيد... ربما كان هناك حزام!!.

... لم يكن مهدا... كان مذودا بلا طعام
فهيا أيتها الراهبة العذراء
هزي إليك حبل الناقوس
ودعي الأجساد تأكل رصاصا صليا
نصلي على الأرواح... وعلى الروح
لم يسمع أحد قرع الأجراس
أحد لم يسمع قرع الأجراس؟!
دقوا جدران الخزان
أحد لا يسمع
قرعوا الأجراس
أحد لم يسمع!!!
نداء استغاثة... «النصرة منك يا الله»... وتحاول أن تقترب أكثر...

«مجرد هذيان»

انتحاريون، شهداء، إرهابيون...

شهداء، انتحاريون، إرهابيون... شيخ يفتي هنا، وأمّ تبكي فخورة بموت ولدها هناك، ومعتوه بقوّة الحضارة، قال هو أيضا في الشهادة فتواه، يتقيأ في وجه الكون الاتهامات... هنا وهناك.

والشارع يسير...
الشارع العربي... المارد العربي
«المارد العربي... وصفوه في كل مكان»
كنا نحفظها، ونُغنّيها علنا.. عن ظهر قلب

«مجرد هذيان»

نجا من محاولتي اغتيال بصواريخ الليزر... كالصقر كان أسمر.. كان أمينا يحفظ السرّ / الميثاق الذي قرّروا إلغاءه

كان يحفظه سرا، وعن ظهر قلب...
اقتادوه مقيدا كان مذهولا... كالصقر كان أسمر
كان أسمر

«مجرد هذيان»

كل شيء يمشي كالمعتاد... يجري كالمعتاد... نظرتُ من النافذة، كان الزامور عاليا ومتواصلا... صفارة رجل المرور تناغمت مع صوت الزامور... الشرطي يصرخ منفعلا، محتدا، وصارما: هيّا لا تعطّل المرور.

ويمشي الشارع كالمعتاد
يجري كالمعتاد... الشارع العربي
«المارد العربي»
سنُغنّيها حتما... وعن ظهر قلب...
نداء استغاثة... نداء استغاثة!!

«مجرد هذيان»

ملاحظة: سيأتي يوم نسمع فيه عبارة «نداء استغاثة» بالعبرية
وسوف نرفض استقبال لجان تقصي الحقائق

نادر عمران - الأردن

المسرحيون خط مواجهة كبير

أولا في ظني كمسرحي، أن المسرحيين، وفي تاريخهم الطويل، كانوا في طليعة الفكر، وكونهم طليعة الفكر المثقف، كانوا هم المبادرين إلى اقتراحات مشابهة للانتفاضة، بمعنى المبادرات الشعبية الفكرية التي تنتهي إلى إقلاق العدو وخلق بلبلة داخلية في إمكان السيطرة عليه، والانتفاضة تاريخيا في العالم العربي ليست عملا جديدا، فمنذ أيام الاستعمار كان العرب، يقومون بانتفاضات في كل بلد مستعمر، وكانت هذه التحركات تؤذي المستعمر أكثر مما تؤذيه الأسلحة الفتاكة، لأنه كان يستطيع السيطرة على الأسلحة، لكن في حالة المواجهات الشعبية يجد العدو أيا كان مستعمرا أو يهوديا أو صهيونيا، يجد صعوبة في احتواء الوضع، ويجد أنه أمام رأي عام عالمي إزاء قمع هذه التحركات المطالبة بحقوق شرعية للناس مباشرة. وأنا منذ بداية أعمالي، وربما أول عمل مسرحي لي وهو «السنين العجاف» كان يتحدث عن القضية العربية بشكل عام، وقضيتنا الأساسية بشكل خاص، وأعتقد أيضا وخلال السنوات الماضية، أن مسرحياتي التي منها «حلم الهمداني» و«الأرشيف» عبرت عن هذه القضية ودخلت في السياق مباشرة، ولكنها لم تعرض أناسا يحملون الحجارة ويقذفون العدو، ولكنها كانت تدخل في سياق الكفاح الوطني وأهميته وقضايا الشرعية الوطنية في طرد المحتل، وهذه حقيقة ما كان موجودا أيام الحقبة اللبنانية وغيرها.

في ظني أن المسرحيين جميعا، سعوديين وغيرهم، عملوا الكثير في مسألة تحريض الانتفاضة منذ بداياتها في الثمانينيات، لتكون هي خط المواجهة الأول. وربما يرى البعض في ذلك أنه كيف نقذف بالأولاد الصغار إلى ساحة المعركة، وسمعت آراء مضللة من هذا النوع، أعتقد أن هذا غير صحيح لأن مثل هذه الآراء تأتي من العدو، أما الحقيقة أن كل مواطن، صغيرا كان أو كبيرا في أي بلد محتل، يجثم العدو على أكتافه ويقتل نماذجه الجيدة، هذا البلد يجب أن يكافح بكل موارده، صغارا أو كبارا شيوخا ونساء. والقضية الآن هي قضية حرب أيديولوجية، المسلمون تعودوا أن يتعايشوا مع كل الديانات بسلام، أما اليهود أو الصهاينة من اليهود، فيبدو أنه يصعب عليهم التعايش مع الديانات الأخرى، لذلك نجد أن هذه المواجهة القاسية، لكل أنواع الانتفاضة حتى للمسيحيين، ولذلك فإن مواجهة اليهود لا تعتبر إرهابا إسلاميا، كما يصفها الأمريكان، أو كما تصفها إسرائيل، يجب أن نعرف أنها مطالبة بحقوق وطنية، وأن المسلمين كانوا، عبر تاريخهم، متعايشين مع اليهود ومع النصارى، إلى أن جاء الصهاينة الذين حاولوا أن يخترقوا هذا التعايش. والمسرحيون في رأيي هم خط مواجهة كبير، وما زالوا هم أصحاب الكلمة في التلفزيون، وهم أصحاب الكلمة في كل مكان في مواجهة الاحتلال.

محمد العثيم - السعودية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تاريخيا، ومنذ قرن ويضع سنوات، ومن دون عناء الاجتهادات، نجد أنفسنا أمام اصطدام المشروع العربي في التحرر والنهضة، مع المشروع الصهيوني الذي أخذ على عاتقه إنشاء دولة إسرائيل.

هذا الاقتضاب المكثف، يدفعنا إلى النظر في طبيعة وعناصر كل من المشروعين اللذين توازيا في النمو زمنيا، من دون أن يكون لهما الحظ نفسه من القوة والصحة والعمل والعناية، مما يساعد على فهم وصول كل منهما إلى ما نشهده اليوم.

د. أحمد معلا - سوريا

الفن والانتفاضة
أسئلة العلاقة بين الفن والحدث

فمع بداية قرن جديد، ترانا، نحن العرب، نتلمس حضورنا تلمسا في كل شيء، ونجهد لإيقاف مشروعنا. المتهاوي. على قدميه، باسم التضامن تارة، والمصير المشترك تارة أخرى، باسم الكرامة مرة، وباسم مقاومة الاندثار والانقراض مرة أخرى... وعلى مقربة منا بل في قلب الوطن العربي، أنجز المشروع الصهيوني كيانا لا يتمكن أحد من إيقافه عن ممارسة أقسى أنواع الوحشية والصلف، مانعا العالم حتى من إمكان تشكيل لجنة لعد الجثث، بعد المذابح التي ارتكبها في جنين، وإلا فماذا يعني تقصي الحقائق في المسلخ؟!

إنه كيان يمتلك أسلحة دمار شامل، ودولة ينعم رعاياها بالحرية والاهتمام من خلال مؤسسات ديموقراطية، أوجدوها لخدمة أفراد الشعب اليهودي المجمع من كل حدب وصوب.

سقت هذه العجالة، لتقديم سريع، يسعف في تفهم وفهم التردي الذي حققناه وأنجزناه في جميع المجالات وعلى كل الصعد. ما يخصني في هذا المقام هو الفنون الجميلة التي تناولناها كعضو في جسد الثقافة العربية، لكن الاهتمام بها لم يرق في أحسن الأحوال إلى أكثر من الإشارة إلى الوجود، مثلها في ذلك مثل العديد من الأشياء التي لم تعد تستحق اسمها، كالولاعة التي نفد وقودها ولا تزال تنعت بالولاعة!

إنها نتيجة للعلاقة الإيجابية مع النموذج الغربي حضاريا، لكنها ليست نتيجة للوعي العميق والنوعي الذي يدفع إلى الإحساس بالحاجة الماسة إليها، كجزء حيوي من النشاط الثقافي الخلاق الذي يعمل على إعداد شخصية عربية حضارية جديدة. هذا مع الاعتراف بوجود تنظيرات تربوية وثقافية ودراسات بيّنت أهمية الفنون الجميلة منذ الخمسينيات والستينيات.

أما في هذا المقام، فإنني أسعى إلى تناول موضوع الانتفاضة: المقاومة والفن.

لم يرقَ الخطابان النقدي والتنظيري في مجال الفنون الجميلة إلى أبعد من صورة مستنسخة، عن الإنشاء الذي ساد الخطاب السياسي العربي عموما، خاصة في معرض الإجابة عن الطرح القائل: «كل شيء في خدمة المعركة»، فكان هذا الخطاب صدى للتصورات الأولى عن طبيعة الصراع بين الأمة العربية والعدو الصهيوني.

لقد أنيط بالفنون دور وسيلة الإيضاح في مستواها الابتدائي، وشجا من يكتب حول هذا الدور بطروحات تكاد تأخذ شكل صك البراءة أو حسن السلوك، معلنا سلامة الانتماء القومي الصادق للفنانين العرب، ونقاء طويتهم تجاه ما يلم بأمتهم من مصائر. وعليه ينال الاستحسان، كما نلاحظ، رسامو المشاهد المتعلقة بخيبتنا، الذين كان لتناولهم مشاهد النزوح وغيرها صدى طيب لدى العاملين في مجال الفنون والنقد والسياسة ؛ وكأن طرح الموضوع يمنح طارحه قيمة إضافية من دون أن نلتفت إلى كيفية تناوله موضوعه ؛ ولا إلى أي مستوى فكري ارتقى بتبنيه موقفه.

ولقد استفاد العديد من العاملين في الحقل التشكيلي من الاكتفاء بتسمية اللوحة اسما يدغدغ مشاعر، تستجيب لالتزامات أيديولوجية حتى من دون أن يكون لهذه التسمية ما يوازيها على المستوى التشكيلي، من حيث العلاقات بين الأسلوبية والمرحلة الزمنية، بين الألوان والأشكال، بين الأدوات وخصوصياتها، المفردات وطرائق تركيبها... وصولا إلى المساحة والحجم، محققين بذلك الرضا والحبور، لامعين ملمعين.

السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل يمكن لأدوات الفن أن تكون أدوات للمقاومة؟ والجواب سيكون نعم، مع التحفظ حول أهمية النتائج، فلا بد من أن الإنسان قادر على تطويع هذه الأدوات وتكييفها بما يتناسب والشروط التي تمليها إرادته عليها.

أما التحفظ حول أهمية النتائج فإنه يصدر عن طبيعة الفنان: فالفنان يتحرك ويتطور ويتفاعل بدافع الاهتمام والاكتراث، كجزء من نشاط ثقافي معرفي، وليس بدافع الواجب الوظيفي، وهذا ما يفرقه عمن يرسم أو يلون أو ينتج صورا من دون أن يكون فنانا.

لا أحد يملي العالم على الفنان، وهو لا يحتاج إلى من يعرفه إياه، وإلى من يشي به إليه. الفنان يعرف العالم معرفة ذاتية خاصة، يحياه ويتحمله بعنائه الذاتي وبمغامراته الشخصية، ومن ثم يقوم بتقديمه إلينا.

لا أعرف إن كان يحق لي أن أقول: شعريا، إنه يعود إلينا مبللا بمياه من ضوء.

من ذا الذي يسمح لنفسه أن يقول: لا يسمع الفنانون استنجاد أطفال جنين، أو فلسطين كلها، أو أنهم يديرون ظهورهم لآلام أهليهم؟ هل هي الرغبة في التشكيك بدور الفنان اجتماعيا وبانتمائه والتزامه؟!

علينا التفريق بين النشاطات المختلفة في المقاومة، والعمل على وعي الشروط النوعية لفعل المقاومة.

هل نذهب جميعا إلى أرض المعركة؟

إن الدور الملقى على عاتق الفنان هو العمل على الابتكار والخلق والإبداع، وتأصيل هذه النزعة في مجتمعه لتحقيق تفوق حضاري قادر على المقاومة، بل وقادر على الانتصار.

عموما، تغلب على العمل الثقافي العربي النمطية والمحافظة، ويشغل الكثير من المواقع الإدارية، شخصيات محافظة تعادي الابتكار وتركن إلى المعروف الجاهز، مما يحفظ لها مواقعها ولا يعرضها للهزات، فمن يعمل فلا بد من أن يخطئ، أما من لا يعمل فلا يخطئ. ولهذا فإن الكثيرين من الناس والمثقفين أيضا لا يتقنون مشاهدة عمل فني تشكيلي مبتكر، ولا يتحملون إبداعيته، بل ينفرون من صورة خلقه غير الاعتيادية: إنهم لا يتحملون الجديد ولا تربطهم به ارتباطات بنيوية.

وتساهم وسائل الإعلام العربية في الإساءة إلى الفنون التشكيلية عن قصد وعن غير قصد ؛ فها هو فنان عربي معروف بأدواره الهزلية، كان يستمتع منذ عشرين عاما بالإساءة إلى الميراث التشكيلي وإبداعاته، مجالسا حماره الذي يبل ذيله بالألوان ويرسم، يغدو مديرا لندوة متلفزة عن أهمية الفنون التشكيلية، وعلى شاشة واحدة من أهم الفضائيات العربية، ولمدة ساعة مع ضيوف على مزاجه، وباسم الرغبة في الترفيه والإضحاك ورفع الحزن عن شعوب الأمة العربية المسكينة. من جهة أخرى نجد أن المشاهد العربي عموما لا يتقبل اللوحة كمنجز فني، وإنما كأداة تحد، فهو غالبا ما يعلن أنه مستعد لرسم ما هو أفضل منها، وربما ادعى أن ابنه يرسم أفضل من الفنان أحيانا. وهناك من كتبة الزوايا المتعلقة بالفنون من لا يعرف الفرق بين فاتح ومدرس على سبيل المثال.

أما الذين يمتلكون إمكانية اقتناء الأعمال الفنية، ممن زاروا الغرب أو تعرفوا عليه، أو عرفوه من خلال دراستهم أو اتصالهم بوسائل الإعلام؛ فإنهم يتبنون في غالبيتهم الميراث الاستشراقي كمرجع رئيس. وتقوم الرسوم والصور الاستشراقية بدور المسطرة التي تتطابق على نسيجها الاستساغات الجمالية للذائقة العربية عموما، مما يمنحها القبول للاستخدام كلوحة على جدار البيت أو غلاف لكتاب أو غلاف مجلة ترافقها قصيدة.

إن النفس المقاوم والطليعي، يشكل أساسا عضويا لروح الفنان في علاقته مع المعروف والسائد، لكونه خلاقا بطبيعته، وأنا أميز هنا بين الفنان من جهة والعالم في حقل الفن من جهة أخرى. إذ إن هناك من هم أشد محافظة وانغلاقا من طين ماء آسن ويعملون في الرسم والتصوير، بل في تدريس الفنون، وحتما في إدارة مراكز للفنون... لكنني لا أتحدث عن هؤلاء.

للمقاومة الحق في استخدام الفن، أدواته ووسائله، والحصافة والذكاء هما في حسن استعماله، كما استعملت الكنيسة والنازية والاشتراكية الفنون.

على مسؤولي المقاومة ومنظريها الحذر من المواهب الوضيعة التي تستخدم المقاومة وسيلة إلى امتطاء كرسي أو تحقيق شهرة. لا يمكن للفن أن يحطم الدبابات الإسرائيلية، ولن تنفع ثورية غنائية هذا أو عنفوان تعبيرية ذاك في تذويب فولاذ الدبابة، أو مسح دموع أم تبكي فقيدها العزيز.

في المقابل يمكن العمل في مجالات الفنون البصرية المتنوعة من ملصقات وإعلانات واتجاهات فنية حديثة كالهابينينج والبوب آرت، واستخدام الإنترنت والوسائل الإلكترونية، أو ما يجترحه الفنانون من ابتكارات.

لقد كان لحجم الحدث «الجريمة الإسرائيلية» وقع هائل جعل الدهشة تسيطر على الجميع، ونقل العمل إلى مجالات الاتصال البصري في الجرافيك والتصميم لتحقيق أعمال ثابتة أو متحركة، تمكن الفنانون من نشرها بسهولة عبر الإنترنت أو طباعتها وتوزيعها في المظاهرات، التي دعت إلى دعم الانتفاضة وقضية شعبنا الفلسطيني العادلة، وكذا إلى مقاطعة البضائع الأمريكية. على المستوى الميداني، تبرعت مجموعة من الفنانين بلوحات بيعت في مزاد علني جمعت إثره مبالغ مالية قُدمت إلى أهلنا في الأرض المحتلة دعما للانتفاضة...

إن المطلوب هو البحث عن دور فعال وحقيقي، اجتماعيا وثقافيا، يعيد إلى الفنانين المبدعين مكانتهم المرموقة وأدوارهم الطليعية التي نحتاج إليها أكثر من أي يوم مضى. وتشجيع الذهنية الابتكارية هو مطلب معرفي نحتاج إليه في معركتنا الحضارية، ولا بد من أن دور الفنون الرئيسي هو في قدرتها على تنمية وتنشيط الذهنية الإبداعية في المجتمع العربي المعاصر، والمساعدة على خلق التيار المناهض لسيطرة السائد المجوج... إن الواجب الملقى على عاتق المبدعين اليوم هو الحضور والمشاركة، لأنهم بهذا يعلنون انتماءهم إلى الحياة، وإلينا جميعا، وإلى قضيتهم العادلة ببعدها الإنساني، ويمنحون المقاومة نفسا، جذوة، تدفع إلى عدم الاستسلام،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إذ على العكس من ذلك نجد أن استملاح واستحسان السهل هو في حد ذاته إعراب عن موت روح المقاومة.

إن ذهنية تدبير الأمور، واستسهال المهمة لتعد من المنجزات التي ساهمت عميقا في صناعة التردي الذي نعيشه.

الحروفيون في غالبيتهم استسلموا لسهولة إتيان الحروفية من خلال تكرار الحروف والكلمات بوازع أو بغيره، محققين أعمالا ترضي بعض المتزمتين، كما يشتهي البعض أن يظن، وتجعل منهم فنانين عربا لهم هويتهم الخاصة من دون عناء ولا مواربة... فمن أين للبرازيليين أن يكتبوا لوحات بالعربية، وبقدرة قادر يكفي أن يكتب الحروفي الفطين مفردات تلعن إسرائيل بألوان ما ليظن نفسه مبدعا ليس للوحة بل لتيار تشكيلي مقاوم؟!

لقد كسبت الانتفاضة، عندما استخدمت الحجارة سلاحا، تعاطف الكثيرين في العالم. إلا أنها مع انتقال هذا الشكل من المقاومة إلى استخدام المتفجرات في العمليات الاستشهادية، وتصعيد الفعل المقاوم إلى أقصاه، عرضت مكاسبها إلى تشويهات للشخصية الحضارية العربية والإسلامية، التي وصمت بالإفلاس وعدم القدرة على اجتراح أشكال للمقاومة سوى الاستسلام لليأس من خلال فعل انتحاري. خصوصا بعد ١١ سبتمبر وظهور طروحات بن لادن.

ولعبت التناقضات الفكرية العميقة بين الثقافتين الشرقية والغربية دورا مساعدا في تعميق الشرخ بين الثقافتين.

إن مفهوم الغد الأفضل من الماضي لا يشكل جزءا من أطروحتنا الذهنية والروحية بل العكس من ذلك، فنحن في شوق إلى ماض نرى فيه بديلا عن حاضر خانق ومستقبل غامض.

الزمن بالنسبة إلينا دائري، وليس سهما ينطلق على شكل خط، والإنسان عبد. في حين يرى الغرب المستقبل أفضل من الماضي ويرى الزمن خطا ينتقل الإنسان فيه من طور إلى طور أفضل، ويؤمن بأن الإنسان سيد الطبيعة. هذه الخلافات العميقة تجعل من حجم الانسدادات أكبر وأضخم. مما يحدو كثيرين، ممن تعاطفوا مع نضالات شعبنا الفلسطيني ضد الصهاينة من غربيين، أن يراجعوا قبول العملية الاستشهادية كتفوق على الذات في أقصى حالاته Performance، بل يرون فيه إفلاسا للذهنية العربية المقاومة. فكيف نتبناها نحن؟ وكيف ندافع عن ضرورتها؟

وكيف نمتلك الذهنية الابتكارية الخلاقة التي ستساعدنا في إنتاج البديل في مثل هذه الظروف؟

علينا الحذر من هؤلاء الذين يقودوننا إلى الخلف باسم الانتفاضة والمقاومة، يقودوننا إلى التعبيرات الأكثر رجعية باسم النضال والالتزام، ويشوهون مؤسساتنا باسم الانتماء إلى الأحزاب القائدة، غير عابئين بشرف أو كرامة، لا يرون ولا يعملون إلا من خلال مصالحهم الأنانية والذاتية، رابطين مقدرات الناس بأمزجتهم.

العمليات الحسابية البسيطة أو الرياضية المعقدة هناك أو هنا، على هذا الخط من الجبهة أو ذاك، لن تختلف مهما كان القوام الأخلاقي للأطراف المتنازعة، أما إتقان الرياضيات واستغلالها استغلالا إيجابيا في مجتمع ما فهو ضرورة حضارية، وكذا الفنون.

علينا أن نعرف أن روح المقاومة هي التي تحرك فينا مقاومة الوصفات الجاهزة، والتعريفات التي يستسلم لها الكثيرون. لا يمكن لنا أن نكون في المقدمة والمؤخرة معا.

تحية لدم شهدائنا.

كل من قضى بأيدي الصهاينة شهيد

■ الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب والقضية العربية:

«ويعد إنشاء الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب أقيم في دمشق عام ١٩٧٢ المهرجان العربي الأول، وكان موضوعه الفن القومي التشكيلي، ورافق المهرجان معرض تضمن أعمال الفنانين العرب وموضوعها «قضية فلسطين: النزوح وحرب التحرير والصمود والعدوان، وثمة موضوعات تمثل تعاون الإمبريالية والعنصرية وكل عدوان. ونقتطف من المقدمة التي وضعناها للكتاب الذي ظهر بهذه المناسبة الفقرات التالية: (لعب الفن التشكيلي العربي دورا مهما في معركة مجابهة العدوان وفي الصمود والتعبئة، وتجمعت أعمال الفنانين في القطر العربي السوري في المعارض التي أقيمت تحت هذه الشعارات منذ عام ١٩٦٦، معبرة عن موقف الفنانين التشكيليين إزاء الأحداث وعن ارتباطهم القومي الصادق).

ولقد أشاد النقاد الفنيون بهذه الأعمال التي عكست، تشكيليا وفنيا، مواقف الجماهير الصامدة، وعبرت بالتمثال أو الصورة عما يجيش في صدرها من ألم أو طموح. إن أول ما يجابه المطلع على أعمال الفنانين العرب الذين اشتركوا في هذا المعرض، هو وحدة العواطف والمواقف وتوارد الأخيلة والمشاهد. فقد خيل إلينا، أمام وضوح هذه الوحدة، أن هذا المعرض كان يحمل مواضيع محددة فرضت مسبقا على العارضين، ومن المؤكد أن الأمر لم يكن كذلك أبدا، فلقد تجمعت لوحات وتماثيل تحمل تواريخ متفرقة مرتبطة بصورة تلقائية بالأحداث التي مرت بها القضية العربية.

ونستطيع هنا، على هذا الأساس، وضع عناوين فرعية للمواضيع المشتركة التي قدمها الفنانون العرب في هذا المعرض، يرجع الفنانون العارضون في أعمالهم إلى بدايات المحنة في فلسطين، فنرى من خلال بعض اللوحات والتماثيل مشاهد النزوح عن الوطن، مشاهد مخيمات اللجوء، مشاهد الأنقاض والأطلال، كما نرى مشاهد التشرد وموت الأبرياء وحياة الضائعين والبائسين الذين أمضهم الشعور بالخيبة والعار».

■ يقول التشكيلي السوري، أستاذ علم الجمال وتاريخ الفن وصاحب مجموعة من الكتب في استهلاله المكثف والدقيق لكتابه المطبوع طباعة فاخرة، والمؤلف من ثلاثمائة صفحة على ورق ثمين يقول: «حتى أدافع عن الوطن.. يجب أن أحبه، وحتى أبرهن على هذا الحب.. لا بد من أن أرسم أجمل ما في الوطن.. رسمت لوحات كثيرة ولم أرسم اللوحة التي أريدها بعد، وهذا على سبيل المثال نموذج لواحد من محبي الوطن، الذي تنتظر الجماهير العربية اللوحة التي يريدها.

■ الفنانون الذين تبرعوا بلوحاتهم هم: أسعد عرابي. أحمد معلا. نزار صابور. حمود شنتوت. مصطفى علي. أكثم عبدالحميد. شلبية إبراهيم. عبدالله السعيد. محمد وهيبي. زكي سلام. عبدالحميد عبدالله. عبدالسلام عبدالله. إدوار شهدا. عروبة ديب. بسام كوسا. وليد قارصلي. لبيب رسلان. جبر علوان. نزير إسماعيل. زهير حسيب

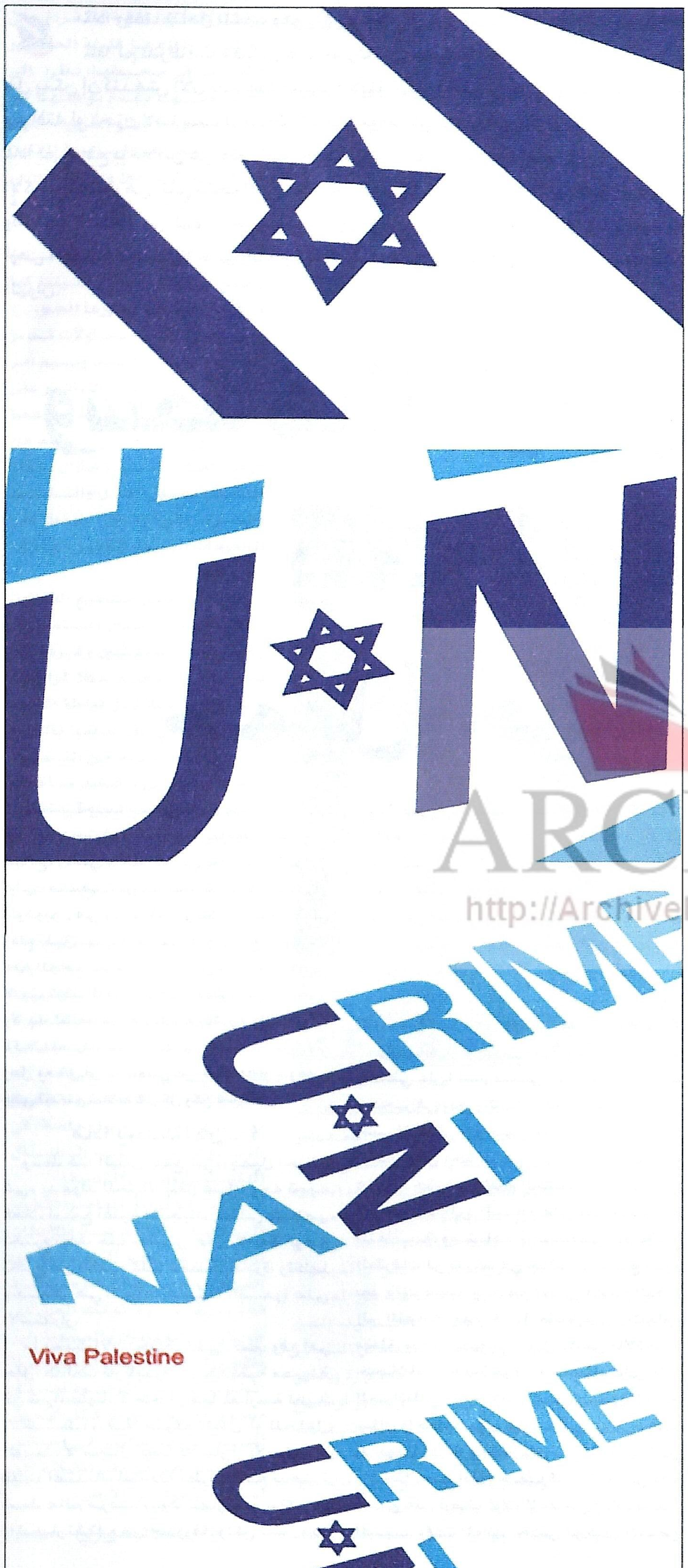

Viva Palestine

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

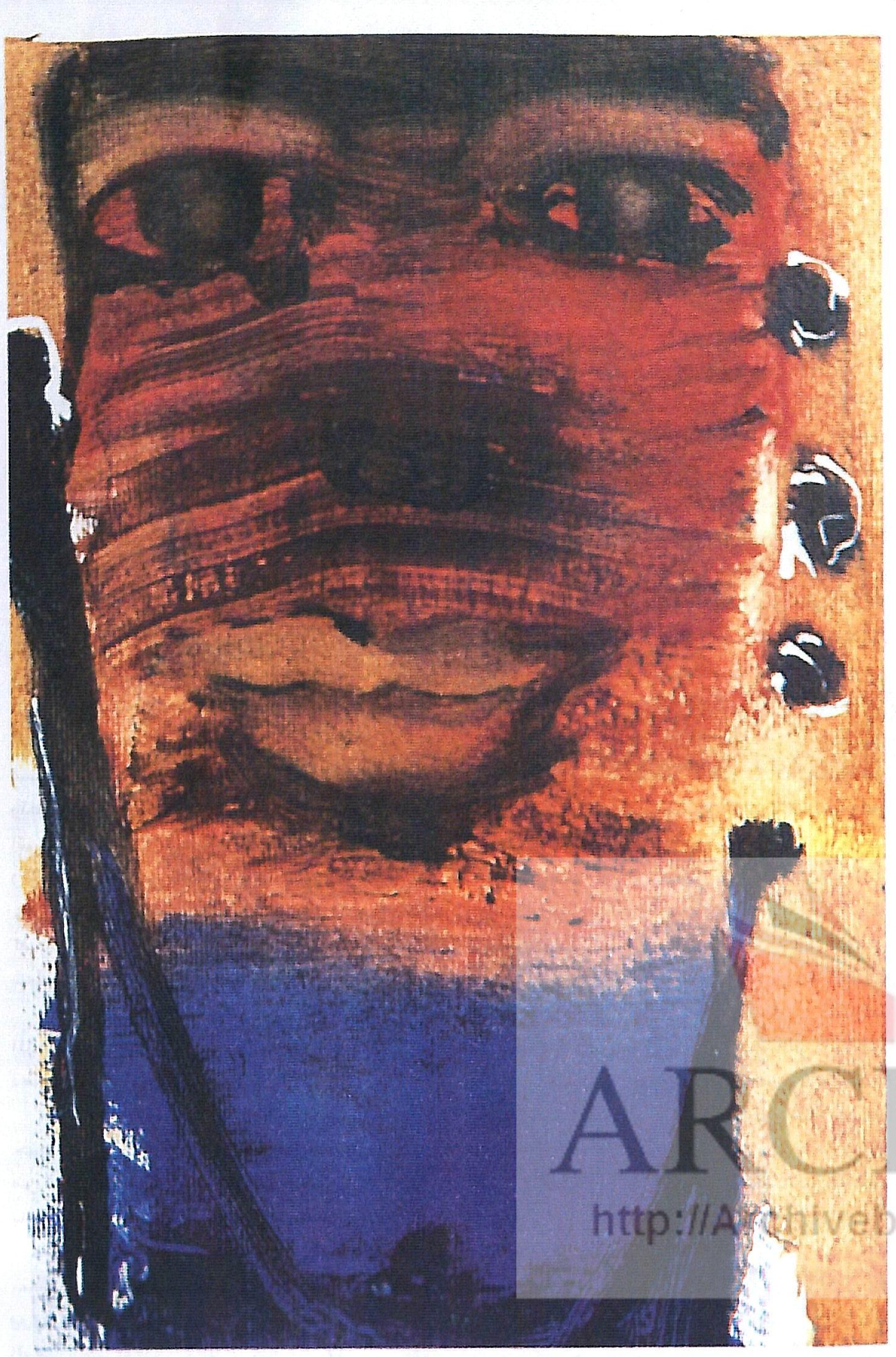

لماذا وقفنا نتأمل المشهد وهو يزداد سوادا كل يوم من دون أي مقاومة حقيقية؟

لماذا لم ندرك أننا مقبلون على كوارث كبرى بسكوتنا هذا؟

هل يمكن أن نندهش الآن بعد هذا العمر؟ لأننا أضعنا أنفسنا جبنا وكسلا وعدمية وتهافتا، أو نحزن لأننا سنترك بلادنا لأبنائنا موقعا كريها للكذب والامتهان؟

لماذا لم ندافع بإخلاص عن قيم لا يمكن إهدارها: الموهبة، الصدق، الحرية...؟

الأكاذيب فقط هي التي تتحرك برشاقة وتتجسد في الحال، بينما تتساقط الحقائق وتتطاير الأحلام في الهواء، عمر بأكمله بين الأكاذيب. عمر بأكمله قالوا لنا دائما إنه أزهى العصور، فانتظرنا حتى رأينا جثث الفقراء وهي تتفحم في القطارات في محرقة الهوان.

وسط هذا اليأس يلمع شيء جميل أحيانا

يفقد نجيب سرور عقله، ويموت جمال حمدان محترقا وحيدا وحزينا، وتنتحر أروى صالح، وتلقي سعاد حسني بجسدها لتموت على رصيف غريب، ويسقط الأصدقاء الموهوبون في زهرة العمر بلا صوت أو حتى وداع يليق بهم. ويكتئب الجميع. ومع كل هذا الوجع علينا أن نصفق لحكامنا لأنهم لا يتركوننا للضياع، فمن دونهم لن نتنفس، ولا بد لذلك من فدائهم بالروح والدم، وإلا فكيف يسرقوننا وينتهكون كرامتنا كل يوم، وهل يعقل أن نستغني عن مشاهد وجوههم وهي تبتسم ببلادة في كل ركن من بلادنا؟

ماذا يحدث الآن...؟

وسط هذا اليأس يلمع شيء جميل أحيانا، شيء يدعوك للحياة، يطل عليك وجه تحبه فعلا، تسمع أغنية تشجيك، تلتقي بشخص تحترم نبله، حب حقيقي، فكرة لامعة، لوحة تخرج من القلب، كلها لحظات عابرة، ولكنها وحدها هي التي منحتنا القدرة على الاستمرار.

ما يحدث الآن يختلف كثيرا، نعم، وقع أمر جلل، اندلعت نار كبيرة، نار حقيقية مضيئة في شراستها، لا مجال هنا لممارسة لعبة الاختفاء، فلا موقع للظل، أو للحلول الوسط، لا مجال أيضا للإنكار أو الاستمرار فيما اعتدناه، تطاردنا نظرات تلمع بدهشة وسط عالم مرعب، بيوت تنهار أمام ساكنيها وأشجار تقتلع من جذورها، ولكن ليس هذا هو الموضوع فقد اعتدنا التعايش مع الكارثة.

الأمر الجديد هذه المرة أن هناك من قرر قبل اكتمال الحلقة، ألا يرضخ لشروط اللعبة، هناك من قرر أن يموت، الذين يموتون دفاعا عن حقوقهم لا يتصالحون، الرافضون حتى الموت هم المعلم الوحيد الآن، لست في جيش محمد ولا جيش يسوع، ولا أي جيش آخر، ولا أريد أن أقطع الطريق بسرعة إلى الجنة، ولكنني في الوقت نفسه أريد أن أتحالف مع بعد جميل في الحياة نفسها. ما يضعني عاريا أمام ضعفي هو الطفل الممسك بحجر في يده، والشاب المحتفظ بسلاحه حتى الموت في مواجهة آلة يستحيل صدها، القدرة على اختيار هذا الموت النبيل، أشعلت عاطفة حقيقية، إنهم الجانب غير العقلاني الوحيد، الرد القادر على قلب المعادلة المنطقية، ومشاهد أجسادهم ملقاة في الطرقات لن تتركنا في حالنا، سيصبح النوم بعد ذلك صعبا جدا، هم الذين حاولوا الدفاع إلى النهاية، إنهم خيال طليق يهزم المنطق، منطق سحق الضعيف، فهل نكتفي بالانحناء خجلا أمام قدرة هؤلاء البسطاء على قلب الخرائط والأولويات، أم أنهم يضعوننا أمام سؤال واحد مضيء، هل يتغير أي شيء فينا أو حولنا إلا إذا وافقنا على دفع الثمن...؟ لن يمنحنا أحد أدنى حقوقنا، لا بد من دفع الثمن على أرضنا أولا، لا بد من إعادة ترتيب البيت، وقلب الموائد، حتى لو كان الثمن تضحيات كبرى، نعم، حتى وإن تطلب ذلك أن يجري دم كثير بيننا.

يمكن أن أفعل شيئا ما؟

سؤال أصبح مضحكا بعد كل هذا العمر، ولكن إذا كانت هناك في العين دمعة فلنذرفها بصدق، ما الذي يمكن أن أقدمه لمن اختاروا موتهم بجمال، وللأشجار التي اقتلعت، نتيجة لسكوتي أنا وصمتي أنا أيضا؟

وماذا يمكن أن أقدم لنفسي دفاعا عما تبقى داخلي من روح؟

لدي إجابة ناصعة للمرة الأولى، عليّ أن أصنع من نفسي دون انتظار الآخرين شيئا مختلفا: مغامرة حياة، أو أغنية أخيرة مكتملة، جملة مفيدة واحدة قد تكفي لمنحي الشجاعة لمواجهة كل شيء، نعم لا بد من جملة مفيدة، فهي مفتاح سعادتي القادمة، إن كان لي نصيب فيها، البحث عن حالة حياة لا مصالحة فيها، البحث عن اتساق مفقود، وقفة تعيد إليّ احترامي لنفسي، ليكن حضورا كاملا حتى لو أدى إلى اختفاء كامل، أليس هذا هو منطق الاستشهاد، لم لا أجربه داخل الحياة، في اختياراتي ومع أفكاري ومع لوحتي أيضا، يجب أن أودع أنصاف الحلول مهما كانت براعتها، أريد لنفسي الا اكون مثلما كنت من قبل، أريد أن أكون بصدق اكثر رجولة، لماذا أصافح من يقتلني كل يوم بلزوجته، لماذا لا أضع الإصبع على الجرح، لماذا التسامح مع الجانب الضعيف في نفسي حتى المهانة؟

ليست دعوة لنقد الذات ولا لجلدها، سأجرب الإخلاص الكامل هذه المرة، وأحاول بالفعل أن أرد الجميل لمن دفعوني إلى اختيار حقيقي، وأقول لهم: لقد وضعتمونا جميعا في محك كبير، لا مجال فيه للمراوحة، وأعدكم بأن أصنع بما تبقى فيّ من حياة شيئا آخر لا أخجل منه.

د. عادل السيوي - مصر

"الأكاذيب فقط هي التي تتحرك برشاقة وتتجسد في الحال، بينما تتساقط الحقائق وتتطاير الأحلام في الهواء، عمر بأكمله بين الأكاذيب"

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كيف يمكن أن تكون شهادتي كفنانة عربية حول ما يحدث في فلسطين؟! لم أعد أستطيع استيعاب المأساة بصفتي فنانة بحيث أتمكن من منحها صورة فنية، أو بمعنى آخر، أضعها في توصيف مؤثر يليق بحجمها وبمقدار ما تشكله.

إن فظاعة المشاهد اليومية للانتهاكات، والدمار، والقتل والصراخ اليائس لكائنات سامية تستغيث وتتألم وتحتج فلا تواجه إلا بالمزيد من الدبابات والصواريخ والقنابل والرصاص والتعذيب والتغريب والملاحقة... كل ذلك يصيبني بالخجل والإحباط، فما عسانا نقدم لهم بالتعبير الفني؟! وإلى أي حد يقدر الفن على تسجيل الفاجعة... أشهد هنا أننا إزاء مفارقة، ففي جزء من جسد هذا الوطن المقموع، المكبوت، المنتهك والضعيف، يواجه الفلسطينيون الموت ببسالة، تدهسهم دبابات الصهاينة وهم يتقدمون، يذبح أطفالهم ويعدم شبابهم وتدمر منازلهم، لتترك في ساحاتهم أكوام تراب معجونة بدماء الناس، وبدموع الثكالى، بينما نحن في بيوت دافئة، نتابع عبر شاشات التلفاز والصحف وشتى وسائل الإعلام كل ما يحدث ساعة بساعة ولا نملك إلا أن نعلن احتجاجنا... وليس لنا إلا فننا وسيلة احتجاج.

كل شيء يتراجع ويصمت

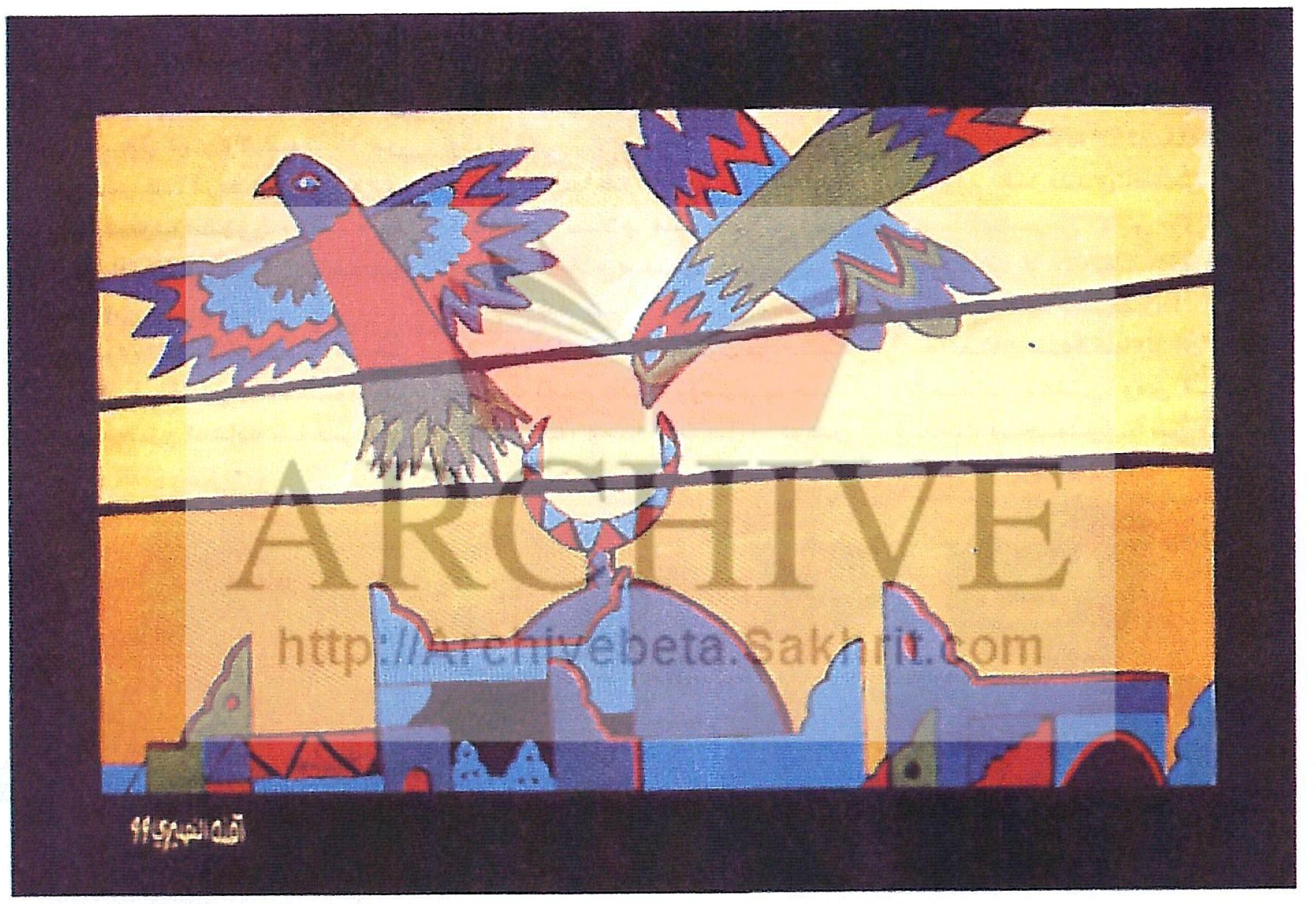

كل شيء يصبح تافها وجبانا أمام ما يحدث، وهذا بالضبط ما يجعلني عاجزة تماما عن الإدلاء بشهادة فنية.

لقد اعتدنا على مدى سنوات القهر والعجز أن نتواطأ مع الأشياء، مع العالم من حولنا؛ لكي نوجد تبريرا للحياة، ولكي نخلق كرامة في وطن لا كرامة له، أما اليوم ففلسطين تكشف الأقنعة، إنها تعرينا من كل شيء، حيث ما عاد الكذب يجدي، وما عاد من الممكن التفاؤل والحلم والمكابرة... وهنا كل شيء يتراجع ويصمت حتى لغة الفن الثائر المتمرد تقف عاجزة مشلولة أمام شلالات الدم، ذلك أن الفن لا يكون سلاحا فاعلا إلا عندما يحمله أناس يضعون أرواحهم على أكفهم ويواجهون القتل بالقتل والدمار بالدمار، يدافعون عن حرمة الأرض وعن شرف الوطن.

عندما تحتشد الأمة وتتدافع لحماية أرضها... يصبح للفن معنى ويتعمق دوره... أما اليوم وفي ظل المواقف المخزية للحكومات العربية؛ فإن الفن لن يقدم سوى شهادة تعلن الراهن وتجسد الفاجعة في أقسى تمظهراتها، لن تكون لدينا مساحة إضافية للحلم، ولن نرى غير الدم المغتصب، والأسود القاتم الذي يتمادى في الامتداد على عالمنا حتى يكاد يفقدنا الرؤية.

إنني مؤمنة بأن المواجهة الطاحنة التي يخوضها الفلسطينيون ليست غير البداية الحقة لتقرير المصير، لكنها بالنسبة إلينا بقية العرب هي نهاية مريرة لكل الطموحات العظيمة والأمل في أمة واحدة متماسكة تأبى الاستكانة وترفض التمزق.

اشتغل التشكيليون العرب منذ المراحل المبكرة للاحتلال وحتى يومنا على هذا الموضوع، وأعتقد أنه عبر عنه في معالجات بصرية شديدة التنوع، بعضها اعتمد الخطاب المباشر، كما في الملصق السياسي والنصوص التشكيلية الواقعية التي صورت بانوراما عريضة أحاطت بمعطيات تاريخية، سياسية، اجتماعية، ثقافية ذات صلة بالشعب الفلسطيني.

وكان ناجي العلي مثالا مهما لفن خاطب الشارع وقدم قضية فلسطين والفلسطينيين في لغة كاريكاتيرية جمعت المتناقضات.

كما عولج الموضوع داخل تجارب بصرية ذات قيم حديثة. ولعل التشكيليين الفلسطينيين يقفون في مقدمة الجماعات التي تمثلت الهم الفلسطيني، يضاف إليهم فنانو البلدان العربية المجاورة التي عانت أيضا الصراع العربي الإسرائيلي... وبعض الفنانين من الأقطار العربية الأخرى.

وسواء ظهرت هذه القضية كمحور رئيس داخل النصوص التشكيلية... أو أشير إليها من بعيد، إلا أنه من المؤكد أنها حاضرة في وجدان التشكيلي العربي، يتمظهر حضورها في أشكال فنية كثيرة.

وكرؤية لما يمكن أن يقدمه الفن الآن وعلى المدى الطويل لخدمة القضية الفلسطينية، يمكن استغلال الفن في الخروج بالقضية إلى الرأي العام العالمي، فنحن نشاهد في منتوجات فنية متنوعة كيف يروج اليهود عبر وسائل الإعلام وبضغوط اقتصادية وآلية متقنة، للفكر الصهيوني، ويزيفون الحقائق التاريخية والواقع الفعلي، كما يشوهون صورة العرب... هذه الصورة التي لكثرة ما تداولتها الأعمال الفنية باتت مقنعة وراسخة في ذهن مواطني الغرب... حتى أن تغييرها يستلزم جهودا مضاعفة من العرب.

لكن، للأسف الشديد، الفن العربي المعاصر مثله مثل الثقافة عموما يعيش اشكالات كثيرة ويعاني تدهورا يوازي تردي وتدهور أوضاع المجتمعات العربية، وتتفاقم الإشكالية مع غياب مساحة الحرية، وتنامي القوى التي تدفع بالفنون الهابطة، وتروج للإسفاف لتحقيق مكاسبها... هكذا نجد الفن الجاد والمحاولات الإبداعية المتفردة على اختلاف أنواعها قليلة الحضور والتأثير في محيطها، نظرا إلى محدوديتها وعدم تواصلها مع مثيلاتها في الأقطار العربية، حيث تساهم الجغرافيا السياسية للفنون في عزلة المبدعين والمثقفين... وبالتالي الوصول إلى شبه قطيعة مع الآخر.

فأنّى لنا أن نخرج إلى العالم، ونسمع أصواتنا، ونعرض قضيتنا كما نراها نحن، لا كما يصورها العدو.

ومع ذلك فإن محاولات كسر الحواجز المصطنعة بيننا وبينهم أمر غاية في الأهمية.. وبالتأثير على الرأي العالمي عبر الفن نقدم دعما للموضوع الفلسطيني... ولا بد من أن في العالم ضميرا مازال يتألم وينفعل بصور القتل والتشريد والدمار... وفي الإمكان الضغط على الحكومات الغربية لتغيير مواقفها ولو ببطء.

من جهة أخرى يستطيع الفنانون العرب من مسرحيين وسينمائيين وموسيقيين وتشكيليين وغيرهم، أن يجعلوا من نتاجهم شكلا لمواجهة خنوع واستسلام بل تواطؤ الموقف الغربي الرسمي، وأن يدفعوا بالشارع العربي إلى مزيد من التمرد والغضب والثورة؛ فقد ساهمت النماذج السيئة من الفن في تخدير الشارع وإبعاده عن همومه الوطنية، وعلى الفن الجاد اليوم أن يخلق أعمالا تجبر الشارع ذاته على الصحوة.

على صعيد التشكيل نتابع هذه الأشهر المعارض العربية الكثيرة التي تقام لمناصرة القضية الفلسطينية، وتذهب عائداتها المادية لدعم الشعب المناضل في فلسطين، وهذه مبادرات جيدة.

وما زالت إمكانات شتى لتفعيل دور الفن عامة والتشكيل خاصة؛ في الوقوف إلى جانب النضال الفلسطيني وتمثيل القضية.

إن لغة التشكيل المعاصر، تتغير وتتعقد؛ ولذا لم يعد بالإمكان توجيه الفن نحو التعبير عن القضية عبر علاقات مباشرة تقليدية... ولا نملك الحق في مطالبة الفنانين بالعودة إلى طقوس النص الواقعي المباشر، إنما المطلوب هو تبني الموضوع بصدق وجدية، ومن ثم اختيار شكل التعبير المناسب ثم التفكير في وسائل لتوظيف الفن في نقل المشكلة إلى المناطق الأخرى من الأرض.

د. آمنه النصيري - مصر

«ما زالت إمكانات شتى لتفعيل دور الفن عامة والتشكيل خاصة؛ في الوقوف إلى جانب النضال الفلسطيني وتمثيل القضية»

يقف الفنان التشكيلي متحفزا أمام الأحداث العظيمة، يريد اقتناص اللحظة التي يعلو فيها الحس مشتعلا ومتفجرا، فتكون الاستجابات السريعة رسما تحضيريا «إسكتش». إلا أن اللوحة الكاملة تكون عند نضج ردة الفعل واستعادته بمقاييس الكمال الإبداعي، وإعادة استحضاره مبلورا من خيال الفنان.

وكفنان تشكيلي، كانت رؤيتي لانتفاضة الأقصى المباركة على القماش الأبيض المشدود إلى إطاره، فهو ساحة المعركة التي أمارس عليها رفضي وثورتي وانتفاضتي، وأعلن نكراني لعجزي وأبقى شامخا ببطولة أطفال بلادي الذين عرفوا «كلمة السر» وتحاوروا مع الغاصب المحتل باللغة نفسها التي لا يعرف غيرها.

الانتفاضة ٢٠٠٠

الانتفاضة الفلسطينية الأولى التي تأججت في العام ١٩٨٧ كانت بالنسبة إليّ، كفنان تشكيلي فلسطيني، يقينا قبل انطلاقها بسنوات حين رسمت مجموعة من اللوحات حملت اسم «إنسان الأرض» تعبر عن ثورة الحجر الفلسطيني قبل انطلاقتها بخمسة أعوام، أي في العام ١٩٨٢، وبذلك شرفت بأنني أول من بشر بأن الحجر الذي تحمله الأرض الفلسطينية في رحمها، هو الفعل الحقيقي في مسيرة حريتها.

كان ذلك في العام نفسه الذي وقعت فيه مذابح صبرا وشاتيلا، إذ أنجزت لوحتي الجدارية «صبرا وشاتيلا ٨٢» مصورا الحدث ساعة وقوعه حين اقتحمت قوات العدو وعملاؤه مخيم صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين في لبنان ونفذت مجازرها المروعة بإشراف السفاح «شارون» نفسه، وأتبعتها بلوحة «المجزرة» التي صورت فيها الحدث بعد أن تحولت الأجساد البريئة إلى جثث هامدة، عيونها مفتوحة نحونا تعاتبنا وتلعن ضعفنا، وقد كنت في مرحلتي البيضاء الأولى التي تعاملت فيها مع القضية الإنسانية العامة من خلال قضيتي الفلسطينية وبرموز متجددة، فبرز عنصر «الحصان الخشبي» الذي أشرت إلى معناه في أحد معارضي الشخصية على أنه «الوسيلة المعطلة الخصائص» إذ إنه كان تعبيرا عن تعطيل قدرة الإنسان العربي الذي صار شكلا وصورة صامتة معطلة.

ومازلت أذكر ذلك اليوم من العام ١٩٨٣، الذي فقدت فيه قدرتي على التعبير عن تلك المشاعر الثائرة والرافضة في صدري فقد عجزت عن اقتناص اللحظة القصوى التي أريد، كنت أبحث عن طفل يرمي حجرا، أردته حجرا في اتجاه العجز الذي أحس!!

فكانت اللوحة التي حملت اسم «الانتفاضة-١»، التي فيها رسمت الطفل يلقي حجره إلى وجوهنا نحن... وأطلقت بركاني متفجرا بغضبه، بتلك اليد الصغيرة الكبيرة، تلقي حجرها في وجوهنا!!

شكل فلسطيني جديد خرج إلى العالم بعد اتفاقية أوسلو، وانتظر الفلسطيني بقهره وإحباطاته، تارة من عدو مراوغ، وأخرى من أهل لا حول لهم ولا قوة، إلا من شوارع ضيقة تردد فيها صدى هتافات شعوب مقهورة وقفت معه في انتفاضته الثانية (انتفاضة الأقصى).

مستوى القهر أعظم، والعجز الرسمي في أعلى مستوياته، والزمن يخرج لسانه ساخرا من كل الشعارات التي رُفعت لسنين طويلة، فلسطين عربية، القدس إسلامية، إلا من إشراقة أمل كبير قادم، في صورة طفل فلسطيني بصدر عار، أصابعه الطرية تقبض على حجر، أخرج لسانه للحياة ساخرا من العيش من دون حرية وكرامة.

وقفت عاجزا أمام ما يحدث، اتفاقية سلام، مباحثات، عود وعهود، أحلام مستقبل بلا حروب، وعلى رغم هذا، أطفال ونساء وشباب فلسطين يقتلون بوحشية وبيوت تهدم على رؤوسهم بأحدث الأسلحة، وما العمل؟ الوطن الذي حملته بين أضلعي إلى أرض الشتات يتمزق، يتناثر، هذه نابلس... جنين... طولكرم... رام الله... وغزة التي خطت يدي الصغيرة على جدران أزقتها أولى عبارات الأمل بالعودة وأنا طفل صغير (إننا عائدون... أنا لن أعيش مشردا... لبيك يا علم العروبة كلنا نفدي الحمى... أخي أيها العربي الأبي أرى اليوم موعدنا لا... الغد!!)... كلها وطني... كلها فلسطين!!

والفنان موقف، إلا أن تسارع الأحداث أذهلني، ومن موقعي، قدمت مجموعة من الرسوم (الكاريكاتيرية)، نشرت في جريدة «الفجر العربي-كندا»، سجلت فيها مواقف وردات فعل عن الأحداث التي كانت تزداد حدّة فكانت موقفا ساخرا من الاتفاقيات وما جرته من مواقف. نتيجتها الحتمية كانت هذه المواجهة الدامية والأولى التي جرت على أرض فلسطين نفسها، ونفذت بعض اللوحات المائية، ثم كانت اللوحة الزيتية «الانتفاضة ٢٠٠٠» التي أصور فيها أبشع مجازر القرن الحادي والعشرين.

الشباب... أبناء العماليق والجبارين، بشموخهم وأجسادهم العارية، القوية، يقدمون أرواحهم للشهادة التي أحبوها حب أعدائهم للحياة وزخرفها... صرخاتهم الغاضبة وأجسادهم المشوقة بخطواتها الواثقة، وحدية تقاطعاتها مع خطوط هويتهم الفلسطينية الواضحة فيما رمزت إليه الكوفية بخطوطها الحنونة، مما أعطى اللوحة تناغما وخصوصية، ويد قوية ترفع الشهيد فوق الهامات مكفنا بعلم فلسطين، واليد الأخرى تقبض على الحجر... السلاح السري الفلسطيني.

والشهيد في مراحلي الفنية، رمز له حضور دائم، أبتعد به عن المباشرة والسرد، الذي وإن بدا غير عسير على المتلقي، إلا أنني أعمل على أن تكون الرموز لها دلالات متجددة غير مكرورة منسجمة مع مواصفات عصرها بكل مدلولاته وأدواته، وفي هذه اللوحة هو الرمز الكبير لكل ضحايا وشهداء الانتفاضة. و«رقصة في وداع الشهيد - ١٩٧٣» من اللوحات التي حملت هذه المعاني العظيمة، إذ بدا الشهيد يطير في السماء وكان الملائكة تنتظره وهي تُسمعه نشيد الترحاب، بينما النساء في ملحمة تراجيدية يرقصن مودعات الشهيد بألم وحزن يملأن الوجوه وقد شغلن أسفل اللوحة التي غُلفت بوشاح الفجر الأبيض القادم.

وأمام هذا الحدث لا نملك إلا أن نقف وقفة إجلال وتكريم أمام بسالة أطفالك يا فلسطين وشجاعة رجالك... وأمهاتك... وثكلاك

وليس لنا ما نداري به خجلنا إلا... أن نخجل من أنفسنا!!

عبدالهادي شلا
Shala14@hotmail.com

الانتفاضة ١٩٨٣

”مستوى القهر أعظم، والعجز الرسمي في أعلى مستوياته، والزمن يخرج لسانه ساخرا من كل الشعارات التي رُفعت لسنين طويلة، فلسطين عربية، القدس إسلامية“

لا بد من التعبير عن قضيتنا بكل الأدوات المتاحة وذلك أضعف الإيمان

لا أدري كيف تكون القضية الفلسطينية بعيدة عن الفن، ولا يمكن للفن أن يكون بعيدا عن المجتمع... وما ذاك إلا لأن الفن هو ترمومتر حساسية المجتمع أو بتعبير أشمل، هو ضمير الأمة... فالفن ما انفك عن التعبير عن قضايا المجتمع الإنساني برمته والأمة الإسلامية على وجه التحديد... فالفن هو الرئة التي يتنفس من خلالها المجتمع. وكما هو معلوم فإن الفن بصوره وأشكاله المتعددة (أجناسه) جزء من الأدب الذي هو حياة الشعوب وسجلها المدني بمتغيراته الزمكانية. ولعلنا من هذا المنطلق ندلف إلى أهمية الفن التشكيلي بكل أشكاله التعبيرية من بحث ورسم وتصوير تشكيلي أو بمعنى آخر بتعبيره المسطح أو ذي الأبعاد الثلاثة... كان ولا يزال له دور ملحوظ في التعبير عن مشاعر وأحاسيس الأمة. في رفض كل أشكال العنف التي توجه إلى الجنس البشري، فكيف بأبناء جلدتنا. الذين يعانون أقسى أنواع التعذيب والعنصرية المعاصرة التي أخذت أشكالا وأنواعا من التلون الفكري والعقدي ضد إخواننا المسلمين الذين وصفوا بأبشع أنواع الألفاظ «الإرهاب» بمنظور الرجل الغربي الذي هو - على أقل تقدير - ضد عقيدتنا الإسلامية السمحة التي صارت لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، والنور من منظورنا كمسلمين ينظر إليه على أنه إرهاب لأن مصدر الألفاظ والمصطلحات هو الذي يشكلها ويلونها حسب ما يراه ويوافق مخططه وأيديولوجيته التي يراها أفضل الطرق للسيطرة على مقدرات الإنسان من دون النظر إلى فكره وثقافته ومن باب أولى إذا كان مسلما.

أعود لأقول إن الفنان التشكيلي له دور واضح وضمير الأمة اليقظ الذي ما فتئ يزيل كل أشكال العنف والزيف عن طريق التعبير ذي البعدين «الكاريكاتور» أو الثلاثة أبعاد في أشكال تنبذ العنف وتدعو إلى السلام... وإذا كان بيكاسو الفنان الأسباني نقد الحرب الأسبانية بلوحة «جورنيكا» والفنان جويا... والفنان الفرنسي ديلاكروا الذي نزع إلى تغيير نمطية الشعب ودعا إلى حركة التعبير برسم فتاة اتخذت صورة على العملة الفرنسية... إذا كانوا هؤلاء دليلا على تأثير الفنان في حياة المجتمع الذي يعيش فيه. ولا يعني ذلك أن كل الفنانين قادرون على ذلك بل الفنان الذي كان الفن في داخله لسان حال المجتمع الذي يعيش فيه. يقول «دوركايم» «إن الفنان يعبر عن حركة المجتمع بأسره حيث يختمر في اللاشعور ومن ثم يخرج العمل بعد فترة من الحمل أو ما يسمى بالإخصاب».

فإذا كانت الحال كذلك فإن للفنان أثرا وبصمات واضحة في التعبير عن مشاعر المجتمع الذي يعيش فيه. ونحن في هذه الأيام نعيش لحظات فيها من التعذيب وبأشكال لم تكن تمارس من قبل في حق إخواننا في أرض فلسطين مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تضمه من المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين تدنسه أيدي اليهود الغاصبين. فحري بالفنان المسلم أن ينكر ذلك العداء وأن يجاهد بكل أدوات التعبير المتاحة وذلك أضعف الإيمان. والقضية بين المسلمين والكفرة على اختلاف مللهم ومعتقداتهم واضحة جلية في النصوص المطهرة من الكتاب والسنة ولا تحتاج إلى قلم أو لسان. والكل يعلم بيقين أنهم لن يتوقفوا حتى نكون سواء. وهذا الجهاد من منظورنا الإسلامي فرض عين على كل مقتدر في الجهاد بأنواعه المتاحة والتعبير عنه بالقلم واللسان والنفس والمال.

ناصر الموسى - السعودية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

„ إن الفنان يعبر عن حركة المجتمع بأسره حيث يختمر في اللاشعور ومن ثم يخرج العمل بعد فترة من الحمل أو ما يسمى بالإخصاب "

ذاكرة الوطن

أنا من جيل شرب مرارة النكبة طفلا، وظل يشرب منها حتى امتلأ جوفه، واستقرت في دماغه ذاكرة الوطن والرحيل والقتل واغتصاب الأرض، حتى تسلل الغيظ والحقد إلى صدره.

ولقد قفزت به الأحداث نحو مرحلة أشد قسوة: ابن الحادية عشرة يبيع الصحف ويؤجرها في المقاهي، وأحيانا يجر كيسا من الكتب يفوق وزنه بكثير. وتراه أحيانا يبيع الكعك والبيض المشوي قبل طلوع الشمس متنقلا من حي إلى حي.

كنت فوق كل ذلك أشعر بسعادة حين أشترك في مظاهرة احتجاج ضد الإنجليز، أو ضد مثلث العدوان على مصر عام ١٩٥٦، أو استجابة لنداء الراحل جمال عبدالناصر.

المسافة التي تتوسط الكنبة واتفاق أوسلو طويلة، لا داعي للخوض في تفاصيلها، لأن الشوط الأخير من اللعبة الأمريكية الصهيونية لم ينته بعد، وأصبح الجميع منا يدرك تماما أهداف السياسة الديبلوماسية الأمريكية، التي لا يستطيع أحد أن يغامر ويقبل بها.

هذه مقدمة لا بد منها.

كنت ولدا لم يعش لحظة طفولة، أحاول أن أتعلم من كل شيء، مؤمنا بأن أي شيء قد يلزم... أجمع الأسلاك والورق والصحف المستهلكة وعلب التنك وغيرها، وأصنع السيارات والخرائط «بعد طبخ الصحف والورق مع قليل من الطحين».

تأخر دخولي المدرسة حوالى سنتين كنت خلالهما أقلد الحروف من دون معرفة أصواتها، وعندما دخلت الصف الأول كنت ملزما بإحضار مقعدي معي، فاشترى لي والدي واحدا من القش بثلاثة قروش، وكان هناك من هو أكثر فقرا فيجلب معه صفيحة من التنك.

ومن هذه البداية وحتى نهاية المرحلة الثانوية مسافة اختزنت الكثير في الذاكرة، وجعلتني أدرك تماما أن حلمنا بتحرير فلسطين يبدأ بتحرير أنفسنا وانعتاقنا من التبعية للغرب والإمبريالية الأمريكية أولا... وفي تلك المرحلة وقعت مجزرة «كفر قاسم» والعدوان الثلاثي على مصر، وأحبطت القوى الوطنية الأردنية محاولات ضم الأردن إلى حلف بغداد، ثم حصلت الوحدة بين مصر وسوريا، وشعر الجميع بأن جزءا من الحلم بدأ يتحقق، ثم قام الاتحاد الهاشمي بين العراق والأردن، لكنه لم يستمر طويلا بسبب انقلاب ١٤ يوليو بقيادة عبدالكريم قاسم، وعندما حدث الانفصال بين سوريا ومصر أصيب الجميع بالصدمة... بعد ذلك بدأت تتشكل منظمة التحرير الفلسطينية.

وقد كان تفاعلي مع هذه الأحداث على درجة عالية من الانفعال. والآن، بعد كل ما مرّت به أمتنا من أحداث ومواقف عصيبة، أعتقد أنه بالإمكان تجاوز المحن والأزمات، ولكن، ألا يُعد ما يحدث الآن في الأراضي الفلسطينية من مجازر وقتل جماعي واعتقالات بالآلاف، سببا كافيا لزعمائنا لمراجعة أنفسهم وللخروج من صمتهم، فالتبعية المطلقة - كما كنا نقول دائما - لا تؤدي إلى نهضة الأمة، ولا يمكن أن تساهم في التقارب بين الدول العربية على الإطلاق.

محمود طه - الأردن

„ إن تفاعلي مع هذه الأحداث على درجة عالية من الانفعال. والآن، بعد كل ما مرّت به أمتنا من أحداث ومواقف عصيبة، أعتقد أنه بالإمكان تجاوز المحن والأزمات "

إذا ضاق الوطن.. اتسعت اللوحة

رئيس تحرير مجلة «تشكيل» - رام الله

منذ أن بدأت الاجتياحات الجزئية، من قبل قوات العدو الصهيوني للمدن الفلسطينية، رفعنا في مجلة «تشكيل» المتخصصة في شؤون الفن التشكيلي والتي تصدر في رام الله شعارنا (إذا ضاق الوطن... اتسعت اللوحة)، وتحادثنا مع عدد من الزملاء الفنانين من أجل تحقيق هذا الشعار، لدفع الفن إلى واجهة المقاومة للاحتلال الصهيوني.

في الانتفاضة الراهنة، سادت الشارع الفلسطيني ثقافتان:

أولاهما: ثقافة (استشهاد كيفما اتفق) اعتمدت صوت الرصاص ولون الدم واختلاط مفاهيم الموت والحياة، لإيجاد الدلالة واجتراح الحلّ.

وثانيتهما: ثقافة (سلام كيفما اتفق) تعتمد صرير الأقلام ولون الحبر والرغبة في حياة هادئة، تنبني في جوار «الآخر» غير النقيض.

وكان لكل من الثقافتين أركان ورؤى ومنظرّون، وبين هاتين الثقافتين ضاعت رؤى كثيرة وتبددت أفكار وأحلام وتطلعات.

كانت «تشكيل» هديتنا لانتفاضة شعبنا، أردنا من خلالها تكريس رؤية جديدة نراها مغايرة، هي (ثقافة المقاومة)، ليس كيفما اتفق ولا بأي ثمن، وبدأنا بدأب وصبر، نعيد قراءة الأمس التشكيلي الفلسطيني، ونتابع باهتمام، الراهن الإبداعي للجيل الطالع من رحم الانتفاضة الأولى، لنقف من خلال هذه القراءات على تطلعات المستقبل، نراه أكثر اندماجا بالجغرافيا وأكثر التصاقا بالتاريخ، وأعمق انتماء للارض التي ارتوت من دماء الشهداء وأنهكت من حبر الاتفاقيات.

وصلنا إلى فكرة أن «الانتفاضة شكل للثورة، لذا يجب أن تحدث ثورة في شكل اللوحة الفلسطينية ومضمونها» (العددان ٣ و ٤ حزيران/تموز) وما لم يحدث ذلك، فإن هناك مشكلة جوهرية في ثقافتنا الفلسطينية لا بد من مواجهتها وحلها.

ولقد حاولنا ذلك في ورقة بحث قدمت إلى مؤتمر (فلسطين الجديدة - أوروبا الجديدة) عقده معهد الدراسات الدولية بجامعة بيرزيت ٢٠٠٠، وأشرت إلى تراجع حاد في المستوى التشكيلي الفلسطيني عبر السنوات العشر المنصرمة، وكان جزء من الخلل ناجما عن ذلك الانزلاق الذي وقع فيه مجموعة من فنانينا بالتطبيع التشكيلي مع الصهاينة تحت شعارات شتى، كان اخترعها الصهاينة لهم، ولولا الانتفاضة الأولى التي قلبت الطاولة في وجوههم لتلوّن تشكيلنا الفلسطيني بما يغيّب هويته ورؤاه.

أما الانتفاضة الراهنة، فقد قلبت الطاولة في وجه دعاة ثقافة (سلام كيفما اتفق) لتغوص في ثقافة (استشهاد كيفما اتفق)،ولقد استغلت الصهيونية هذه الحالة، ودفعت بالأمر إلى أعلى مستوى من القسوة والهمجية لتدمير كل شيء في آن واحد من دون تفريق بين ثقافة وسلاح، بين كتاب وقنبلة، وكان الاجتياح الكامل للمدن الفلسطينية، والهجوم المدمر لكل شيء.

لم يبق في مكاتب مجلة «تشكيل» جهاز كمبيوتر واحد لم يدمر، واتلفت بقية الأجهزة التي نعمل عليها، وسرق الكثير من ملفاتنا سواء ما كان على أقراص أو على أوراق وصور... وعدنا إلى شعارنا الأول مؤمنين بأن اللوحة يجب أن تتسع أكثر، وأمام شلال الدم، ودخان الحرائق وأصوات الانفجارات المصمة، وجدنا أنفسنا ما بين محاصر بين جدران أربعة تحيطها جدران الرعب وحولها الدبابات والمجنزرات المحتلة، وبين معتقل ألقي به في معسكر تحت سماء لا ترحم ببردها، وأرض لا تملك سوى وحل وجوع وأزمات نفسية وصحية مذلة، وبين شريد يهيم بين أزقة وبيوت درج لا يعرف متى تدهمه الرصاصة...

ولأنني بقيت من الصنف الأول، فقد اتسعت اللوحة لدي، تجاوبا مع ثقافتي وشعارنا المرفوع، وتمكنت بمثابرة، من إنجاز ما يقارب خمسة وأربعين عملا نفذ بعضها بالألوان الزيتية، والبقية بأحبار مختلفة، سجلت فيها (مشاهد من مدن منتهكة)، وسوف أقول بعرضها بعد زوال الغُمة السوداء عن أرواحنا، أرسل من خلالها رسالة إلى شعبي الجبار عن ثقافة المقاومة التي نحتاج إليها، رسالة ترى «الآخر» نقيضا فعليا لا يزول بالموت وحده، لا بموتنا ولا بموته، ولا يزال بالاتفاقيات التي تؤكد كلها هيمنته وحقه في أرضنا، كما أنها ترى أن في نسيجنا الثقافي ثقوبا واسعة يسهل اختراقنا منها، بل هي ثقافة أشمل وأعم وأعمق من أجل إرساء لبنة راسخة في الجدار الصلب الذي سيحمينا من الريح السوداء القادمة.

لقد تعلمنا الكثير من المعركة وفي المعركة... تعلمنا أن نحتفظ بأشياء الشهداء التي تركوها لدينا، نقبّلها كل صباح، لكي يطلع علينا صباح بلا شهداء... ولا احتلال... ولا ثقافة منتهكة...

مروان العلان - فلسطين

لقد تعلمنا الكثير من المعركة وفي المعركة...
"تعلمنا أن نحتفظ بأشياء الشهداء التي تركوها لدينا،
نقبّلها كل صباح، لكي يطلع علينا صباح بلا شهداء"

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما يحدث لا يستوعبه عقل

حتى هذه اللحظة، لا أجد الكلمات المناسبة للتعبير عن الفاجعة التي ألمت بالشعب الفلسطيني، والتي فاقت كل تصور، بل فاقت ما قد تتفتق عنه مخيلات الشياطين، إنك لا تدري ما يصيبني من ألم ورعب عندما أشاهد ما يحدث، إنه يشل تفكيري ويجعلني في حالة ذهول. وما يحدث الآن يفوق البشاعة نفسها، ومن ثم عليك أن تستشف موقفي مما قلت، وأنا ما زلت في حالة ذهول مما يدور، وفي ذهول من هذا الصمت الجائر الذي يمارسه العالم، الذي يدعي الإنسانية والتحضر.

ثريا البقصمي - الكويت

كم هي مذلة حياتنا..

العنف والقتل والسادية والقهر تحني ظهورنا وأعناقنا... الأقدام الكبيرة فوق رؤوسنا... وجوهنا مشطورة... شفاهنا مغلقة... عيوننا مفتوحة أقصى حدود الانفتاح، لكننا لا نرى!

أصبحنا شعوبا بلا بصيرة... بلا رؤية... فلتفتح عيوننا وتنجل بصيرتنا لنرى كم هي مذلة حياتنا... كم هي مهدورة كرامتنا... كم هو مغيب اعتزازنا إن لم تشتعل الأرض تحت أقدامنا!.

أطفال وأمهات... شبان وشابات أقسموا على الشهادة... لم ينظروا إلى الخلف... وحدهم صامدون. لحم مقابل دبابة... قلب مقابل بندقية... عين مقابل سكين... زهرة مقابل خنجر!.

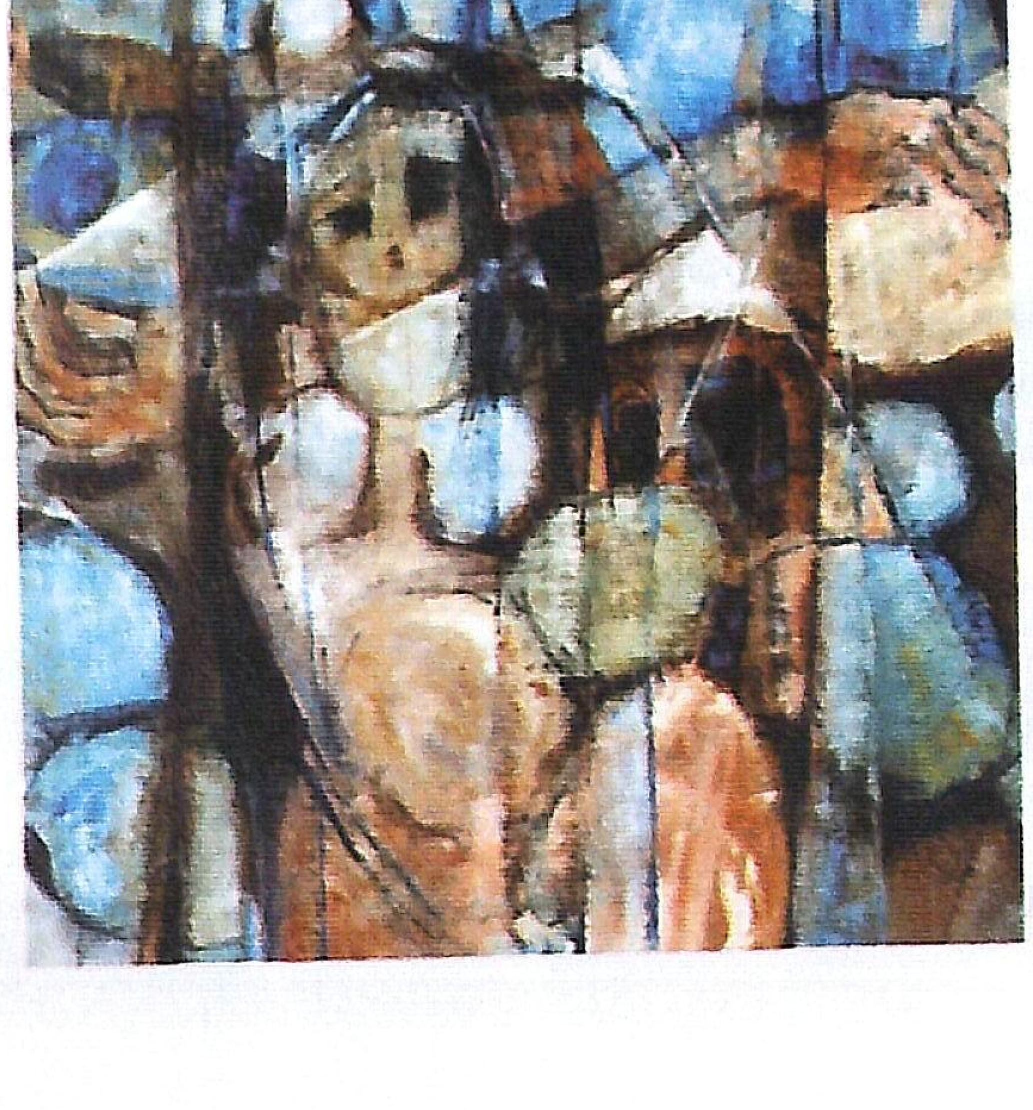

أقسموا على الشهادة في سبيل الأرض والكرامة... وحدهم قادرون وحدهم يثأرون لصبرا وشاتيلا... وقانا... وجنين. فلتشتعل الأرض تحت أرجل الأطفال... تحت أرجل النساء والشبان والشابات.

فلتشتعل الانتفاضة في كل مكان...

دائما هناك قاهر ومقهور، غالب ومغلوب، قوي وضعيف... ولهذا تجد من يقولون «العين لا تقاوم»، لكن في كل مكان في فلسطين: سكين مقابل عين... زهرة مقابل خنجر!

فلتشتعل الأرض وتتخضب بالأحمر القاني لأن الدم هو الذي يغسل الدم.

أسماء فيومي - سورية

لكي لا يتكرر رسم الجورنيكا مرة أخرى

حين يقال دائما إن الرسم لغة عالمية يمكنها أن تصل إلى الجميع بشكل متقارب، فهل في ذلك بعض الرومانسية؟ وهل يكفي ذلك لتغيير الآخر والتأثير فيه؟ وهل يكون الفنان مؤثرا بمحاكاته للواقع أم من خلال افتراضه واقعا آخر؟ فهل ينظر إلى الواقع بشكل مختلف، يحول اللوحة إلى نافذة تطل على جوهر الأشياء وليس على قشورها الخارجية فقط، يحولها من سحابة إلى مطر؟ وهل نستطيع أن نتخذ من هذه السحابة سلاحا من دون أن نفقدها خواصها وحضورها الجمالي؟ والثورية في الفن، كما يعرف الجميع، ليست في رسم بندقية أو رسم يد تشير إلى علامة النصر.

لا يملك الفنان في كل الأحوال القرارات أو المفاتيح السحرية لحل الإشكالات الكبيرة، بل يشير غالبا إلى المشكلة، وبطريقة خاصة جدا ينبه الآخرين إليها، بشكل حازم ومن دون مواربة، فحتى لوحة «الجورنيكا» كانت نتيجة، ولم تكن حلا على الإطلاق، وكأن بيكاسو كان يقول للعالم، إذا لم نستطع أن نوقف هذه المجازر، فهذا ما سيفعله «فرانكو» وغيره بنا.

إن عملية التغيير والتأثير في الآخرين يجب أن تشمل كل الصعد، فالرسام مثلا عليه أن يتمكن من إنجاز لوحة مكتملة أخاذة، تملك حضورها الجمالي أولا، ثم يفكر كيف يدير العملية في مواجهة الآخر.

حين يقتني الأوروبي مثلا بعض الأعمال الفنية العربية، فهو في أغلب الأحوال ينظر إليها كأنتوغرافيا وكأنه يشتري تذكارا من خان الخليلي أو تاج محل، وذلك يحمل دلالات استعمارية واضحة ونظرة أوروبية فوقية للشعوب (غير المتحضرة) الأخرى. وهناك كثيرون يداعبون مشاعر الأوروبي وكأنهم ينتظرون منه تأشيرة، وهم يقدمون له هذا النوع من الفن مبنيا من أشكال وسطوح وألوان وأفكار ومعالجات، وليس واجهة محل لبيع القلائد.

نستطيع أن نسأل أولا، لماذا الآخر متطور عنا كثيرا؟ ولماذا لا تستطيع ثقافتنا أن تخترق هذا (السيد الأبيض)؟ وما السبل إلى ذلك؟، وهذه القنوات والمحطات العربية الفضائية التي تملأ فضاءات العالم كله، ماذا يفهم منها الأوروبي أو الغربي؟ كيف نؤثر فيه ونحن نتحدث بلغة لا يفهمها؟ وهل نقنعه بتعلم اللغة العربية لكي نطرح قضايانا أمام الرأي العام الغربي؟ ولماذا لا يكون إعلامنا الموجه إلى الغرب باللغة الإنجليزية مثلا؟ فنحن في واد والآخر في واد آخر.

الشاعر سميح القاسم قال ذات مرة «إن هؤلاء أربعة الملايين إسرائيلي يمكن أن يضيعوا في أحد شوارع القاهرة، لكن للأسف هذا الكلام وحده لا يكفي لحل المشكلة، فهي قائمة والدماء تسيل بشكل لا يصدق، وهم يشتدون ويتكاثرون بشكل لا يصدق أيضا. نحن في حاجة إلى أن ننتقد أنفسنا دائما لتحسين إمكاناتنا ومهاراتنا في مجاراة الآخر والتفوق عليه، أن نفكر أولا، كيف نستطيع أن نساهم مع العالم في الحيلولة دون ظهور أو تكاثر كائنات مثل (فرانكو) أو (شارون) قبل أن ننتظر ظهور أشخاص ثوريين مثل بيكاسو أو غيره.

الفنان من جانبه يقدم لوحة جميلة ومؤثرة وتحمل دلالات كثيرة، لكنه لن يستطيع وحده أن يجد حلا للإشكالات الكبيرة، ويجب ألا ننسى، على سبيل المثال، لوحات (أوروزكو) الثورية التي فشلت في إيجاد حلول لمشاكل المكسيك، وبقيت قيمتها الجمالية والتاريخية فقط، فهل كان رساما رديئا؟ بالتأكيد لا، لكنه لا يستطيع أن يقوم بهذه المهمة وحده أو مع بعض الفنانين.

جميل ورائع جدا لو فكرت مؤسسة عربية واحدة في هذا الوقت في دعوة مجموعة متميزة من الفنانين الغربيين والعرب لمعرض كبير للملصقات، يكون موضوعه محددا بما يحدث الآن في الأراضي الفلسطينية، ويقام في إحدى العواصم العربية، بحيث يرافقه كتلوج مناسب، وينتقل إلى بعض العواصم الغربية المتعاطفة مع قضيتنا. فأنت لا يكفي أن تحب امرأة جميلة جدا لكي تكون عاشقا، بل يجب أن تعرف كيفية انتزاع إعجابها والسيطرة على قلبها أولا، نحن في حاجة إلى تحسين إمكاناتنا لمجاراة الآخر والتفوق عليه.

نستطيع أن نستثمر حتى طابع البريد الصغير الذي يجوب العالم كله مع رسائلنا، نطرح قضايانا ووجهات نظرنا عبر كل القنوات والوسائط من خلال المهرجانات والمطبوعات، باستخدام التكنولوجيا المعاصرة التي يستخدمها الغربي كسلاح للسيطرة على (الآخر). نحاول ألا نبرئ أنفسنا تماما ونعترف بتقصيرنا، نطرق كل الأبواب، حتى النوافذ ونحن نحمل قضايانا وأفكارنا وحلولنا أيضا، نفكر في اللحاق بـ (الآخر)، نكون محترفين، وليس مجرد هواة صغار، في كل المجالات.

ونحن الآن في صلب الموضوع، في روح المشكلة، فهل يكفي أن نرسم لوحات مثل الجورنيكا بعد فوات الأوان، أم يجب أن نتحد جميعا كي لا يتكرر رسمها مرة أخرى؟

ستار كاووش - العراق

> نحن الآن في صلب الموضوع، في روح المشكلة،
> "فهل يكفي أن نرسم لوحات مثل الجورنيكا بعد فوات الأوان،
> أم يجب أن نتحد جميعا كي لا يتكرر رسمها مرة أخرى"

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا كلام... بل قتال

لا أجد كلاما بحجم الحدث، العدوان الإسرائيلي وحشي بدرجة فاقت كل الجرائم المرتكبة في حق البشر، والمقاومة الفلسطينية باسلة بدرجة تجعل الكلام بلا معنى.

أنا مقاتل، سبق أن تعامل مع الصهاينة وجها لوجه، الحل عندي، أن ألبس الكاكي وأن أتوجه إلى ساحة المقاومة، هذا هو الفعل الوحيد الذي أراه صالحا الآن، وليت الطريق تنفتح أمامي فأذهب وأقاتلهم فعلا.

إليك هذا الكتاب، كتابي «قناص حرب الاستنزاف - نوار عين الصقر» وفيه سرد لقتالي الفعلي ضد إسرائيل في حرب الاستنزاف وشعوري كمقاتل تجاه ما يحدث الآن، إليك مشاهداتي عن القدس التي زرتها ودونتها في الكتاب:

«أحسست إحساسا غريبا، فتارة أجد نفسي في أرض عربية، وتارة أخرى وسط مجتمع إسرائيلي. إن القدس مشطورة شطرين، نصفها عربي، والنصف الآخر إسرائيلي. تدفق دم غاضب في عروقي. ملأتني أحاسيس وطنية عجيبة، لا سيما حين أسير في شارع ممتد. وعند نقطة فيه، استوقفني صوت يمنعني من مواصلة السير سألت صاحب الصوت عن سبب دعوته لي بالرجوع، وعدم رؤية بقية الشارع، أجابني بأن إسرائيل أغلقت الشارع عند هذه النقطة. اعتراني شعور بالخطر والرغبة في المخاطرة. تذكرت اللاجئين الفلسطينيين ومأساتهم. كل هذا لم يمنعني من البقاء ثلاثة أيام أرسم القدس بعماراتها القديمة ورائحة تاريخها العريق الذي تفوح منه روائح الصراع الحديث. وتلك المشكلات التي سمعت عنها في حينه بين الأردن وإسرائيل. ما زلت أرسم القدس، لكن الذي لم أرسمه بعد، القدس محررة ونقية من الأسر وانتهاك مقدساتها».

«لقد كانت تجربة زيارتي للقدس حاسمة في حياتي. لقد ظل المصريون، وأنا منهم، يحاربون إسرائيل من دون أن يروها، أو يروا إسرائيليا واحدا، إسرائيل فقط تسرق منهم حياة أبنائهم من الجنود والضباط. الحرب دائما في صحراء سيناء الشاسعة أو في فلسطين. كان المشهد بائسا وغير واقعي، وكأن ضباط وجنود مصر في سيناء هم ضباطها وجنودها الذين أرسلهم الخديوي إسماعيل للحرب في أمريكا والمكسيك. تجربة القدس وضعتني وجها لوجه مع إسرائيل والإسرائيليين، وولدت داخلي الرغبة في قتال الإسرائيليين وقتلهم للثأر مما فعلوه بنا، نحن العرب في كل مكان، بل وما رأيته من خطر شديد يهدد مقدسات المسلمين والمسيحيين. لقد رأيت الإسرائيليين أعداء لي وللإنسانية. وستترك هذه الزيارة أثرها في نفسي وحياتي أمدا لا أعرف مداه، وسوف يظهر ذلك في لوحاتي التي يتصدر مركزها إنسان في حصار بالغ القسوة. إنه حصار العرب ومقدسات الإنسان كما رأيته على أيدي الإسرائيليين في القدس. لا أتخيل ماذا يمكن أن يعتريني الآن من أحاسيس لو رأيت القدس وهي تغتصب يوميا على أيدي غلاة المتطرفين من القتلة المحترفين في إسرائيل، لعل تخيلي لتلك الصورة كان وراء آخر معرض لي قبل نشر هذه الذكريات، والذي حمل اسم «من وجوه الفيوم إلى جبل أبي غنيم، جسد مصري وروح عربية».

أحمد نوار - مصر

استطاع الفنان الشهيد ناجي العلي تدوين اسمه كأحد أهم الفنانين، الذين حولوا فنهم إلى صورة نابضة حية عن واقعهم. يقول كلمته من دون مواربة أو مهادنة، يفضح كل الممارسات البشعة التي يتعرض لها الفلسطينيون. فمن هذا الفنان؟

إبراهيم اليوسف - سوريا

يعرف صاحب الرصاصة التي قتلته

حنظلة مازال يبكي ناجي العلي

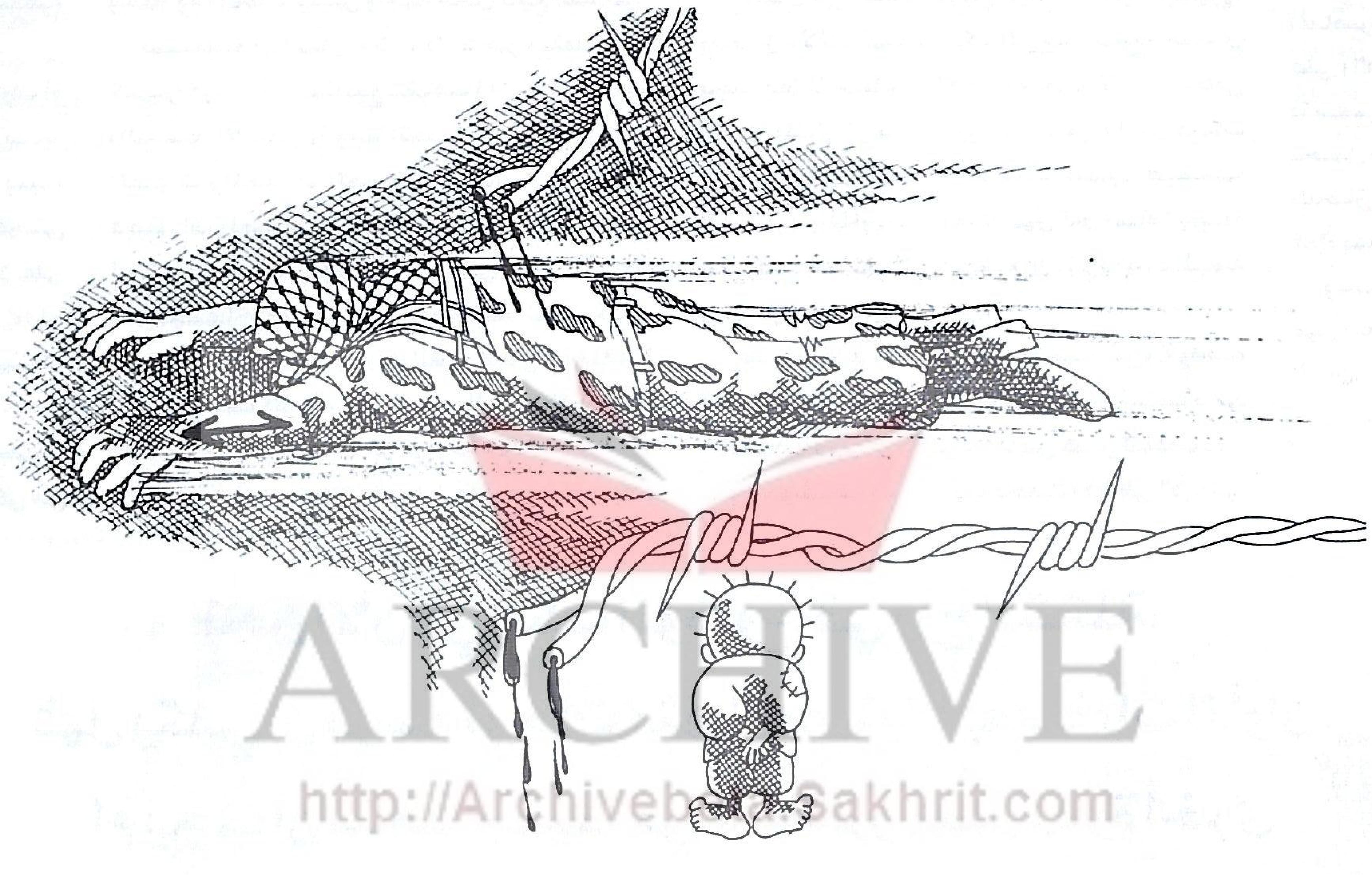

ولد ناجي العلي في قرية الشعيرة عام ١٩٣٧، هذه القرية التي تقع بين طبريا والناصرة قضاء الجليل، نزح عام ١٩٤٨ بعد نكبة فلسطين المؤلمة إلى أحد مخيمات الجنوب اللبناني، وتحديدا (عين الحلوة) بالقرب من مدينة صيدا، حصل على الدبلوم في الميكانيكا والكهرباء، وعمل في البساتين بشكل موسمي لأنه حُظر عليه التوظف في البلديات.

يقول العلي في الحوار الذي أجرته معه رضوى عاشور «رغم أنني حصلت على الدبلوم في الميكانيكا والكهرباء، فقد كنت أعمل بشكل موسمي في البساتين في قطف البرتقال والليمون، ولم يكن هناك عمل آخر متاح، بل لم يكن مسموحا لأي فلسطيني أن يكون موظف بلدية».

أراد هذا الفنان أن يعبر بالرسم عن معاناة شعبه في لوحات الكاريكاتير، لكن السجن كان الحاجز بينه وبين دراسته، يقول «حاولت أن أتابع دراستي وأعبر عن نفسي بالرسم، التحقت بالأكاديمية لمدة سنة، إلا أنني في تلك المرحلة تعرضت للسجن ست أو سبع مرات، وعملت مدرسا للرسم فترة قليلة في كلية الجعفرية في صور».

كان طموحا يريد أن يجعل من رسوماته فضائح لجرائم الصهاينة، وقد حالفه الحظ للعمل في الكويت في مجلة «الطليعة»، في الصحافة والإخراج وسكرتارية التحرير، هذه المفردات لم تأت عبثا أو ضربة حظ، وإنما نتيجة لنشاطه الملحوظ، حيث يقول «كنت أعمل صحافيا ومخرجا للمجلة وسكرتير تحرير، ثم بدأت أحتل مساحة في المجلة أعبر فيها عن نفسي بلغة الكاريكاتير تدريجيا، اتسعت هذه المساحة فأصبحت أقدم رسوم صفحة كاملة ثم صفحتين».

وكأي إنسان عادي بات يجمع القليل من المال كي يستطيع متابعة رسالته الرائعة، يقول «عندما ذهبت إلى الكويت كان همي أن أوفر «قرشين» كأي شخص يتوجه إلى مجتمع استهلاكي».

ناجي العلي رأى صورة حقيقية له هو حنظلة هذا الإنسان الوفي، هكذا وعد حنظلة، يقول «أنا حنظلة في مخيم عين الحلوة، وعد شرف أن أظل مخلصا للقضية ووفيا لها»، حنظلة هذا الاسم الجميل الذي عشقه الملايين، وخلد اسم ناجي العلي المنحاز إلى كل ما هو جميل وأصيل يقول «وأنا شخصيا منحاز إلى طبقتي منحاز إلى الفقراء، وأنا أغالط روحي ولا أتملق أحدا». إن نفس الفنان الأبية كانت تأبى الخضوع لأي سطوة، انتماؤه الوحيد هو إلى القضية والوطن والإنسان، يرفض الاستكانة والذل، بل يحاربهما على الدوام، ومن هنا كان موقفه، يقول «الأنظمة تحب أن يكون الفنان والمثقف والصحافي من أدواتها فتعلق لهم النياشين والأوسمة، ولكن في تقديري أن على الفنان أن يكون مخلصا لجماهيره». لقد أدرك فناننا الشهيد مدى الحقد الدفين في نفوس الصهاينة والمستعمرين الذين عاثوا فسادا في دياره، وطردوا أهلها ونهلوا من خيراتها، ودنسوا ترابها الطاهر، يقول الشهيد ناجي العلي «كان الإسرائيليون قد حرقوا المخيمات والأطفال والنساء وسقط مئات الضحايا»، وكفلسطيني اعتاد على مشاهد الذبح على أيدي الغزاة، فإنه لم يرهب الموت الذي كان يهدده، لأن الموت بالنسبة إلى أي مناضل مدرك لذاته ضريبة لا بد يدفعها بكل تأكيد. يقول: «الإسرائيليون أوصلونا إلى حالة نفسية من هذا النوع، كنا قد تجاوزنا مرحلة الخوف والهلع، وكان الخط الفاصل بين الحياة والموت قد سقط»، والفنان يدرك تماما دور المرأة المناضلة في الذود عن القضية، والمرأة هي الأم، الأخت، الزوجة، تناضل جنبا إلى جنب هكذا تعودناها من قبل، يقول ناجي العلي «كانت المرأة تدافع عن زوجها، تعيد بناء بيتها، تؤمن ماءها، لتطمئن على الأولاد في أي معتقل، تخرج في المظاهرات، تطالب بالإفراج عن الرجال المعتقلين، وكانت إسرائيل تحصدهم حصدا بالرصاص»، إسرائيل لم تعترف بقوانين الحماية وأبسط شيء الصحافة يقول: هناك صديقة إيطالية صورت مشهدا لنساء سقطن برصاص الجنود واستشهدن، ولاحقها الإسرائيليون ومرّغوها في الوحل، ولكنها استطاعت الهروب وجاءت إلى البيت عند وداد زوجتي وغسلت الكاميرا ونشرت الصورة التي التقطتها في مجلات غربية»، ناجي العلي يفضح تناقضات الصهاينة التي يزعمونها، يقول «في هذه المرحلة كان الجيش الإسرائيلي يأتي بالصحافيين إلى صيدا، ويجعلهم يشاهدون كيف يقدمون مياها للشرب إلى الأطفال»، خادعة بذلك أجهزة التصوير والرأي العام على مرأى مخلفات مجزرة صبرا وشاتيلا التي دفعته إلى البكاء المرير عندما صفعت ناظريه، يقول «أنا بكيت مرة واحدة بعد خروج المقاومة ومجزرة صبرا وشاتيلا».

الرسم عند ناجي العلي هو الهواء والنبض، يقول «الرسم هو الذي يحقق توازني الداخلي هو عزائي ولكنه أيضا يشكل لي عذابا».

ويقول عن المسيح «إن المسيح يعنيني كغيمة في الوفاء، ولقد رسمته كثيرا ليس لأنه فلسطيني، بل لأنه مطارد ومغلوب وهو النبي» لم يحصر ناجي نفسه في مدرسة فنية واحدة، إنما كان منتميا إلى مدرسة خاصة جدا لأنه باختصار ابن الحياة، والمعبر عن واقعه المؤلم، يقول أحمد هلال في مجلة الفتح العدد (٤٤٤)، «مثقف وطني لم تصنعه المدارس بل صنعته همومه، هموم الإنسان العادي المقهور والمغلوب على أمره»، لم يكن ناجي العلي يهاب الموت، يعرف أن مصيره سيختم برصاصة يعرف صاحبها جيدا، يقول أحمد هلال «ناجي العلي عرف أنه سيموت اغتيالا فلم يكن الموت هاجسه الأول».

حقيقة أن كتبا كثيرة تعجز عن سرد ملحمة حياة ناجي العلي وفنه، يقول سليمان الشيخ في مستهل مقاله، جريدة الحياة ٢٠٠١/٥/٨، حول كتاب تناول حياة الكاتب وفنه «كتاب جديد عنه لا يضيف جديدا هذا الشخص الاستثنائي ليستعصي حقا على عشرات الكتب والدراسات، الإحاطة ولو بجزء من أهميته نظرا لتنوع وغنى تجربته الفنية والحياتية».

ولعل خير ما أختتم به مقالتي هو ما يقوله بسام رجا، مجلة الفتح عدد ٤٩٤، «ما أحوجنا اليوم إلى ذلك الشاب النحيل، ليقض مضاجع النائمين إن استفاقوا، ما أحوج الأمة إلى مئات الآلاف من الحناظل، كي يصرخوا في الليل العربي الطويل. حنظلة اليوم لا يبكي ناجي العلي»، إنه يخرج من الإطار، ولقد خرج منذ شاهدوه في غزة يرمي حجارة من سجيل ◆

لكنني، وفي إحدى المرات انتبهت إلى شخص ما هناك يراقب هذا المشهد، يقف في أقصى الزاوية السفلى لشاشة التلفاز، تعجبت واستغربت من أين أتى هذا الكائن، بحثت عن محطة أخرى تبث أخبار الانتفاضة، فوجدته يقف في المكان نفسه. كان صغيرا جدا، طفلا وديعا، حافي القدمين، يلف ذراعيه إلى الوراء، صعلوكا يرتدي ملابس مرقعة كبقية الصعاليك في هذا العالم. أنا أعرفه جيدا، وأنتم تعرفونه بالتأكيد، إنه حنظلة، ذلك الطفل الفلسطيني الذي كان يتفرج على مأساتنا اليومية من خلال رسوم فنان الكاريكاتير، ناجي العلي، الذي غيبته رصاصات الغدر والخيانة الجبانة، التي لم تكن تريدنا أن نرى بعين حنظلة ما سوف يحصل بعد ذلك من مساومات ومزايدات، وبيع وشراء للقضية الفلسطينية التي صارت سلعة رخيصة جدا، وأحسسنا بأهمية اختفاء هذا الفنان العظيم في ظل هذا الواقع البائس المهترئ، الذي لا يحتاج إلى تعليق على الإطلاق، لأنه مشهد كاريكاتيري مائة في المائة. ولأن مهمة الكاريكاتير هي كشف المستور وتحريض المجتمع للثورة على الخطأ.

من هنا يصبح هذا الفن ضروريا، لأن المشهد ليس في حاجة إلى تعليق أو تحريض.

عندما استشهد ناجي العلي، كان حنظلة لا يزال طفلا في الثامنة من عمره، وبمرور الوقت صار حنظلة يكبر حتى صار شابا يافعا في العشرين من عمره. هذا الشاب اليافع، لم يعجبه ما يحصل من بيع ومساومات ومقايضة وشراء ذمم وتنازلات لها أول وليس لها آخر. لم يحتمل حنظلة المشهد فاضطر إلى قلب طاولة المفاوضات على رؤوس المتفاوضين، لتبدأ صفحة جديدة في تاريخ شعبنا الفلسطيني البطل.

الزميل العزيز ناجي العلي

ساعة الخلاص آتية لا محالة لأن حنظلة استدل إلى الطريق الصحيح، صارحنظلة مجاهدا يرفع راية لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وما عاد يبكي ويتباكى على صلاح الدين، وما عادت الفلسطينية تصرخ وامعتصماه، لقد سار الجميع على طريق الحسين عليه السلام، طريق الشهادة والتضحية.

في كل يوم يتكرر المشهد نفسه، أفتح التلفاز لأرى وأسمع آخر تطورات الوضع في فلسطين الحبيبة، أطفال يتراكضون وحجارة وهراوات تنزل على رؤوس العباد وقذائف تتساقط وشهداء يزفون في مواكب مهيبة، وجرحى بالعشرات، والمرأة الفلسطينية تقف شامخة وسط كل هذا الدمار والموت المهيب...

الانتفاضة بعين حنظلة

لقد عادت القضية الفلسطينية قضية العرب الأولى، بعد أن صار لكل دولة عربية قضيتها الخاصة. وأنا، كعراقي، صارت لي قضيتي التي تتقاطع في بعض الأحيان مع القضية الفلسطينية، والسبب أن البعض من الشعب الفلسطيني خدع كثيرا بما طرحه ويطرحه النظام العراقي من شعارات براقة وتافهة حجبت الحقيقة عن الجميع، حقيقة إن صدام حسين أكثر قبحا من شارون، لكن ومع الأسف الشديد فقد تعودنا أن نرى الحقائق بعين واحدة. أما العين الثانية فهي مغلقة وإلى إشعار آخر. وهذه هي حال الكاريكاتير العربي اليوم. فنانو الكاريكاتير العرب لم يعودوا يرون إلا المجرم شارون، أما بقية المجرمين فالنظر إليهم ممنوع لأن المرحلة الدقيقة لا تسمح بقول الحقيقة كاملة، وعلينا أن نتعود ونروض أنفسنا على قول أنصاف الحقائق، وإلا كان مصيرنا ومصيرك واحد، ولأنك لا تعلم جيدا أن قادتنا القوميين يجيدون استخدام كاتم الصوت كإجادتهم العبقرية لمكبرات الصوت التي ينهالون علينا بها كل يوم بأطنان من الشعارات الرنانة والهتافات الطنانة، التي امتلأت بها بطوننا حتى أصبحنا نتطاير كالبالونات المفزوعة في سماء الوطن والأوطان المجاورة حتى امتلأت بنا الكرة الأرضية، وصرنا ننفجر الواحد تلو الآخر، ونغرق في بحار لا نعرفها، ونضيع في هذه الفضاءات الغربية.

وأبشرك يا ناجي بأن العرب لم يسكتوا على هذه الهجمة الصهيونية على شعبنا الفلسطيني الأبي، بل خرجوا في مظاهرات حاشدة من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر، فأدانوا واستنكروا وشجبوا، وزيادة على ذلك أحرقوا علم إسرائيل ومزقوا علم أمريكا، وشتموا وبصقوا وسبوا كل من له علاقة بالاستعمار والإمبريالية والصهيونية العالمية، ثم رجعوا إلى بيوتهم وتعشوا ثم ناموا!!

لقد أدمن المواطن العربي الشعارات التي صارت ضرورة حتمية لا فكاك منها ولا فرار، وصار الإنسان العربي كمدمن المخدرات وتحديدا الهيروين، فإبرة الهيروين تنقل الإنسان المدمن من عالم وواقع مر إلى عالم آخر مختلف يشعر فيه بالتفوق والقوة... كذلك الشعار... هناك أجيال من المواطنين العرب الذين أدمنوا رفع شعارات إسقاط الاستعمار والإمبريالية والصهيونية العالمية بالهتافات والمسيرات التي لا تنفع ولا تضر، وقد يدرك المواطن العربي سلبية هذه الحال التي يعيشها، ولكن لا يمكنه التخلص منها لأنه تربى عليها، ولأنه أدمنها حتى النخاع...!!

لكن لا تحزن يا ناجي العلي فحنظلة وأم العبد وأبوالعبد وأبناؤهم وبناتهم وكل الشخصيات التي راهنت عليها في الماضي، هي التي تقود الانتفاضة الباسلة اليوم، وهي التي تتصدى بصدورها العارية لمدافع المجرم شارون، لتكتب بدمائها صفحة جديدة مشرقة من تاريخ نضال شعبنا الفلسطيني في الداخل، فألف تحية وسلام إلى كل من قدم روحه قربانا لتحرير هذه الأمة من الظلم والطغيان.

كفاح محمود –

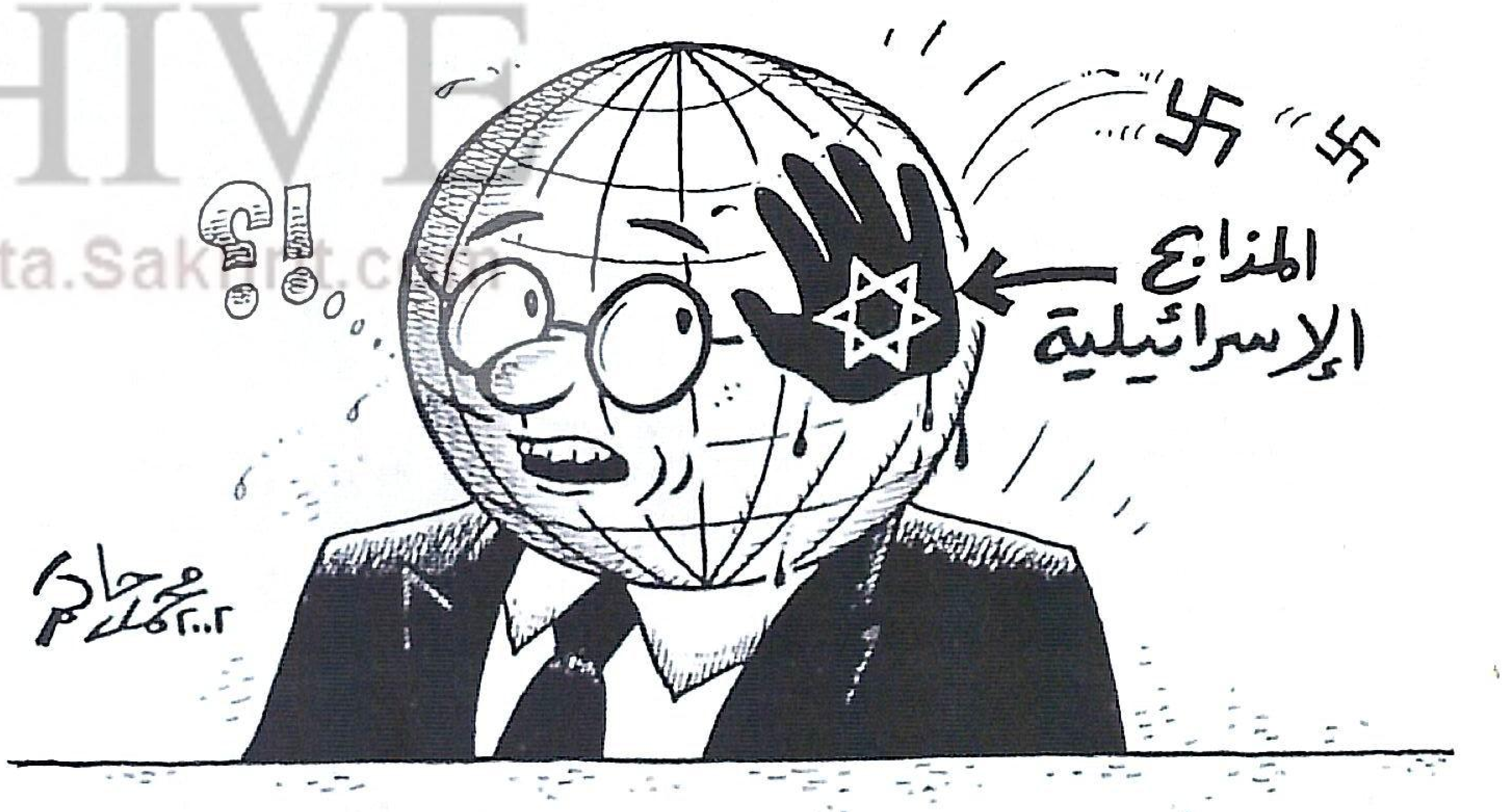

علينا أن نخوض حرب القرن الجديد الشاملة بالعقل والحكمة

في رأيي أن رسام الكاريكاتير هو ضمير مجتمعه – وشهادته على الأحداث لا تحتاج منه إلى كلمات أو كتابات – فأنا وغيري من الرسامين قدمنا آلاف وملايين الرسومات التي تواكب القضية الفلسطينية منذ حرب ٤٨ حتى الآن.

ومنذ ١٤ سنة وأنا أنظر إلى ما يحدث من مفاوضات سلام واتفاقات أوسلو ومدريد على أنها مجرد مسكنات، ومهما تقدم من حلول فهي لتهدئة الأوضاع وتأجيل الانفجار والكارثة.

إسرائيل تدمن الخداع وتدمن الكذب، وهي تريد دوما أن تخلق حوارا حول السلام، كأنها دولة معتدى عليها ... كأنها مظلومة، ولا مانع لديها من مؤتمرات للسلام، ولكن عندما يصل الكلام إلى حل نهائي، يقلبون الموائد والاتفاقات، ويبدأون في العنف، وهذا هو منطق «البلطجة» الذي ترعاه الولايات المتحدة الأمريكية.

ولا شك في أن رسوماتنا تواكب ما يحدث، وكانت لدي فكرة قبل عقدين أن رسوماتي السياسية تنتهي بانتهاء الحدث وتفقد قوتها الساخرة – لكن عندما أجمع رسوماتي عن القضية الفلسطينية، منذ ١٤ عاما وحتى الآن، أجدها طازجة وقابلة للنشر ومواكبة لما يجري، لأن إسرائيل أدخلتنا في لعبة المتاهة التي فيها كل الشوارع مغلقة ومتشابهة، وما قامت به بالأمس تقوم به اليوم – والمذابح التي ترتكبها اليوم هي إفصاح عن حقيقة إسرائيل وجوهرها ككيان عنصري لا يريد سوى المزيد من الحرب والقتل للأبرياء من أجل أن يستولوا على الأرض التي ليست ملكا لهم.

وللأسف فإن رسوماتنا لم ينتبه إليها العرب ولا إلى ما تحمله من نبوءات، فناجي العلي مثلا، قبل أن تقوم انتفاضة أطفال الحجارة الأولى بأعوام في الثمانينيات تنبأ بها في رسوماته، وما يحدث حاليا من مجازر كلنا تخيلناه ورسمناه، ولو أن العرب يتقنون لعبة الحياة والخيال، لكنا تغيرنا تماما منذ عشرات السنين، ولكانت حلولنا لمشاكلنا وعيوبنا ستكون جذرية وعملية تدفع بنا إلى الأمام وليس إلى الخلف.

وأعتقد أننا وضعنا أنفسنا في موقف العاجز، فنحن في زمن العولمة والحضارة والحرب ليست سلاحا في وجه سلاح، وإنما اقتصاد وعقول وأفكار، ونحن لا نمتلك أي شيء من هذا. وبالتالي فمن الطبيعي أن نشعر بمأزق، كحكومات وشعوب تجاه ما يحدث لإخواننا في فلسطين، ولنعترف بالعجز فهذا بداية النجاح وبداية الحل.

ونحن في زمن القوة بمعناها الشامل ... إعلام واقتصاد ودبلوماسية وقدرة بشر على التفكير، وعلينا أن نعيد تصنيع قوتنا الذاتية، فمجلس الأمن لن يحل قضيتنا، والولايات المتحدة الاميركية لن تدعمنا في حل عادل، لأنها أعلنت وقالت بأعلى صوت: إسرائيل هي الصديق الأوحد لي في المنطقة، ولن أتخلى عن أمنها، ولن اتركها. وهذا موقف واضح للأمريكان وعلينا أن نقابله بموقف واضح أيضا تجاه أمريكا وإسرائيل ... علينا أن نقول: لا مصالح لأمريكا في المنطقة إلا إذا استعدنا أراضينا كاملة، علينا أن نلعب معهم حرب القرن الجديد بالاقتصاد والإعلام ... لنقل إننا لن نشتري طائرات البوينج الأمريكية، ونوقف صفقاتنا في هذا الشأن، أن نمنع استيراد السلع الأمريكية، من السجائر إلى الكوكاكولا – وأن ننشط إعلاميا لنفضح إسرائيل وسياسة أمريكا الخارجية.

وموقف الشعب الفلسطيني موقف نبيل، ونقول لهم دافعوا عن أرضكم وموتوا فيها شهداء، فهذا أفضل من أن تموتوا خارجها جبناء، وكل العرب معكم.

محمد حاكم – مصر

المجازر والمآسي التي تقع في فلسطين هي أحداث متوقعة، فاليهود عنصريون، هوايتهم القتل، وهم يمارسون فظائع فشلت من قبل في الجزائر وجنوب أفريقيا على أيدي الاستعمار العنصري، وتبين أن العنصرية مضللة ... والوجود الإسرائيلي في فلسطين يمثل آخر استعمار في العالم، كذلك سيزداد شراسة وسيرتكب جرائم أخرى، لأنه يحاول أقصى ما يمكن أن يعيش لأمد أطول، لكن نهايته معروفة، وسينتهي.

لا بد من تفعيل دور الفن

هذه نهاية المستعمرين والعنصريين في العالم، لا يهمهم مصير البشرية، إنما يهمهم تحقيق أحلامهم المريضة، وأنا واثق من النتيجة، فكل العالم يريد أن يعيش وأن يتخلص من المعوقات الوحشية واللا إنسانية، التي تعوق تقدم الحضارة البشرية.

واليهود خططهم معروفة، وهي خطط تاريخية للسيطرة دائما على مراكز القوة في العالم بهدف تحقيق أحلامهم وأهدافهم، ولقد بدأوا هذه الخطة منذ تاريخ طويل، فساندوا هتلر في البداية حتى وصل إلى السلطة، ولكن لأنه، ديكتاتور، لم يعجبه أن يقف أمامهم في وضع فيه إذلال ومهانة، أو أن يقولوا إنهم سبب وصوله إلى السلطة، ولأنه عنصري مثلهم، اصطدم معهم فطردهم وعذبهم، وذهبوا إلى إنجلترا وانتزعوا منها وعد بلفور بإقامة دولة لهم في فلسطين، وعندما فقدت إنجلترا قوتها ذهب اليهود إلى أمريكا، القوة الجديدة الصاعدة، و«اشتغلوا عليها» حتى سيطروا على الاقتصاد والإعلام وعلى دوائرها السياسية. والرجل الأمريكي ليس لديه أي فهم عن العالم ... فاليهود مسيطرون عليه عقليا ونفسيا، ويدرك الأمريكان أنهم انجروا وراء شيء خطير سيؤثر في أمنهم.

واليهود يعرفون خطورة سلاح الإعلام كوسيلة لخدمة مصالحهم والتأثير في قوى العالم، فيبثون من خلاله أكاذيبهم، حتى دفعوا رئيس أمريكا، القوة العظمى في العالم إلي أن يقول مثلهم ان شارون رجل سلام ... وعلى رغم كل هذا فأنا متفائل.

وعلى الرغم من تفاؤلي، فإنني عندما أرى طفلا فلسطينيا مشردا لا يذهب إلى المدرسة، ويشاهد والده يقتل وأمه تهان وجده يضرب وبيته يهدم، أخاف وأرتعد لأن هذا الطفل مع كل أطفال فلسطين، سيكونون بعد ١٥ سنة على الأكثر جيلا مختلفا تماما، من حيث المشاعر والأهداف وسيتغير الصراع في المنطقة.

وانني لأعجب لقرارات مجلس الأمن التي لا تنفذ إلا على الضعفاء فقط، وعلى العرب خصوصا، أما إذا كان القرار يخص إسرائيل، فإن أمريكا تعترض بالفيتو. وشارون هذا رجل مخبول لا يحترم قرارات، ولا ينفذ اتفاقات، ولا يقف جنونه عند أي نداءات، وأعتقد أن سبب أزمته هو العقدة التي يشعر بها نحو العرب لإصابته في مكان حساس في جسده خلال الصراع مع العرب. فعنده عقدة خطيرة، حتى أنه يرهب اليهود أنفسهم، وعندما خرج صوت يطالب بفك المستوطنات البعيدة عن الحماية الإسرائيلية في عمق أراضي السلطة الفلسطينية رفض، بالضبط مثل هتلر عندما أبلغه قائد القوات الألمانية في ستالينجراد بالانسحاب لأن موقف الألمان صعب، فقال له هتلر: لو انسحبت ستكون خائنا، فحيثما يضع الجندي الألماني قدمه تصير الأرض ألمانية، وشارون يرى أنه حيثما وجدت مستوطنات يهودية فالأرض إسرائيلية، وهذه غطرسة مرجعها القوة التي يشعر بها بسبب مساندة الأميركان له، وهي قوة ستزول عندما تشعر أمريكا بالخطر على كيانها في العالم، وعندما تفقد سيطرتها على الدول.

وأنا أنظر إلى الغضب في الشوارع العربية على أنه تعبير عن الدهشة والروع اللذين استنفرتهما ممارسات إسرائيل ضد الفلسطينيين، والآن العالم كله غاضب، فالإسرائيليون يحاصرون كنيسة المهد، والأقباط سيزدادون ثورة عليهم مثل ثورة المسيحيين.

والفن له دور أساسي ورئيسي فيما يحدث حاليا، فهو سلاح مهم للدول العربية، وعلى الفنانين أن يقوموا بدورهم في كشف الحقائق للعالم، لأن كلام الفنان يحظى بالتقدير، وهو أقدر الناس على توصيل الأفكار إلى الرأي العام وإلى الشارع.

طوغان - مصر

إنها لعنة ناجي العلي تحلّ على المنطقة

إنها أصابت الإسرائيليين باللوثة المزمنة.

وهي اللعنة أصابتنا حكاما وشعوبا وقبائل، حكاما منتخبين من قبلنا أو ملوكا معينين وأولي الأمر منا، تناوبوا كل بحسب استطاعته على الاستغناء عن ناجي العلي ناقدا وواخزا ومقوما اعوجاج الثورة، ومحاسبا المقصرين الذين تخلوا عن ناجي ضميرا.

وهي اللعنة أصابتنا حكاما وشعوبا وقبائل، حين صمتنا أو تناسينا للحظة - سيان - فوصل ناجي العلي مكشوفا مشرعًا إلى لندن، فاستقبله كاتم الصوت على الرحب والسعة، دمه ما زال برقبة الموساد وبرقابنا جميعا. مع الأسف! الشعب الفلسطيني وحده، بالإذن من شعار - لست وحدك - إنه وحده «الشعب الفلسطيني الممثل الشرعي والوحيد» يغسل ويحاول أن يزيل عنا هذه اللعنة بدمه المسفوك.

ثم إنها لعنة هيروشيما تحل على إخواننا الأمريكيين منذ ١١ سبتمبر. منذ ذلك الحين أفقدت حكومتهم شعبها ديموقراطيته، وراحت تسحبها من الأسواق العالمية وتلمها كما لمتها قبلا حين رمت بمولودها: «القنبلة الذرية» على هيروشيما وناجازاكي من دون أخذ رأي أبنائها الأمريكيين أحفاد القارات كافة (ما عدا الهنود الحمر)، فأصبحنا بحلول اللعنة علينا جميعا سواسية. خلاصة القول: ... اللعنة!

سعد حاجو - لبنان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

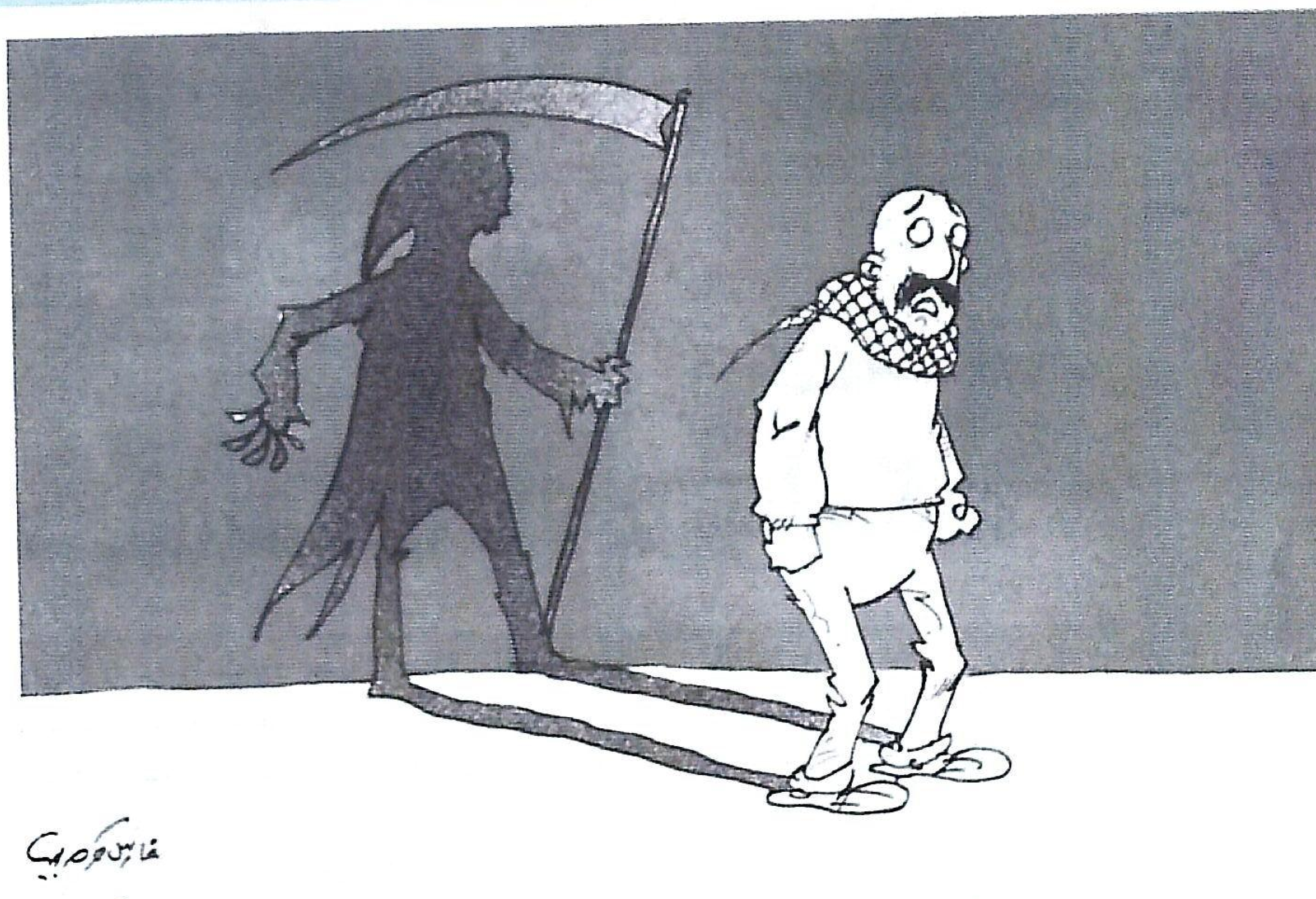

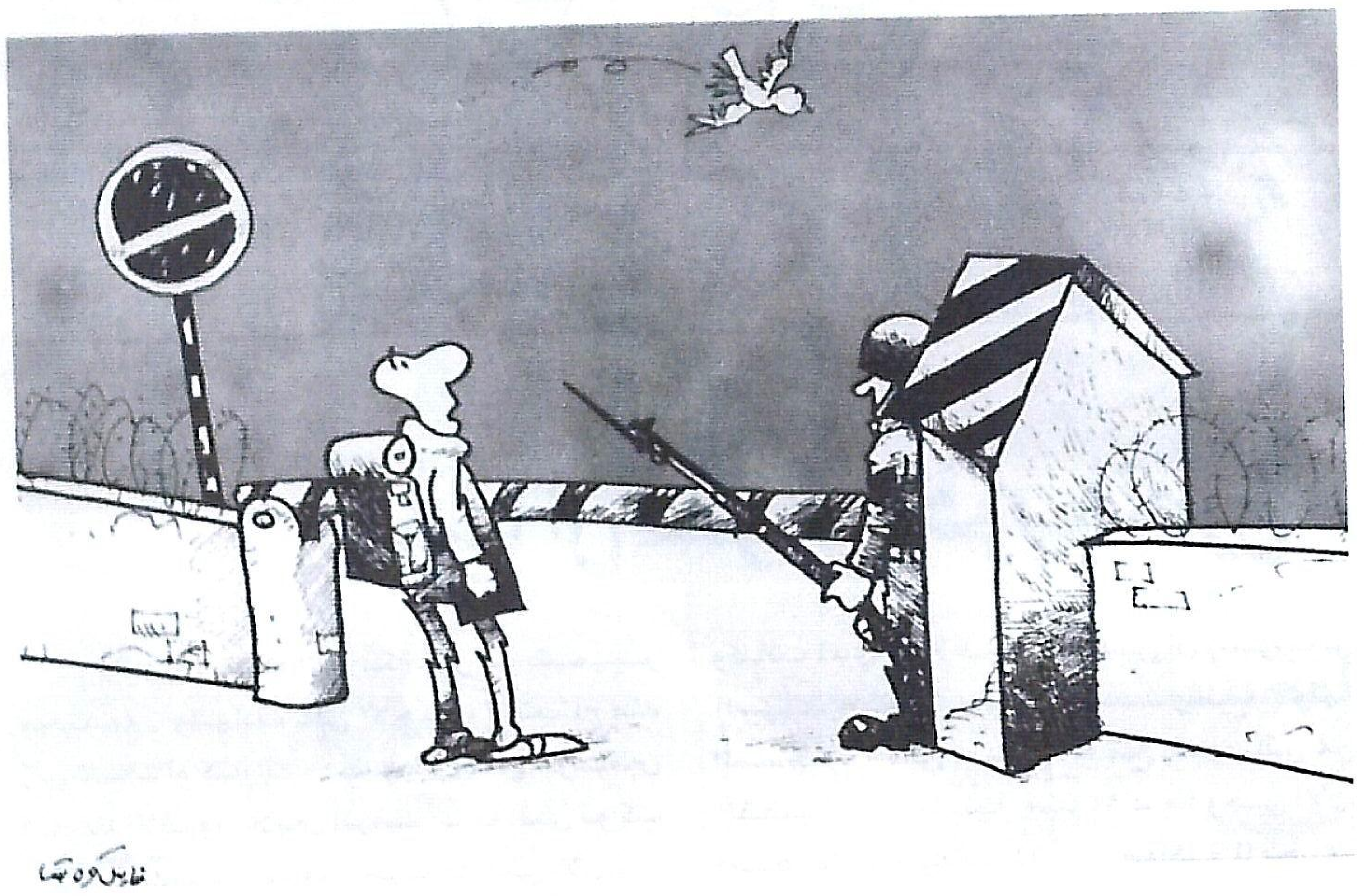

إلهي لا تغفر لهم لأنهم يدرون ماذا يفعلون!

كنت أسأل نفسي دائما بعد أن استطعت النظر إلى الشريط التلفزيوني لاستشهاد الطفل محمد الدرة بين يدي والده، وقد بدا المشهد كأنه تمثال فني يمثل ملحمة فريدة تذكرنا بعمل النحات ما يكل أنجلو - المنتجة - هل يمكن أن يكون هناك ما هو أفظع من هذا المشهد الذي صدره لنا عدو، لا يملك سوى قدرته على إدهاش العالم بما يرتكبه من فظائع.

وأنا لا أنسى حين ركزت إحدى الإعلانات على وجه الطفل الشهيد، وهي صورة نادرا ما تناولتها الصحافة، حيث ظهرت حالة من الرعب على وجه الطفل لا يمكننا أن نتخيلها، ولا يمكن لأي فنان أن يعبر عنها.

بقي السؤال الذي أطرحه على نفسي دائما كرسام للكاريكاتير: هل يمكنني أن أصور، بما أملكه من أدوات متواضعة، أحزان ومآسي الشعب الفلسطيني تحت نير الاحتلال الإسرائيلي؟

ولكي لا نذهب بعيدا، ففي اللحظة التي بدأت فيها صور مذبحة جنين تظهر للعالم، استوقفني السؤال التالي: ماذا أراد شارون من منع الفلسطينيين دفن موتاهم؟ وهو يعلم في النهاية أنه بعد فك الحصار عن المخيم ستأتي وسائل الإعلام، وتصور ما جرى من مجازر وفظائع، والشاهد عليها هو كمية من الموتى الذين قضوا حرقا أو تهدمت منازلهم فوق رؤوسهم.

ألم يكن باستطاعة شارون أن يدع أهاليهم يدفنونهم، وبالتالي يدفن معهم إدانتهم للقاتل شارون؟ يبدو أن ما أراده شارون فعلا أن يرى العالم فعلته من دون أي خوف وبأبشع أشكالها.

لذلك حين رسمت كاريكاتورا في ذلك، استلهمت فكرتي من كلمة السيد المسيح، لتقال على لسان الفلسطيني اليوم وبطريقة أخرى: إلهي لا تغفر لهم لأنهم يدرون ماذا يفعلون.

فارس قره - سوريا

في ذات يوم التقيت الدكتور محمد الرميحي وجرى وقتها حديث، فقادتنا تداعياته إلي موضوع فيه شيء من السريالية الكاريكاتيرية، مفاده أن الواقع أصبح يحمل من المبالغة أضعاف ما يطرحه الكاريكاتير من مبالغات ساخرة، وبالتالي أصبح منافسا لفن الكاريكاتير.

من المؤلم أن يحدث كل هذا للشعب الفلسطيني ونحن نقف مكتوفي الأيدي. وليس في وسعنا نحن الفنانين إلا أن نقدم إسهامنا البسيط في التعرية والفضح. أعتقد أن دور فنان الكاريكاتير مهم جدا، ناهيك عن دور الفنان بشكل عام، فهو دور مؤثر وحيوي، في تأكيد القضية وطرح أبعادها الخفية للجمهور.

لا توجد قصيدة أوقفت مجزرة ولا لوحة منعت وقوع حرب!

من هذا المنطلق أوصلنا الحديث إلى فكرة تنوس بين الضحك والمأساة فيها من الجد قدر ما فيها من السخرية تماما، كالواقع الذي نعيشه بكل أبعاده.

والفكرة بكل بساطة تعتمد على مبدأ تصنيف البشر إلى ثلاثة أصناف أو فئات، ويتم ذلك بوساطة أجهزة علمية دقيقة تعتمد على فحوص سريرية للإمكانات العقلية والحس الإنساني للأفراد، ومنح درجات يتم على أساسها التصنيف.

فئة أ - وهذه تضم مجموعة بشرية من الذين وظفوا عقولهم من أجل الخدمة الإنسانية في كل مجالات الحياة، والمتمتعين بإحساس عال بالمسؤولية.

فئة ب - وتضم مجموعة من البشر لكنها فاقدة الهوية، أقدامهم غير ثابتة، يميلون إلى القطيعية والحوارات العقيمة.

فئة ج - وهذه الفئة تضم الناس الدونيين والذين يمارسون هذه الصفة في المجالات السياسية والاجتماعية والإنسانية.

والهدف من وراء تلك الفكرة التصنيفية، هو ممارسة الحضارة وتطبيقها على الشكل الأمثل، وتجنيب العالم والإنسانية ما يحصل من كوارث.

والإشارات التي يحملها صاحب التصنيفات تحدد سلفا إلى أي فئة ينتمي ... ولكي لا نتهم بالعنصرية، فيمكن لأصحاب الفئات الأخرى تطوير أنفسهم والارتقاء بسلوكهم، على أن يخضعوا لفحص آخر فيما بعد، وتبدل لتصنيفاتهم حسب ما ارتقوا إليه من معرفة وعلم وإنسانية.

الهدف الثاني من وراء فكرة التصنيف، هو أنه لا يمكن لأي مسؤول أن يتسلم منصبا إلا بحكم الشارة التصنيفية التي يحملها، وهذا ما يوفر كوادر جيدة تنهض بالأوطان.

أما الهدف الثالث فهو أن أصحاب النوايا الخبيثة والدونيين مضطرون إلى التواري عن أعين الناس والاختباء، لأنهم سيلفظون من قبل مجتمع حضاري مفترض.

أفكار وتخيلات وأماني كلها من ورق، فالخير ما زال في الكتب واللوحات والأحلام، والشر يستوطن الواقع، ويقتل الأبرياء ويدمر المنازل فوق رؤوس ساكنيها باسم مكافحة الإرهاب. وحتى الآن لا توجد قصيدة أوقفت مجزرة، ولا لوحة منعت وقوع حرب، ولا موسيقى حالت دون تدمير همجي لحياة.

أما الغد فربما كان شيئا آخر، وربما تعلمنا الانتفاضة الفلسطينية الباسلة كيف سيكون.

علي فرزات - سوريا

فنان الكاريكاتير يقدم جديدا عندما يسخر من أمريكا وموقفها العجيب

دور الكاريكاتير مهم خاصة عندما تتاح له مساحة جيدة في الوسائل الإعلامية وفي مواقع الإنترنت، فهو قادر على تحريك الوجدانات والوعي بملابسات هذه القضية بشكل جيد. والقضية الفلسطينية أصبحت هاجسنا الوحيد، وعلى مدار ساعات اليوم نهجس بها، ونفكر. فالنقل الحي لما يحدث، يجعلنا في قلب الحدث، مما يجعلنا أكثر استشعارا لمسؤولياتنا.

وما يحدث من هجمة على الشعب الفلسطيني يعد شيئا غريبا، وسط صمت غريب، حتى الطفل الصغير واضحة أمامه أبعاد هذه الهجمة.

وفنانو الكاريكاتير عندما يطرحون قضية كهذه، فإنهم يطرحونها بشكل آخر، اكثر من الذي نراه، ونحاول أن نظهر الأيدي الخفية التي تلعب في الخفاء، ففي النهاية إسرائيل ليست عدونا الوحيد. قضية فلسطين لن يحلها الكاريكاتير ولا أي فن آخر، لكننا وغيرنا من الفنانين نواكب الحدث بما يتطلبه من حماسة واهتمام، ناجي العلي قديما، محمود كحيل وغيرهما الكثير، كل هؤلاء أثروا الموضوع، وحاولوا أن يبذلوا جهودا كبيرة في هذا المجال. أنا أبكي إزاء ما يحدث للفلسطينيين، أشعر بالإهانة أمام أطفالي، أمام نفسي، شيء مخز ومذل. وأعتقد أن تأثير الفنانين خاصة فناني الأغنية الوطنية، أكثر من تأثير أي فنان آخر، خاصة إذا عممت أغانيهم وسمعها كل الناس، لأنها تضعك في الصورة بالضبط. لكن حينما يسخر الكاريكاتير من الوضع، مما يحدث من أمريكا وموقفها العجيب والصليب الأحمر ربما هنا يقدم جديدا، مثل هذه النوعية من الكاريكاتيرات، يجعل فداحة ما يحدث هينا قليلا، لكن في اعتقادي أن هذا شيء لا يكفي. ما نعيشه الآن ومنذ بداية الاحتلال حتى الآن، نشعر بأنه صورة مقلوبة تماما، ولا يمكن تخيلها. في رأيي أن ما يحدث الآن وعلى الرغم من مأساويته، طرح شيئا جيدا، أحيا مسألة الجهاد وخاصة العمليات الاستشهادية التي ترسخت، وهي أجدى من عمليات السلام، تلك التي تجري منذ سنوات ولم تسفر عن أي تقدم.

إبراهيم الوهيبي - السعودية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جريدة الفنون
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
قسيمة اشتراك

السيد رئيس تحرير جريدة الفنون «المحترم»

تحية طيبة وبعد، أرجو قبول اشتراكي في جريدة الفنون، وإرسالها على العنوان الموضح أدناه:

الاسم: ....
العنوان/ص. ب .... المدينة: .... الدولة: .... هاتف/العمل .... المنزل: ....

معلومات عن الاشتراك ومدته: ☐ اشتراك جديد ☐ تجديد اشتراك ☐ سنة ☐ سنتان

قيمة الاشتراك:
■ دولة الكويت: أفراد: ٨ د.ك — مؤسسات: ١٢ د.ك
■ الدول العربية: أفراد: ٢٤ دولارا أمريكيا — مؤسسات: ٣٦ دولارا أمريكيا
■ خارج الوطن العربي: أفراد: ٣٦ دولارا أمريكيا — مؤسسات: ٤٨ دولارا أمريكيا

نوع الاشتراك: ☐ أفراد ☐ مؤسسات

تصدر الشيكات باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

ترسل القسيمة مرفقة بقيمة الاشتراك على العنوان التالي: جريدة الفنون - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب ٢٨٦١٣ - الصفاة الرمز البريدي ١٣١٤٧ - هاتف: ٢٤٢٠١٩٩ - ٠٠٩٦٥ - فاكس ٢٤٣١٥٩٤ - ٠٠٩٦٥

«لوحات مذابح الأبرياء»، هو الكتاب الذي اخترناه من سلسلة «الفن العالمي» التي تصدر عن مؤسسة «أخبار اليوم» المصرية. والتي تهتم بنشر الثقافة التشكيلية عبر نشرها لمجموعة كتب مصورة عن أهم الفنانين العالميين الذين أثروا في حركة وتطور الفن التشكيلي على مستوى العالم ومنذ عصوره القديمة. وهي السلسلة التي تشرف عليها وتقدمها الناقدة التشكيلية فاطمة علي. وقد صدر منها حتى الآن ثمانية كتب، فبالإضافة إلى هذا الكتاب الذي بين أيدينا، صدر عنها: رمبرانت، فان جوخ، جويا، ڤيلاسكيز، بيكاسو، سلفادور دالي، ليناردو دافنشي.

و«لوحات مذابح الأبرياء» هو تجميع للوحات خمسين فنانا أرخوا لمذابح ارتكبها اليهود ضد أطفال بيت لحم.

عرض - محمد الروبي

لوحات «مذابح الأبرياء»

شهادة ضد الوحشية

هيرود ملك اليهود - للفنان ماتيودي جيوفاني

وفي مقدمة كتابها تقول الناقدة فاطمة علي «هذه اللوحات في الكتاب جميعها رسمت تحت مسمى واحد هو «مذبحة الأبرياء». وهي المذبحة التي دبرها الإرهابي هيرود ملك اليهود ونفذها في الأطفال الذكور الأقل من عامين في بيت لحم الفلسطينية والقرى المحيطة بها. وذكر التاريخ أن قتلاه من الأطفال بلغوا مائة وأربعة وأربعين ألف طفل رضيع بسبب ما علمه من نبوءة - ميلاد السيد المسيح - التي تفيد بأن ثمة مولودا سيصبح ملك اليهود، فخشي على عرشه وقرر التخلص من هذا المولود الذي يهدد عرشه في أبشع عملية إرهابية عرفها التاريخ ضد أطفال رضع!

وتؤكد الناقدة أن «هذه لوحات لن تراها مجتمعة في كتاب آخر - وهي جزء من كثير - فلم تقترب الإصدارات التشكيلية في الخارج من هذه المذبحة تجميعا ورصدا حتى لا تفضح بها من لا تريد فضحهم... وغير معروف من اللوحات المطبوعة غالبا لدى المهتمين بالفن غير لوحة شهيرة للفنان بيتر بروجيل موجودة في متحف تاريخ الفن في ڤيينا وأخرى معروفة اسما للفنان سباستيان بوردون في متحف الأرميتاج في روسيا. أما الباقي فالإعتام يغلفه بنسب مختلفة وإلى حد كبير».

وأجمل ما في هذا الكتاب هو تأكيده عبر لوحاته التي نفذها فنانون مختلفون ومن عصور مختلفة، على أن التاريخ لا يمكن أن ينسى مثل هذه المذابح والجرائم، حتى وإن اجتهد القائمون عليها في وضعها في سراديب التجهيل والنسيان.. والفن... الفن بالذات، هو الأقدر وحده على حفظ ذاكرة الشعوب، وخاصة الصورة، سواء كانت تشكيلا أو سينما أو تلفزيونا. وإذا كان الإعلام الحديث عبر فضائيات هذا العصر، قد كشف - وفي اللحظة ذاتها - عن جرائم الصهاينة ضد شعبنا الفلسطيني في جنين وغزة ورام الله وغيرها من المدن الفلسطينية. فها هو الفن - رغم القرون الطويلة المنصرمة - كشف ولا يزال يكشف عن أبشع مجزرة تمت في تاريخ البشرية، وها هو الفنان - عبر عصور مختلفة - ما زال يرى في هذه المذبحة معينا لاستلهامه ما يعبر به عن رفضه لجرائم القتل والتنكيل بالإنسان بصرف النظر عن انتمائه الفكري أو الديني أو الحضاري.

وكما تؤكد الناقدة فاطمة علي، فإننا عبر هذه اللوحات يمكن أن نكتشف «كيف يكون للفن رأي فيما يحدث مؤرخا وفاضحا للقبح؟ فليس الفن رفاهية، كما يراه الكثيرون... فكما أن الفن وسيلة لتجميل الحياة هو أيضا وسيلة لكشف بشاعتها».

وأن «... بالفن، كما ترون، تخرج الأحداث القديمة لتفضح بالفن قتلة كل زمان ومكان حتى لا تتبلد الذكرى بالصمت المسكين.. وفاضح القتلة هنا هو ضمائر فنانين سجلوا على مدى عصور وأماكن عدة تلك المذابح الإرهابية، لأن بوصلة الضمير الإنساني لا تعرف حدود الزمان والمكان، خاصة أن أعمال إرهاب الماضي تعيد نفسها بالفكر الإرهابي الصهيوني نفسه. وعلينا أن نمسك بالزمن حتى لا ينسى من يتعمدون النسيان ويتغاضون عنهم - عن علم - كأول جماعة إرهابية منظمة عرفها التاريخ وما زالوا هم إرهابيي اليوم الأكثر تنظيما وفتكا».

وفي تحليلها للوحات المنشورة في الكتاب، تحرص الناقدة فاطمة علي على أن تبين تفاصيل اللوحة وتشرح علاقات الشخصيات بها، وكيف نجح هذا الفنان أو ذاك في اختيار اللحظة الدرامية التي رأى أنها الأكثر تعبيرا عن المأساة.

وتبدأ الناقدة بلوحة بورتريه الإرهابي هيرود سفاح المذبحة في بورتريه كبير هو جزء في لوحة للفنان الإيطالي ما تيودي جيوفاني ١٤٥٢ - ١٤٩٥. وتقول عنه «... البورتريه جزء من لوحة كاملة للمذبحة، ولكن قصدت التركيز عليه مكبرا حتى نتعرف عن قرب على ملامحه النفسية والجسدية... نرى هيرود جالسا فوق عرشه الرخامي، مشيرا بيده إلى بدء المذبحة متمتعا بوجه شيطاني، له فم كالتنين يكاد ينفث نارا... ومن اللوحة نرى مقطعا تحت قدمه لرأس طفل اخترقه سيف أحد جنوده... والمدهش أننا نجد في خلفية اللوحة فوق الجدار نحتا بارزا إلى يمين هيرود متمثلا أحد الجنود يغمد سيفا في ظهر عجوز... هذا ما يحيط به هيرود نفسه من مشاهد... وإن دققت النظر إلى وجه ملك اليهود تدرك أن كل هذه الشراسة البادية لا تدفع إلا إلى القتل، وهي التي صورها فنان يبعد عنه زمانا ومكانا من واقع أفعاله وتاريخه الإرهابي... وإن لم تهتم كتب التاريخ كثيرا بالمذبحة وأحاطتها بالتعتيم، فإن هناك ما قيل عن شخصية هيرود نفسه، ولولا ورود حادثة المذبحة في الكتاب المقدس لمحاها التعتيم من صفحات التاريخ».

وتضيف فاطمة علي «نشاهد في بورتريه هيرود للفنان دي جيوفاني ذقنه وقد لونها الفنان بالأحمر الضارب في صفرة، وقد جاء في معجم ديانات وأساطير العالم للدكتور إمام عبدالفتاح: (في العصور الوسطى كان الفنانون يصورون قابيل بلحية حمراء ضاربة إلى الصفرة، وهي التي أصبحت بعد ذلك رمزا للقتل والخيانة كما أصبح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكلاء توزيع جريدة «الفنون»

الكويت - درة الكويت للتوزيع
شارع جابر المبارك - بناية النفيسي والخترش
ص.ب ٢٩١٢٦ الرمز البريدي ١٣١٥٠ ت: ٢٤٠٥٣٢١ - ٢٤١٧٨١٠/١١ - فاكس ٢٤١٧٨٠٩

الإمارات العربية المتحدة
شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع
دبي، هاتف: ٣٩١٦٥٠١/٢/٣ - فاكس: ٣٩١٨٣٥٤/٥/٦ مدينة دبي للإعلام - ص.ب ٦٠٤٩٩ دبي

السعودية - الشركة السعودية للتوزيع
الإدارة العامة - شارع الستين - ص.ب ١٣١٩٥ جدة ٢١٤٩٣ هاتف: ٦٥٣٠٩٠٩

سورية - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - ص.ب - ١٢٠٣٥ ت: ٢١٢٧٧٩٧ / فاكس ٢١٢٢٥٣٢

مصر
مؤسسة الأهرام للتوزيع
شارع الجلاء رقم ٨٨ - القاهرة

ت: ٥٧٩٦٣٢٦ - فاكس ٧٣٩١٠٩٦

المغرب
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
الدار البيضاء ص.ب ١٣٦٨٣
ت: ٤٠٠٢٢٣ - فاكس ٢٤٠٤٠٣١

تونس
الشركة التونسية للصحافة
تونس - ص.ب ٤٤٢٢ ت: ٣٢٢٤٩٩ - فاكس ٣٢٣٠٠٤

لبنان
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات
بيروت ص.ب ٦٠٨٦ - ١١ ت: ٣٧١٩١٠ - فاكس ٣٦٦٦٨٣

اليمن
القائد للتوزيع والنشر
ت: ٢٠١٩٠١/٢/٣ - فاكس ٢٠١٩٠٩/٧

الأردن
وكالة التوزيع الأردنية
عمان ص.ب ٣٧٥ عمان ١١١١٨
ت: ٤٦٣٠١٩١ - فاكس ٤٦٣٥١٥٢

البحرين
مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف
ص.ب ٢٢٤ / المنامة ت: ٢٩٤٠٠٠ - فاكس ٢٩٠٥٨٠

عمان
المتحدة لخدمة وسائل الإعلام
مسقط ص.ب ٣٣٠٥ - روي الرمز البريدي ١١٢ ت: ٧٠٠٨٩٦ - فاكس ٧٠٦٥١٢

قطر
دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع
الدوحة ص.ب ٣٤٨٨
ت: ٤٦٦١٦٩٥ - فاكس ٤٦٦١٨٦٥

الجزائر
المتحدة للنشر والاتصال
٢٣٨ شارع في دو موبسان الينابيع
بئر مراد رايس - الجزائر
ت: ٤٤٧٦١٦ - فاكس ٥٤٢٤٠٦

فلسطين
وكالة الشرق الأوسط للتوزيع
القدس / شارع صلاح الدين ١٩
ص.ب ١٩٠٩٨ ت: ٢٣٤٣٩٥٤ - فاكس ٢٣٤٣٩٥٥

السودان
مركز الدراسات السودانية
الخرطوم ص.ب ١٤٤١ هاتف ٤٨٨٦٣١

نيويورك
MEDIA MARKTING RESEARCHING
25-2551 SI AVENUE TEL: 4725488
FAX: 4725493

لندن
UNIVERSAL PRESS & MARKETING LIMITED.
POWER ROAD. LONDON W 4 SPY.
TEL: 020 87423344

تم التنضيد والتنفيذ في وحدة الإنتاج التابعة للمجلس الوطني

سعر النسخة :

■ دولة الكويت	نصف دينار كويتي
■ جميع الدول العربية	دولار أمريكي
■ خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان

الاشتراكات :

■ دولة الكويت	أفراد : ٨ د.ك	مؤسسات : ١٢ د.ك
■ جميع الدول العربية	أفراد : ٢٤ دولارا أمريكيا	مؤسسات : ٣٦ دولارا أمريكيا
■ خارج الوطن العربي	أفراد : ٣٦ دولارا أميركيا	مؤسسات : ٤٨ دولارا أمريكيا

لوحة للفنان بيتر بروجيل - ١٥٦٦

اللون الأصفر هو اللون المعادي للسامية)».

أما لوحة المصور الإيطالي دومينيكو جير لاندايو ١٤٤٩ - ١٤٩٤، وهو من أشهر فناني الفرسكو في عصر النهضة الإيطالية، فقد رسم لوحته ما بين ١٤٨٥ - ١٤٩٠ بالفرسكو بكنيسة سانتا ماريا سوفيللا بفلورنسا. نرى فيها إظهار الفنان لحالة الفزع والاضطراب ومحاولة الأمهات النجاة بأطفالهن من دون فائدة. وعلى رغم الاهتمام الشديد بتصوير الزحام وتداخل الشخوص في المقدمة نرى اهتمامه بالخلفية المعمارية وتفاصيلها وبهيرود ومستشاريه في الشرفة إلى أعلى يسار اللوحة وقد وقفوا في استرخاء يراقبون راضين عمليات الذبح.

ولوحة الفنان البلجيكي بيتر روبنز ١٥٧٧ - ١٦٤٠، فجعنا فيها الفنان بمشهد النساء النائحات بلا حول ولا قوة، أمام مشاهد الذبح. والغريب في اللوحة استخدام جنود هيرود لحراب، وليس خناجر، هي أضخم كثيرا من أن تمزق لحم جسد رضيع... وروبنز بهرنا دائما بنساء لوحاته الجميلات، لكن هنا ربما فضل أن تستقر أعيننا على المرأة في منتصف اللوحة لما أصابها من هلع أمومي وهستيريا، ممسكة بقطعة من ملابس طفلها وهي كل ما تبقى منه... في اللوحة نرى أن التلاحم اتخذ جانبي اللوحة في كتلتين إلى اليمين واليسار. وهذا التزاحم خاصة في مجموعة اليسار بين تنافر وتجاذب ميز لوحات العصر الباروكي الذي تربع روبنز على قمته.

اللوحة مفتوحة على سماء شتوية وعمارة ضخمة عربية رومانية في فلسطين. في تلك الساحة المفتوحة بين الأرض والسماء كانت ساحة أخرى مقابلة للحياة قد فتحت فاها ولم تغلقه. إنها ساحة الموت التي خفف من وطأتها وجود الملائكة تستقبل الـ ١٤٤ ألف طفل ليجعل الفنان الموت الأرضي تعادله الحياة في الأعلى.

الفنان فرانسوا جوزيف نافيزا ١٧٨٧ - ١٨٦٩ رسم لوحة عن المذبحة عام ١٨٢٤ مركزا على مشهد لأم ذبح طفلها بالفعل، وأخرى تختبئ بطفلها خلف جدار واهٍ. هذه اللوحة واحدة من سلسلة اللوحات الدينية التي نفذها نافيزا لمذبحة أطفال بيت لحم. نشاهد إلى أعلى يسار اللوحة مشهدا للمذبحة والجنود يطاردون الأمهات في اهتياج مسعور... وفي بديل للتشويه والذبح نرى نافيزا يركز بطريقته على المشاعر الأمومية والعاطفة في قمة تراجيديتها... صور الفنان ثلاث نساء في مقدمة اللوحة داخل منطقة المواجهة متشبعات باللون، مما يذكرنا بالتقاليد الفنية للقرن الـ ١٧ الفلمنكية، مستدعيا لتاريخ التصوير القواعد التي كان يطبقها جاك لويس دافيد... فاللوحة تتميز بنقاء الخط واللون والأسلوب في العمل وهو يدين بهذه الطريقة إلى آنجر.

ومن الفنانين من قدم المذبحة بالنحت، فنجد مثال ومعماري إيطاليا الكبير في القرن الثالث عشر جيوفاني بيزانو ١٢٥٠ - ١٣١٤ أقام جدارية ضخمة من الرخام فوق المنبر في سانت أندريا في بيستويا... والجدارية مكونة من خمس جداريات متصلة خصص جزءان منها عن مجزرة أطفال بيت لحم. وإذا نظرنا إليها نستشعر أنها قادمة من جوف الماضي أو جوف الأرض كفاصلة حادة بين زمنها الماضي والزمن الحاضر لتذكرنا بزمن بينهما لم يكن امتدادا منطقيا للماضي ولا مقدمة منصفة للحاضر.

... وهكذا تستمر الناقدة فاطمة علي في تتبع اللوحات، وتشرح مكوناتها الفنية، وتؤصل لكل لوحة بعلاقتها بالعصر الفني الذي تنتمي إليه. وتختتم فاطمة علي كتابها المهم بقولها: «لم نر المذبحة... ولكن بالفن يتاح لنا أن نعمل قدرتنا الافتراضية على التصور لنرى ما لم نره لو استكملنا بخيالنا باقي اللوحة إلى اليمين واليسار والعمق وإلى ما لا نهاية. حتى يغطي تصورنا ما حدث في بيت لحم الفلسطينية والقرى المحيطة بها جميعا من إرهاب وشر... والتي لم تكتمل إلا باكتمال قدرة المشاهد على التصور. ويمكن هنا رمزيا أن يتمثل لنا - وللآخرين - بوضوح كم سعى الإرهاب منذ القدم إلى إزهاق الحياة.. ولايزال ◆

مقطع من لوحة للفنان فرا أنجليليكو - ١٤٥٠

لوحة للفنان فرانسوا جوزيف نافيز - ١٨٢٤

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلمة التحرير

ما الذي يستطيع أن يقدمه الفن لواقع حياتيّ صعب وقاس، ولأرواح معذبة؟

هل في استطاعة الفن أن يكون سلاحا فاعلا ومنقذا في صراع يعلو صوت القتل والدمار فيه على كل صوت، ويحتل لون الدم المساحة الأكبر من مشهده؟!

ربما بدا هذا السؤال عبثيا وعدميا في جزء منه، لكن في المقابل، منذ انتبه الإنسان إلى وجوده، ومنذ حدّق فيما يعترض دربه من مصاعب وعقبات، منذ ذاك، لجأ الإنسان مسيّرا ومخيرا، بدافع حب الحياة، لجأ إلى الفن، أداة وحياة أخرى يستعين بهما على مواجهة واقعه المرير، ويصعب عليه جدا التخلي عنهما، أو العيش من دونهما.

في أحيان كثيرة سبقت مقولات وتنبؤات الفن الأحداث الحياتية، وبما قدم ويقدم مصداقية لحدس الفن والفنانين، ويرسم الدهشة والتساؤل على الوجوه، من قدرة الفن والفنان على استشراف نبض الأيام القادمة وتوقعاتها.

إن موهبة الفنان المبدع، وممارسته الحياتية تؤهلانه لكشف بعض مما يختبئ خلف الصورة اللحظية الشاخصة والصارخة، وبالتالي التعامل مع ما هو آت، على الرغم من لغة الحاضر القاسية، التي ربما كانت تختلف تماما عن رؤية الفنان.

ما الذي يستطيع أن يقدمه الفنان العربي، لقضية فلسطين وشعب فلسطين، ولبؤس الواقع العربي على وجه العموم، ولبطولات الانتفاضة على وجه الخصوص؟

إن الفنان العربي، أيا كانت درجة ابتعاده وانزوائه في عوالم فنه، فهو ابن بيئته، ولسان حالها، وبوصلة دفتها، وما يقدمه في مسيرته الطويلة، ليس إلا مشاركة وقراءة لهذا الواقع، بما يبرز ويؤكد أهمية الفن والفنان.

إنني أفهم المقاومة بصفتها فن الإنسان الفطري. فن الحياة، الفن الذي تستعين به جميع الكائنات للتكيف والتغلب على محيطها، وبالتالي العيش والبقاء.. الإنسان يقاوم ليحيا بسلام بعيدا عن العاديات والمنغصات، يقاوم كي يضمن لنفسه بقعة أرض، وسقفا، وكسرة خبز، وقطرة ماء، وربما تمنى لو كانت بقعة الأرض تلك خضراء بالشجر والورد والبشر، وكان السقف آمنا قادرا على تحمل الأثقال، وكانت كسرة الخبز حارة تبعث الفرح بين جنباته، وكانت قطرة الماء صافية، وربما لعبت به الأماني أكثر، فراح يحلم ببقعة الأرض تلك كما لو كانت الجنة، والسقف كما لو كان قصرا، وكسرة الخبز مائدة عريضة عامرة بما لذ وطاب، وقطرة الماء شلالا من الزلال.. لكن، كل هذا لا يساوي شيئا من دون الأمان والسلام، ومن دون أن يكون الإنسان حرا في محياه وتفكيره ويومه.

كيف يرى الفنان العربي لحظته الراهنة؟

ما الذي يستطيع أن يقدمه لواقعه وأمته؟

كيف يجند قلمه وريشته وعلمه وفنه لخدمة قضيته الإنسانية، قضية الشعب العربي الفلسطيني؟

كيف يبعث برسالته الفنية السامية والمسالمة لتصل إلى شعوب الأرض جميعا، بلغة فنية مبدعة، يفهمها ويقدرها الآخر؟

هذه الأسئلة وغيرها كانت وراء هذا العدد الخاص من (جريدة الفنون). أسئلة كنا نأمل من خلالها الابتعاد، قدر الإمكان، عن السقوط في مهاوي السياسة والشعارات المجانية، والوقوف على تصورات وآراء الفنانين، في جميع فروع الفن، على أمل أن نقدم للقارئ العربي صورا وشهادات للفنانين العرب، كل في تخصصه. وإذا كان ظرف الانتفاضة الفلسطينية الملتهب والموجع قد طبع الإجابات بروح الانفعال، وختم الشعارات المعروفة والمستهلكة، لدى كثير من فناني العالم العربي، فقد حدا بنا ذلك للاكتفاء ببعض الشهادات وليس الكل، بالنظر لتشابهها... إن رؤية بعض الفنانين وأفكارهم، ربما قدمت صورة قريبة وصادقة ومعبرة لعوالم الفنان العربي حيال قضيته الأولى، قضية الشعب العربي الفلسطيني.

وبقدر يقيننا أن المقاومة فن الحياة، وأن عزيمة وإرادة الإنسان لا تهين أو تضعف، نؤمن بأن التجربة الإنسانية، على مر الدهور، أثبتت أن الفجر على الدوام يبزغ من الظلام، وأن أعتى الغيوم السوداء لا تستطيع أن تخفي وجه الشمس المنير!

طالب الرفاعي

عبدالهادي شلا و محمود درويش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حالة حصار *

هنا، عند مُنْحدرات التلال، أمامَ الغروبِ
وفُوّهَةِ الوقت،
قُرْبَ بساتينَ مقطوعة الظلِّ،
نفعلُ ما يفعَلُ السُّجَناءُ،
وما يفعلُ العاطلون عَن العَمَل:
نُرَبّي الأمَلْ.

• • •

في الحصار، يصيرُ الزمانُ مكانا
تحجَّرَ في أبَدِهْ
في الحصار، يصيرُ المكانُ زمانا
تخلَّفَ عن مَوْعِدِهِ

• • •

سيمتدُّ هذا الحصار إلى أَن
يُحِسَّ المُحَاصِرُ، مثل المُحَاصَرِ،
أَن الضَجَرْ
صِفةٌ من صِفات البَشَرْ

• • •

أَيُّها الساهرونَ! أَلم تتعبوا
من مراقبة الضوء في مِلْحِنا؟
ومن وَهَج الورد في جُرْحنا
أَلم تتعبوا أَيُّها الساهِرُونْ؟

• • •

سأصرخُ في عُزْلتي،
لا لكيْ أُوقظ النائمينْ.
ولكنْ لتُوقظَني صَرْختي
مِنْ خيالي السجينْ!

• • •

سلامٌ على مَنْ يُشَاطِرُني الانتباهَ إلى
نَشْوَةِ الضوء، ضوءِ الفراشةِ، في
لَيْل هذا النَّفَقْ!

• • •

يقولُ على حافَة الموتِ:
لم يَبْقَ بي مَوْطئٌ للخسارةِ،
حُرٌ أنا قُرْبَ حُرِّيتي
وغدي في يدي...
سوف أَدخُلُ، عما قليلٍ، حياتي
وأُولَدُ حُرًا بلا أَبَوَيْنِ،
وأَختارُ لاسمي حروفا من اللازَوَرْد...

• • •

يقولُ لها: انتظريني على حافة الهاويةْ
تقولُ: تَعَالَ... تَعَالَ! أَنا الهاويةْ

• • •

الشهيدُ يُوَضِّحُ لي: لم أُفتِّش وراء المدى
عن عذارى الخلود، فإني أُحبُّ الحياةَ
على الأرض، بين الصنوبر والتين، لكنني
ما استطعتُ إليها سبيلا،
ففتَّشْتُ عنها بآخرِ ما أَملكُ:
الدمُ في جَسَدِ اللازوردْ

• • •

الشهيدُ يُحذِّرني: لا تُصَدِّقْ زغاريدهُنَّ
وصدِّقْ أَبي حين ينظر في صورتي باكيا:
كيف بَدَّلْت أدوارنَا، يا بُنَيَّ،
وسِرْتَ أَمامي؟
أَنا أولا
وأَنا أَولا!

• • •

نعزِّي أَبا بابنه: «كَرَّمَ اللهُ وَجْهَ الشهيدْ»
وبعد قليلٍ، نُهَنِّئُهُ بوليدٍ جديدْ.

* مختارات من ديوان (حالة حصار)، منشورات رياض الريس ٢٠٠٢